



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان  
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com  
WWW. **Ghaemiyeh** .org  
WWW. **Ghaemiyeh** .net  
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

# حياة ما بعد الموت

بمطالعته  
سيدنا محمد بن عبد الله

مؤلفه  
سيدنا محمد بن عبد الله

مترجمه  
سيدنا محمد بن عبد الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# حياه ما بعد الموت

كاتب:

محمد حسين طباطبايى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
9	حياه ما بعد الموت
9	اشارة
9	اشارة
13	مقدمة القسم
15	كلمة لا بد منها
17	المقدمة
17	اشارة
18	العمل فى هذا الكتاب
21	ترجمة المؤلف
21	اشارة
21	اسمه وشهرته
21	أسرته ونسبه
26	ولادته
26	نبذة من سيرته
26	تربيته ونشأته
32	أخلاقه
32	تواضعه
33	زهده
34	قلة الكلام
34	أب عطوف وزوج مثالى
34	الاهتمام بالوقت
35	السيرة الروحية

36	أسراره الروحية
37	عبادته
37	قارئ القرآن
38	عاشق أهل البيت عليهم السلام
39	منزلته العلمية
48	قالوا فيه
49	أولاده
50	إجازاته بالاجتهاد والرواية
51	مشايخه
52	تلامذته
54	تصانيفه ومؤلفاته
59	وفاته
61	مقدمة المترجم
67	الفصل الأول: الموت والأجل
67	إشارة
69	الموت والأجل
69	إشارة
76	الموت انتقال من عالم إلى آخر
89	الروح تنتقل مع الموت
93	من الذى يتوفى الأنفس؟
102	الموت يكشف الحقيقة للإنسان
105	التبشير بالسعادة أو الشقاء بعد الموت
124	الفصل الثانى: البرزخ
124	إشارة
126	البرزخ

126	.....	اشارة
138	.....	تجسم الأعمال
149	.....	المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب
152	.....	تجسم الأرواح فى البرزخ
155	.....	لقاء الأموات بذويهم
158	.....	حديث الشيطان مع أتباعه فى القبر
164	.....	الفصل الثالث: النفخ فى الصور
164	.....	اشارة
166	.....	النفخ فى الصور
166	.....	اشارة
178	.....	الذين يستنون من حكم النفخ فى الصور
191	.....	الآخرة بعد الدنيا
192	.....	الآيات الدالة على أحوال القيامة
194	.....	الفصل الرابع: صفات يوم القيامة
194	.....	اشارة
196	.....	صفات يوم القيامة
196	.....	اشارة
202	.....	بطلان الأسباب فى يوم القيامة
204	.....	يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا
208	.....	«القيامة» محيطة بالدنيا والبرزخ
211	.....	ظهور البارئ عز وجل فى ذلك اليوم
213	.....	تبدد الظلمة يوم القيامة
218	.....	الفصل الخامس: بعث الإنسان للمساءلة
218	.....	اشارة
220	.....	بعث الإنسان للمساءلة

220	.....	اشارة
228	.....	سير الأرواح إلى خالقها ..
230	.....	الفصل السادس: الصراط
230	.....	اشارة
232	.....	الصراط
238	.....	الفصل السابع: الميزان
238	.....	اشارة
240	.....	الميزان
246	.....	الفصل الثامن: صحيفة الأعمال
246	.....	اشارة
248	.....	صحيفة الأعمال
272	.....	الفصل التاسع: الشهداء في يوم البعث
272	.....	اشارة
274	.....	الشهداء في يوم البعث
274	.....	اشارة
281	.....	مراتب الشهداء
310	.....	المصادر
324	.....	المحتويات
329	.....	تعريف مركز



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق \_\_ وزارة الثقافة العراقية لسنة 2011: 1129

رقم الدولي ISBN: 9789933489274

الطباطبائي، محمد حسين، 1321 \_\_ 1402 ق.

حياة ما بعد الموت / تأليف محمد حسين الطباطبائي؛ مراجعة وتعليق على القصير. \_\_\_\_\_ الطبعة الثانية \_\_ . كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، 1433ق. \_\_\_\_\_ 2012م.

318 ص. \_\_\_\_\_ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ 85).

المصادر: ص. 301 \_\_ 313؛ وكذلك في الحاشية.

1. المعاد \_\_ من الناحية القرآنية. 2. الموت \_\_ من الناحية القرآنية. 3. البرزخ \_\_ من الناحية القرآنية. ألف. القصير، على، 1967  
\_\_ م، محقق. ب. العنوان.

1429ق. 9 ح / 2 ط / BP 104

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1



ص: 3

حياة ما بعد الموت

تأليف

السيد محمد حسين الطباطبائي

مراجعة وتعليق

السيد علي القصير

الطبعة الثانية

إصدار

شعبة التحقيق

في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ص: 4

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية

1433هـ \_ 2012م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

[www.imamhussain-lib.com](http://www.imamhussain-lib.com)

E-mail: [info@imamhussain-lib.com](mailto:info@imamhussain-lib.com)

## مقدمة القسم

الحمد لله الذى رفع الذين آمنوا والذين أتوا العلم درجات حمداً لا يقوى على إحصائه إلا هو، والصلاة والسلام على شفيح الذنوب وحيبب القلوب أبى القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تظافرت جهود الأخوة فى قسم الشؤون الفكرية إبتداءً؛ بشعبة التحقيق ومروراً بالمنقح اللغوى والمخرج الفنى والمصمم لتخرج لنا الكتاب الثانى الموسوم «حياة ما بعد الموت».

فلقد بذلت شعبة التحقيق جهوداً مشكورة فى توثيق وتحقيق هذا الكتاب القيم للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان ليكون نافذة يطل من خلالها الباحث أو المثقف الإسلامى على العالم الآخر الذى يختلف تمام الاختلاف عن عالم الدنيا، وقد أخذ هذا الكتاب موضوعه بين الكتب المحققة التى قدمها قسمنا للقارئ الكريم.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية



## كلمة لا بد منها

كلمات السيد محمد حسين الطباطبائي...

كيف كتبها؟

وكيف تؤثر في النفس؟

الكلمة ينبوع يفيض بالمعاني، لاسيما إذا كانت تحمل في طياتها معاني الحكمة.

إن السيد الطباطبائي كان حينما يرسم الكلام يمسك ريشة الحقيقة، مع لون الإبداع؛ لتحيي المعاني بحروف النور، وتشرق بالطيف السامي في النفوس.

ولما كانت الكلمة بذرة تنبت في القلوب لتحيي الروح بهيولانات العلم، أضحت حروفه غديرا.

فلا- سراب ولا- جهل في كلماته التي هي حب وفضيلة ووطن تنبع من الوجود، ليبقى الوجود فيضنا في ظلاله تحيي جواهر النفس وتخلد بآثارها.

فقد كان الفيلسوف ينظم الحروف لتسطع الكلمة كالوحي في الصدور، فيسمو بها الفرد بما يحمل من عبق الفكر بين أمواج الحيرة.

وقد شرّع في كتابه حياة ما بعد الموت منهاجا أثر فيه الإختصار والإقتصار على المفاهيم العامة كما أوضح في مقدمته، وأثبت دعائم بحثه مفسرا للآية بآية أخرى وللرواية برواية أخرى.

وكأنه أراد أن يستفيق ذوو الغفلة من سبات بصيرتهم ويتزودوا من دار فانية لدار باقية، مبيناً مع البرهان منازل رحلة الخلود.

وقد قرأنا ما بين السطور في كتابه وجمعنا رفات سارية السطور فأشرقت كلمات الراية...

الكلمة حياة أولها كلمة.

وكانت كلمة العلامة الطباطبائي بلسما يفوح شذاها لمن يطالع كتابه هذا الذي بين أيدينا حيث يدرك الحياة ما بعد الموت ليحيا بالبصيرة في الشأتين.

المحقق / السيد على القصير



**المقدمة****إشارة**

لقد خاضت الأمم السابقة فى ماهية «الحياة ما بعد الموت» الغمار، واستخلصت كل أمة رأيا لها، وعندما بزغ فجر الإسلام سلسل مراحل الحياة فى النشأتين. ووضع لكل منها نهاية، وكان المعاد هو المرحلة الأخيرة من حياة ما بعد الموت، أى: الرجوع فى النشأة الأخرى.

وحينما شغل هذا الجانب من الغيب كافة طبقات المجتمع الإسلامى راح يكتب فيه أرباب الفكر بألوان أقلامهم ما فقهت عقولهم على وفق مراحل التأريخ المختلفة، ثم شرع العلامة الطباطبائى بعدهم ليصنع سفينة حروفه بلون يشع الحياة، تشرق من خلاله المعانى، وأسمى رحلته «حياة ما بعد الموت».

إن المكانة المرموقة للعلامة الطباطبائى فى تراثنا الشيعى لا سيما فى الفلسفة والعرفان وما تميز به جعلت اللجنة المشرفة على التحقيق والنشر فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة أن تقرر العمل على هذا السفر الرائع من لئالىء العلامة بعد أن اطلعت على جواهره، والرؤى التى مزجت فلسفته مع

تفسيره الآية بالآية والحديث بالحديث، وجعل لواقح أفكاره عبقات زاخرة بالنور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته معدن العلم عليهم السلام . ولما فى هذا الكتاب من عبرة للإنسان وكشف الحجب عن الأذهان باليقين لما صار إليه السابقون وما هو كائن فيه بعدهم.

لذلك شرعنا بالتعليق على هذا الرحيق الرائق بعناية نروم من خلالها تثبيت وتوثيق النصوص، وتعريف الاصطلاحات، وشرح الغريب.

هذه شذرات من فيض الجهود، نهلت إخلاصها من عشقها للعلم، ليخرج الكتاب بروقه الجديد ، فتنشرح به أفئدة السالكين صراط النجاة، وتكتحل حدقات عيونهم بمعانيه التى تتلو ذكرها بصمت فى مسجد القلب.

### العمل فى هذا الكتاب

1. تخريج الآيات، والأحاديث، والنصوص، والاقتباسات، وغريب اللغة، وإرجاعها إلى مصادرها.
2. الاعتماد على مراجع معتمدة فى علوم القرآن، والحديث، والرجال، واللغة، والغريب، وقد ذكرناها مفصلاً نهاية الكتاب.
3. الاعتماد على كتب المدرستين الخاصة والعامة.
4. بيان التفصيل فى الحاشية للعنوان، بذكر الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة والباب والفصل ورقم الحديث، وجميع الدلالات التى تيسر للباحث سرعة الوصول إلى المطلوب ضمن أية طبعة للكتاب الذى اعتمدنا عليه فى الأخذ منه.

5. عدم تكرار ترجمة العَلَم، أو الغريب من اللغة في حال تكرار وروده.

6. نذكر في بعض الموارد بعد ذكر المصدر نص الحديث، وهذه حسب أهمية البحث واعتماد المؤلف على النص للتحليل منه، وأحيانا لأهمية الحديث خلال البحث.

7. إذا ورد في بداية الصفحة نص أوله: (قال عليه السلام) نقول: (الإمام الصادق عليه السلام) مثلا، وإذا كان وسط الصفحة وليس في بدايتها، وقد ذكر في بدايتها قبله معصوم واسترسل المؤلف بالكلام قائلا: (وقال عليه السلام) عاطفا بقوله للمعصوم نكتب: (أى: الإمام الصادق عليه السلام) مثلا.

8. نذكر المصدر مسبقا بكلمة (أنظر) تدل على اختلاف يسير في الحديث، أو يكون فيها النص مضمونا.

9. اعتمدنا في التعليق على هذا الكتاب «حياة ما بعد الموت» للسيد محمد حسين الطباطبائي على النسخة المطبوعة في دار التعارف للمطبوعات \_\_ بيروت \_\_ والنسخة من مقتنيات مكتبة العتبة الحسينية المقدسة تحت الرقم 9 ح 2 ط / BP 104، كربلاء المقدسة.

10. تم ذكر المراجع التي اعتمدنا عليها نهاية الكتاب مع بيان هويتها.

السيد على القصير

شعبة التحقيق

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العتبة الحسينية المقدسة



## ترجمة المؤلف

### إشارة

السيد محمد حسين الطباطبائي

1321هـ \_\_\_ 1402هـ \_\_\_

### اسمه وشهرته

السيد محمد حسين بن محمد بن محمد حسين بن علي أصغر شيخ الإسلام القاضي الطباطبائي التبريزي (1).

### أسرته ونسبه

قال الحسيني: نسب أستاذنا العلامة فإنه من جهة الأب يعود إلى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وهو من سلالة إبراهيم بن إسماعيل الديباج.

---

1- المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي: 472. وانظر: المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: 24.

ومن جهة الأم من أولاد الإمام الحسين عليه السلام .

ولهذا نجده في آخر كتبه التي ألفها في شاد آباد تبريز يختم الكلام بالتوقيع التالي: «السيد محمد حسين الحسنى الحسينى الطباطبائى».

فهو: السيد محمد حسين بن السيد محمد، بن السيد محمد حسين، بن السيد على الأصغر، بن السيد محمد تقى القاضى، بن الميرزا محمد القاضى، بن الميرزا محمد على القاضى، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن الميرزا يوسف تقيب الأشراف، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن مجد الدين، بن السيد إسماعيل بن الأمير على أكبر، بن الأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار، بن السيد عماد الدين أمير الحاج بن فخر الدين حسن، بن كمال الدين محمد، بن السيد حسن، بن شهاب الدين على، بن عماد الدين على، بن السيد أحمد، بن السيد عماد بن أبى الحسن على، بن أبى الحسن محمد، بن أبى عبد الله أحمد، بن محمد الأصغر (المعروف بابن خزاعية) بن أبى عبد الله أحمد، بن إبراهيم الطباطبائى، بن إسماعيل الديباج، بن إبراهيم الغمر، بن الحسن المثنى، بن الإمام أبى محمد الحسن المجتبى، بن الإمام الهمام على بن أبى طالب عليه وعليهم السلام.

ولأن أم إبراهيم الغمر هى فاطمة بنت الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام ، لهذا فإن السادة الطباطبائين الذين يرجعون إلى إبراهيم الطباطبائى الذى هو حفيد إبراهيم الغمر، جميعهم حسينيون من جهة الأم(1).

---

1- الشمس الساطعة، السيد محمد الحسين الحسينى: 31 \_ 33. وانظر: سيرة العلامة الطباطبائى بقلم كبار العلماء والأعلام: 81.

وترجع نسبة (الطباطبائي) إلى أحد أجداده في السلالة الحسنية المباركة إبراهيم المعروف بطباطبا بن إسماعيل الديباج، من أحفاد الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وللعائلة لقب آخر هو (القاضي)، توارثته عن جده السادس المعروف بالسيد الميرزا محمد علي القاضي قاضي القضاة في إحدى مناطق أذربيجان، وهو اللقب الذي كان يعرف به عند مجيئه إلى مدينة قم المقدسة، لكنه اختار بنفسه لقب الطباطبائي فيما بعد.

كان والده السيد محمد القاضي من علماء المنطقة حيث إن سلسلة آباء وأجداد العلامة كانت من العلماء الأعلام المعروفة هناك.

أما الحسنى فهو نسبه لجهة الأب، وأما الحسينى فلأن جدته فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) كما أشرنا.

ولاشك أن هذه البيئة العامرة بالعلم إضافة إلى عوامل أخرى قد وفّرت مناخات خصبة لنبوغ السيد العلامة (قدس سره)، رغم الظروف الصعبة التي رافقت طفولته وشبابه، بل لعل الصعوبات تتحول إلى حوافز للإبداع عند أمثاله(1).

قال ابن عنبه في عمدة الطالب: أما إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج، ولقب «طباطبا» لأن أباه أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل، فخيره بين قميص وقبا، فقال: طباطبا، يعنى قبا.

وقيل: بل أهل السواد لقبوه بذلك، وطباطبا بلسان النبطية سيد السادات(2).

1- نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، على أمين جابر آل صفا: 19\_20.

2- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبه: 210 \_ 211. وانظر: الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: 2/441.

قال العامري: الطباطبائية: إسم لجماعة من الهاشميين الكرام ينتسبون إلى جدهم العالى (إبراهيم طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام على ابن أبى طالب عليهم السلام سادة حسنينون هاشميون من أصول حجازية وعراقية فقط. من ذرية إبراهيم المذكور وقد تضمنت سلالته الزكية عدداً عظيماً من العظماء والعلماء ونوابغ الشعراء وأكابر الأمراء ممن خدموا العلم والأدب وأقاموا شعائر الدين ودونوا لخلفهم تاريخاً مجيداً وتراثاً علمياً خالداً وشرفاً تالداً تعزز الأجيال بها عبر الأجيال.

وقد رزق الله إبراهيم طباطبا بركة فى النسل وانتشاراً فى الأعقاب فامتدت فروعه الأصلية من الحرمين المحترمين المكى والمدنى إلى ممالك الترك وبلاد الرى وفارس وأذربيجان وبلاد الأفغان والهند وتخوم الشرق الأقصى إلى جانب المدن العراقية والسورية ومصر والمغرب الأقصى وبطن الجزيرة العربية والبلاد اليمانية.

قد اعتزت بلقبها (طباطبا) اعتزازهم بجدهم الأعلى (إبراهيم طباطبا) وخاصة فى اليمن حيث منهم أسرة ملكهم السابق (الإمام يحيى حميد الدين) التى حكمت ذلك القطر لعدة قرون.

و(الطباطبائيون) منتشرون فى جميع أرجاء العالم بعدد هائل ولانتشارهم بكرائم الشيم وجميل الخصال وحسن السمعة بين الناس إلى جانب تحليهم بالشهامة والنبيل ونصرة المظلوم وكرم النفس واليد والخلق انتسب إليهم كثيرون لمجرد صلة من الأمهات بالمصاهرة فتركوا ألقاب أسرهم وتلقبوا بـ (الطباطبائية) التى هى حسنية النسب بينما هم حسينيون أو من أسر أخرى وفضلوا الاشتهار بهذا اللقب.



ومن أفضل مزايا هذه الأسرة الجليلة (بعد محافظتهم على أنسابهم وأعقابهم) وهو أمر جوهري تمسكوا به من قبل وتسامح فيه سائر الأسر، هو الانتساب إلى الجد البعيد دون القريب، فبينما نرى أكثر الهاشميين يتعرفون بمن بينهم وبينه أقل من قرن أو قرنين كآل الحكيم وآل بحر العلوم وآل الحبوبى وآل الحيدرى وآل العطار وأمثالهم، نرى الطباطبائية فى مختلف أنحاء الأرض يتعرفون بمن بينه وبينهم أكثر من ألف عام ليصونوا من كل غمز وهمز ويعززوا أسرتهم التى جاوزت بضعة ملايين نسمة فى مختلف أنحاء الأرض.

وقد سبقهم إلى هذه الميزة الحسنة السادة الحسينيون وشرفاء الحرمين حيث يتعرفون باسم أسمى آبائهم (هو الإمام الحسن المجتبي ربحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأكبر أشبال حيدرة الكرار على بن أبى طالب عليه السلام).

أما (الطباطبائية) فيعود الفضل فى حفظ أنسابهم وتعزيز أعقابهم إلى الشريف أبى الحسن محمد بن أحمد الشاعر أحد أعالي آبائهم الطاهرين.

فإنه بعد انتقاله من مدينة جده المدينة المنورة بالحجاز إلى أصفهان عاصمة بلاد فارس... أوصى بنيه بشدة المحافظة على سجلات الأنساب والأعقاب والتمسك بصلة الرحم وأكد عليهم حسب الأموال والأوقاف على بنينهم وذرياتهم دفعا لعاديات الفقر وصونا لتسلسل نسله ظهراً بعد ظهر فأصبح لهم بتوالى الأوقاف كيان فخم ونسل متوفر وعظيم فى مختلف البقاع والضياع وانتشر نسله فى تلك الأصقاع (1).

## ولادته

ولد في قرية تدعى (شادكان) القريبة من مدينة تبريز في المنطقة التركية شمال شرق إيران والمعروفة بأذربيجان، في التاسع والعشرين من ذي الحجة (1) لسنة ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرين هجرية (29 ذي الحجة 1321هـ)، المطابق مع 1281 هجرى شمسي، و1903 ميلادي (2).

## نبذة من سيرته

### تربيته ونشأته

لقد فقد العلامة الطباطبائي أمه في السنة الخامسة من عمره، ولم يصل إلى السنة التاسعة حتى فقد أباه أيضاً؛ ولم يكن له منهما إلا أخ واحد هو السيد محمد حسن.

وحفاظاً على حياتهما من التداي، تابع وصيهما رعايتهما كسابق الحال؛ واستخدم لأجل ذلك خادماً وخادمة، وأشرفاً بشكل مستمر على أمورهما بدقة. حتى كبرا وأنهيا دراستهما الابتدائية وتابعا دراسة المقدمات في تبريز؛ وحصل كل واحد منهما على قدرة فائقة وفن رائع في الخط.

1- في كتاب نظرية المعرفة، قال علي أمين: (من ذي القعدة) وانفرد به، ولعله خطأ من الناسخ.

2- أنظر: تذكرة الأعيان، السبحاني: 433. الشمس الساطعة، السيد محمد الحسين الحسيني: 24. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي: 472. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: 366. إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، علي رباني: 7. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: 24. نظرية المعرفة والادراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين: 19.

كان المرحوم الأستاذ يقول: كنت أخرج في أغلب الأيام أنا وأخى من تبريز إلى سفوح الجبال والتلال الخضراء، لتسلى بكتابة الخط من الصباح إلى الغروب، ومن بعدها هاجرنا سوياً إلى النجف الأشرف.

وفي جميع المراحل وطى المنازل العلمية والعملية، لم يفارق أحدهما الآخر، وبقياً معاً رفيقين شفيقين في السراء والضراء، كأنهما حقاً روح واحدة في جسدين.

كان آية الله الحاج السيد محمد حسن الطباطبائي يشبه أخاه من جميع الجوانب: في نهجه ومسلكه، وسعة صدره وعلو همته، وحياته العرفانية المليئة بالزهد الحقيقي، والبعد عن أبناء الزمان وأهل الدنيا مقرونة بالتفكير والتأمل، والإدراك والبصيرة، والتعلق بحضرة الأحدية، والأنس والألفة في زوايا الخلوات.

ومن جهة أخرى فقد عرف بقدرته الفكرية الواسعة، وعشقه للشرع المطهر وأهل بيت العصمة، والإيثار والتجاوز والصبر على نهجهم؛ وإعلاء كلمة الحق، وخدمة الفقراء والمستضعفين.

كان أنموذجاً بارزاً مشهوراً في أنحاء تبريز وأذربيجان؛ وكانت قداسته وطهارته موضع حديث الخاص والعام في تلك المنطقة.

وحقاً، ما أجمل أن يقال بشأن هذين الأخوين ما أنشده أبو العلاء المعري بحق السيد المرتضى وأخيه الرضى، في قصيدته الطويلة في رثاء والدهما:

أبقيت فينا كوكبين سناهما \*\*\* في الصبح والظلماء ليس بخاف

متأنقين وفي المكارم أرتعا \*\*\* متألقين بسؤدد وعفاف

قدرين في الإرداء بل مطرين \*\*\* في الإجداء بل قمرين في الإسداف

رزقا العلاء فأهل نجد كلما \*\*\* نطقا الفصاحة مثل أهل ديارف

ساوى الرضى المرتضى وتقاسما \*\*\* خ\_ط\_ط العلاء بتناصف وتصاف

وقد أمضى كل منهما عشرة سنوات فى النجف الأشرف، منشغلين فى تحصيل الكمال؛ واشتركا معاً فى الدروس الفقهية والأصولية، والفلسفية والعرفانية والرياضية.

وبسبب ضيق المعيشة، وعدم وصول الراتب المقرر من مزروعاتهما فى تبريز اضطررا للرجوع إلى إيران والاشتغال بالزراعة والفلاحة لمدة عشر سنوات فى قرية شاد آباد التبريزية حتى تحسنت أوضاع الزراعة، فهاجر الأستاذ العلامة إلى قم لحفظ عقائد الطلاب من هجمات الحوادث، أما أخوه فقد اختار تبريز مسكناً له وانصرف إلى التدريس.

وفى حوزة تبريز قام آية الله الحاج السيد محمد حسن الإلهى بتدريس الفلسفة من «الشفاء» و«الأسفار» وسائر مؤلفات الملا صدرا، وفى بعض الأحيان كان يأخذ بيد عاشقى طريق الله؛ ويقودهم إلى منزل المقصود.

لقد كان بدوره إنساناً بعيداً كل البعد عن التكلف، متواضعاً، وخلوقاً، تملأ قلبه الأسرار الإلهية، عالماً بالضمائر، ومرب عظيم.

كان أستاذاً يمتدحه كثيراً، ويظهر تعلقاً شديداً وحباً جماً له، وكان يقول: عندما كنا فى النجف الأشرف حصلنا على نسخة خطية لمنطق «الشفاء» لابن سينا لم تكن قد طبعت بعد، فنسخناها معاً.

ولم تمض بضع سنوات حتى رحل إلى الرفيق الأعلى.

وقد شيعت جنازته في قم حيث وري الثرى في جوار مرقد المعصومة المطهر في المقبرة المعروفة بـ«أبو حسين» قرب الجسر الحديدي المعروف بجسر «أهنجى» وقد ترك رحيله أثراً في نفس أستاذنا وأدى إلى نشوء أو اشتداد ضعف قلبه وأعصابه.

والسبب الآخر الذى ترك أثراً عميقاً فى نفسه كان الذبحة القلبية التى أصابت زوجته وأودت بحياتها.

فقد كتب يقول: لكن برحيلها شطر خط البطلان للحياة السعيدة والهادئة التى عشت معها.

وهذه السيدة المؤمنة هى أيضاً من عائلة السادة الأطهار، ومن بنات أعمامه، وهى ابنة المرحوم آية الله الحاج الميرزا مهدي التبريزى الذى كان مع إخوته الخمسة: السيد الميرزا محمد آقا، والسيد الحاج الميرزا على أصغر آقا، والسيد الحاج الميرزا كاظم آقا (صهر مظفر الدين شاه) والسيد الحاج الميرزا رضا، وأخ آخر من العلماء وأبناء المرحوم آية الله الحاج الميرزا يوسف التبريزى.

وكان يقول: عيالى كانت سيدة مؤمنة وعظيمة، وعندما تشرفت بزيارة النجف الأشرف لتحصيل العلم كانت برفقتى، وكنا أيام عاشوراء نذهب إلى كربلاء للزيارة، وعندما انتهت مدة تحصيلي رجعنا إلى تبريز.

ذات يوم كانت جالسة فى البيت ومشغولة بزيارة عاشوراء وكما قالت:

أحسست فجأة أن قلبى انكسر؛ وقلت لنفسى عشر سنوات كنا إلى جانب المرقد المطهر لحضرة الإمام أبى عبد الله الحسين فى عاشوراء؛ والآن لقد أصبحنا محرومين من هذا الفيض. وفجأة وجدت نفسى فى الحرم المطهر فى زاويته مقابل

الضريح المطهر أقرأ الزيارة. وخصوصيات الحرم كما هي؛ ولأنه يوم عاشوراء، والناس عادة تذهب لرؤية مواكب العزاء التي تقام مقابل الضريح وسائر الشهداء، كان بعض الأشخاص واقفون للزيارة مع بعض الخدم. وعندما انتهت، وجدت نفسي جالسة في البيت، أقرأ بقية الزيارة!

نعم، هذه السيدة العظيمة مدفونة كذلك في جوار السيدة المعصومة سلام الله عليها في مقبرة آية الله الحائري اليزيدي (1) في الجانب الأيسر من الجناح الملحق، في إحدى المواقع الخاصة بالعوائل.

وكان أستاذنا يزور هذه المخدرة أولاً ثم أخاه \_\_ ضمن زيارة أهل القبور \_\_ كل عصر خميس بدون انقطاع (2).

قال عبد الكريم: بدأ رحلة العلم الطويلة في مسقط رأسه تبريز، وذلك على أيدي الأفاضل من أسرته، وقد باشر التحصيل بإشراف معلم خاص درّسه اللغة الفارسية ثم درس العلوم العربية والإسلامية حتى أتم مرحلة المقدمات.

ومن ذكريات العلامة في هذه الفترة ما تحدث عنه قائلاً: «عندما كنت طفلاً لم أجد رغبة في التحصيل، ومضت أربع سنوات لم أفهم ماذا أقرأ ولكنني فجأة وجدت نفسي مطمئناً وكأنني أصبحت على غير ما كنت عليه أمس، ومنذ ذلك اليوم والحمد لله إلى أخريات أيام دراستي زهاء سبع عشرة سنة، ما كسلت وما

1- الصحيح: اليزدي نسبة إلى مدينة يزد، ولعل الخطأ من الناسخ.

2- الشمس الساطعة، السيد محمد الحسين الحسيني: 34 \_\_ 39. وانظر: تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني: 434. نظرية المعرفة، علي أمين: 20 \_\_ 24. سيرة العلامة الطباطبائي بقلم كبار العلماء: 82 \_\_ 86.

توانيت في طلب العلم، فقد نسيت حوادث الدهر وملذات الحياة وتعاستها، انقطعت عن كل احد، وكل شىء غير أهل العلم وأصحاب الفضيلة، مقتصراً على الحاجيات الأولى في الليل والنهار، ووقفت نفسى للدرس والتعليم، وطالما قضيت الليل في القراءة خاصة في فصلى الربيع والصيف حتى تطلع الشمس وأنا مشغول بالمطالعة».

وفي عام 1343هـ (1924م) هاجر إلى النجف الأشرف، وكان عمره آنذاك ثلاث وعشرين سنة وأقام فيها مدة عشر سنوات انكب أثناءها على تحصيل مختلف العلوم الإسلامية، عازفاً عن كل اهتمام آخر، حتى حاز بهذه الفترة الوجيزة درجة الاجتهاد.

يحدثنا العلامة الطباطبائي عن ذكرياته في هذه الفترة أنه عندما وصل إلى النجف كان متحيراً في أمر الدراسة، في اختياره لنوعية الدروس والأساتذة الذين يحضر عندهم، وذات يوم كان جالساً في البيت يفكر في هذه المسألة ملياً وإذا بالباب تطرق فخرج العلامة لفتح الباب فوجد عالماً ذا هيبة ووقار فرحب به وأدخله البيت ثم تحدث ذلك العالم إليه قائلاً: إن الطالب الذى يهاجر إلى النجف لابد له من التفكير أولاً بأمر التزكية والتهذيب ومراقبة النفس فضلاً عن الدراسة والعلم وبعد إتمام الحديث خرج من البيت ولكن حديثه ظل نافذاً في قلب الطالب التبريزي الجديد محمد حسين الطباطبائي، الأمر الذى دفعه إلى ملازمة درس ذلك العالم الكبير الذى تعرف عليه وكان هو الميرزا على القاضى أحد أبناء عمومته ونتيجة لهذه الملازمة تأثر تأثراً عميقاً بفكر وشخصية القاضى وكان يقول: «كل ما عندنا

من المرحوم القاضي»، بل وان مسلك تفسير القرآن بالقرآن كان العلامة الطباطبائي الذي اشتهر به قد تعلمه من درس المرحوم القاضي وجاراه فيه(1).

## أخلاقه

إن الخصال الطيبة والأخلاق النبوية التي تحلى بها السيد الطباطبائي قد أدهشت كل من عرفه عن قرب.

فابنته السيدة نجمة السادات تصفه فتقول:

«كانت له أخلاق وسلوك محمدي، لم يكن ينفعل ولا يغضب أبداً، كما أني لم أسمعه يتحدث بصوت عالٍ في أي وقت من الأوقات، ولكن في الوقت الذي كان فيه ليناً في طبعه وخلقه، كان حاسماً وحازماً أيضاً. على سبيل المثال كان مواظباً على أداء الصلاة أول وقتها ولا يتهاون في ذلك، كما كان يذكر الآخرين وينهاهم عن التهاون بشكل صريح جداً».

وقد بلغ تأثيره في تلامذته ومن عاشره حداً عجبياً فيقول تلميذه المرحوم السيد محمد حسين الطهراني: «ما لم أكن أتصوره هو فقدان هذا الرجل، فموت هذا الرجل الرباني هو موت العالم، لأنه كان علامة العالم».

## تواضعه

أنه كان يرفض الجلوس خلال إلقاء الدرس على فراش خاص يعطيه امتيازاً عن طلابه وحينما يعترض عليه يجيب:

1- من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: 366 \_\_ 368.



«لوصرت أعلى منكم بمقدار سمك السجادة أو الفراش الإضافي لما استطعت أن أتحدث».

وحيثما لاحظ في أواخر حياته أن ابنه يتبعه وهو ذاهب إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام خوفاً عليه. التفت إليه سائلاً: إلى أين؟ فأجابه ابنه: وأنا أريد الذهاب إلى الحرم أيضاً، فرد السيد قائلاً: «لم تعد صغيراً. إذهب إلى الحرم لوحدهك وليس ثمة ضرورة بأن ترافقني!».

وما ذلك إلا حذراً من مرض خفق النعال خلف الرجال الذي يصيب الكثيرين.

## زهده

إن المغريات المادية غالباً ما تعرض على الإنسان بعد بلوغه مرتبة علمية عالية وخصوصاً الروحانيين منهم. وتأتي المغريات بصور مختلفة: حقوق شرعية — هدايا... لكن السيد الطباطبائي رفض أخذ شيء من سهم الإمام الذي يدفع عادة في الحوزات واقتصر في معيشته على نتاج أرضه الزراعية في تبريز وعائدات كتبه التي طبعت، لزهده خاص في سجيته لا انتقاصاً من قدر من يأخذ.

وعندما حاول بعض الأغنياء أن يشتري له داراً من ماله الخاص بدل داره البسيطة والمتواضعة أبى إلا أن يرجع المال لصاحبه.

وهو بذلك مصداق قول أمير المؤمنين علي عليه السلام :

«أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها»<sup>(1)</sup>.

1- نهج البلاغة، الشريف الرضي: 304، الخطبة رقم 193.

## قلة الكلام

فى صمته تأمل وحكمة وسعى إلى التذكر الدائم، ولذا كان قليل الكلام، وهذا من وصاياه حيث يقول: «إن كثرة الكلام تبعث على قلة الذاكرة».

## أب عطوف وزوج مثالى

فى حياة العظماء الربانيين بساطة عيش بليغة تذكر بقيمة الإنسان الحقيقية التى تتجاوز المظاهر المصطنعة. فلم يكن السيد الطباطبائى ليجد فى مساعدته لأهله فى العمل المنزلى منقصة، ولا لتبسطه وملاعبته للأطفال منافاة لمقامه العلمى بل كان يقول بحكمته: «الله هو الذى يهب الشخصية، أما الأمور الدنيوية فلا تمنح الإنسان الشخصية أبداً».

أما علاقته بزوجه فتملؤها مشاعر الود والاحترام والمديح لصبرها وتضحيتها معه. وحينما مرضت الموت طوال سبعة وعشرين يوماً عطل كل عمله وراح يبذل لها كل العناية، وحينما توفيت واطب على زيارة قبرها يوماً طيلة سنوات عديدة.

## الاهتمام بالوقت

عرف عن السيد الطباطبائى اهتمامه الشديد بالوقت والحرص على تحصيل الاستفادة القصوى من فرصة العمر، وكذلك التنظيم الدقيق لأمره بحيث إنه كان يقول: «منذ ست وعشرين سنة وأنا ألتزم ببرنامج يومى لم يضطرب طوال هذه السنوات».

وتحدث عن ذلك ابنته فتقول: «كان يبدأ العمل منذ الصباح ويستمر فيه حتى الساعة الثانية عشر ظهراً. وبعد أن يؤدي الصلاة ويتناول طعام الغداء ويستريح لمدة نصف ساعة، يستأنف العمل ويواصل السعي مجدداً حتى الغروب».

### السيرة الروحية

إن الشخصية العرفانية الكبيرة للسيد الطباطبائي تستدعي الوقوف قليلاً أمام ملامح سيرته الروحية واستكشاف منابع عرفانه العملى التى صنعت أسوة حسنة ذكرت بالأنبياء والأولياء السابقين.

وتتمثل هذه الينايع الروحية بشكل رئيسى بأربعة هى:

علاقته بالله تعالى.

علاقته بالقرآن الكريم.

علاقته بأهل البيت (عليهم السلام).

وعلاقته بأساتذته ولاسيما الميرزا على القاضى.

فالسيد العلامة ينتمى إلى مدرسة عرفانية كان من رموزها الكبار الميرزا السيد على القاضى، وتعرف بالمدرسة الهمدانية نسبة إلى العارف المرحوم الآخوند حسين قلى الهمدانى. وقد اشتهر عن هذه المدرسة التمسك والالتزام الشديد بالآداب الشرعية إلى درجة تسمح للسالك فيها الوصول إلى مرتبة العصمة<sup>(1)</sup>. فالسيد الطباطبائي مثلاً يوصف بأنه «لم يرتكب مكروهاً فى حياته».

1- المقصود ههنا هى: العصمة الصغرى.

فى حىن كان أستاذة السىء على القاضى حرىصاً على الالزام بكل المسلحاب والآءاب الشرعىة وهكءا أبلماً ءلمىءه العارف السىء هاشم الءءاء.

### أسراره الروىة

لا غرباة أن يكون للسىء الطباطبائى أسراره الروىة واللى ءلوزع على مكاشفاة وإهاماة وإسراقاة روىة شأنه شأن سائر العرفاء الكبار الءىن لا يكشفا السلار عن أسرارهم إلا بعء رحىلهم ولا ىءءئون بشىء منها إلا لأخص خواصهم.

وىنقل أءء ءلامءه أن السىء الطباطبائى قال لهم ءاا مرة: إنى أعرف شخصاً لا ىنام اللىل لسماعه ءسبىح الأشىاء من حوله، وىضىف هءا ءللمىء: «إننا بعء مءة أءركنا أن ءلك الشخص لىس سوى العلامة نفسه».

ءلحكى ابءته زوجه الشهىء آة الله الشىخ على قءوسى كىف أن والءها كان ىتهىأ وىمضى الوقا فى انلظارها فى ىوم زىارءها له قاءمة من طهران ءون أن ءعلمه مسبقاً بءلك. ولىنما كانت ءسأله: «من أىن ءعرف أنى سآى ىلوم؟» لم ىكن ىرد جواباً.

ومن أبرز المكاشفاة المنقولة ما حكاه السىء الطهرانى عنه أثناء ءعبءه فى مسءء الكوفة حىنما شاهد حورىة ءءءم نفسها مع كأس شراب إلىه فأعرض عنها مسءءكراً إرساااة أستاذة ءءألمء وانصرفت.

وهءة ءلاله على اسلحاام القوة الروىة وعلو المرءبة العرفانىة للسىء الطباطبائى، فىءمكن من الإعراض عن الحور العىن واسلءكار صوء شىخه فى هءا الطرىق المىرزا على القاضى، فى ءواصل بىن عالمى الغىب والشهاة لىصبح الكل شهوءاً<sup>(1)</sup>.

1- نظرىة المعرفة والإءراكااة الاعلبارىة عند العلامة الطباطبائى، على أمىن آل صفا: 23 \_\_ 32.

## عبادته

لم يكن الصمت الذي اشتهر من السيد الطباطبائي سوى تفكير في الله سبحانه وتامل في الحقيقة المطلقة وسير بالعقل والقلب للوصول إليها وهو أرقى ألوان العبادة، رغم أنه كان كثير الصلاة وحريصاً على أداء الفرائض في أول الوقت، ومواظباً على صلاة الليل.

ويروى أولاده أنه كان «يشرع بالصلاة نافلة حال خروجه من المنزل وينشغل بالصلاة إلى أن يبلغ المكان الذي يقصده، ولم يكن ثم من يعلم ذلك منا».

## قارئ القرآن

شكل نص الوحي الإلهي المعجز مصدراً روحياً وفكرياً عظيماً للسيد الطباطبائي وارتبط به ارتباطاً يومياً وثيقاً فهام في تلاوته في كل وقت وكان يعجبه أن يقرأه بصوت عالٍ كما يذكر أهل بيته.

إن هذه المعاشة اليومية لآيات القرآن الكريم نغماً روحياً صوفياً<sup>(1)</sup>، وتأملاً عقلياً، تمنح النفس صفاءً باطنياً تدرك بواسطته حقائق الغيب وتخرق الحجب لتصل إلى الحقيقة.

---

1- في اللغة، التصوف يعنى: ارتداء الصوف وهذا نتيجة الزهد وترك الدنيا، وفي نظر أهل العرفان: تطهير القلب من محبة ما سوى الخالق، وتقويم الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالتكليف أو المأمور به، والابتعاد عن المنهى عنه والالتزام بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهؤلاء الجماعة المتصوفة المحقة. وتوجد جماعات أخرى متصوفة باطلة، يحسبون أنفسهم من الصوفية، ولكنهم ليسوا من الصوفية الحقة وهم عدة فرق. كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: 841 / 1.

ويذكر السيد محمد باقر الموسوي الهمداني، تلميذ السيد الطباطبائي، والمترجم من العربية إلى الفارسية لمعظم أجزاء تفسيره الشهير «الميزان»، إن السيد كان إذا انشغل بالقرآن وتفسيره ذهل عن أى عمل آخر.

### عاشق أهل البيت عليهم السلام

إن علاقة السيد الطباطبائي بأهل البيت النبوي عليهم السلام، وهي المكون الروحي الأساسي الثاني بعد القرآن الكريم، تنبع من ناحيتين تكمل إحداها الأخرى وتلتقيان لإعطاء عرفانيته زخماً مميزاً:

الأولى: ذاتية السيد الطباطبائي العاشقة والمتعلقة بأهل البيت عليهم السلام. حتى أن الشهيد مرتضى المطهري، وهو تلميذه المقرب إليه، يقول:

«لقد رأيت الكثير من الفلاسفة والعرفاء، بيد أن احترامي للعلامة الطباطبائي لم يكن بداعي كونه فيلسوفاً بل لأنه عاشق لأهل البيت وله بهم».

ولذا كان ملتزماً بزيارة عاشوراء خصوصاً في شهرى محرم وصفر، وبقراءة الزيارة الجامعة الكبيرة ودعاء التوسل ويحث على ذلك كله كما ينقل عنه صهره الشهيد على قدوسى.

والناحية الثانية تعود إلى المبنى العرفاني في مدرسة العارف الهمداني والقائل بأن العرفان الحقيقي لا يمكن الوصول إليه بدون الولاية.

فالمرحوم الميرزا القاضى كان يرى بأن العارف الحقيقي لا بد وأن تتكشف له حقيقة الولاية وكان يقول: «إن الوصول إلى التوحيد ينحصر بالولاية؛ الولاية والتوحيد هما حقيقة واحدة».

ويظهر في بعض كلمات السيد الطباطبائي أن لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام خصوصية في هذه الرؤية العرفانية حيث يقول: «لم يقدر لأحد أن يبلغ أية مرتبة من المراتب المعنوية وأن يصل إلى مرحلة تفتح باب القلب إلا في حرم الإمام الحسين (عليه السلام) أو من خلال التوسل به».

قيل له مرة وهو يزور الإمام الرضا (عليه السلام) في مدينة مشهد: هل تقبل ضريح الإمام كعامة الناس؟ فرد عليهم قائلاً: «ليس الضريح وحده، بل أئمة الأرض والخشب في الحرم وكل ما يرتبط بالإمام».

### منزله العلمية

كان الأستاذ مفكراً عميقاً؛ لم يكن ليتمر على المطالب العلمية بسهولة؛ فإذا لم يصل إلى عمق المطلب ويكشف جميع جوانبه لم يكن يرفع عنه أبداً.

وفي العديد من المرات عندما كان يسأل سؤالاً بسيطاً في مسألة فلسفية أو تفسيرية أو روائية بحيث يمكن الإجابة عنها بعدة كلمات مباشرة وينهى الموضوع؛ كان يسكت ويتأمل ملياً ثم يبدأ بتقديم الاحتمالات وعرض جوانب القضية وما قيل، فيكون ذلك عبارة عن درس تعليمي.

لم يكن ليخرج عن دائرة البرهان في الأبحاث الفلسفية؛ وكان يفصل جيداً بين المغالطة والجدال، والخطابة والشعر، وبين القياسات البرهانية، لا يرفع يده إلا بعد انتهاء القضية بأوليائها ونظائرها. ولم يخلط أبداً بين المسائل الفلسفية والمسائل الشهودية والعرفانية والذوقية ولا يدخل أية مسألة شهودية حين التدريس في المسائل الفلسفية؛ وبذلك كان يختلف عن صدر المتألهين وعن الحكيم السبزواري بشكل عام.

وكان يود كثيراً أن ينحصر البحث في كل فرع من العلوم حول مسائل ذلك العلم وعن موضوعاته وأحكامه، دون الخلط بين العلوم.

وكان ينزعج كثيراً من الذين يمزجون الفلسفة بالتفسير والأخبار؛ فإذا لم ينجحوا في البرهان وعجزوا عن الخروج من المسألة اعتمدوا على الروايات والتفسير في محاولة لإتمام برهانهم.

كان العلامة يمجد ذكر المرحوم الملا محسن الفيض القاساني (1)، ويقول عنه: إنه رجل جامع للعلوم، أو يندر أن نجد مثيلاً له في الجامعة داخل العالم الإسلامي؛ ومع ملاحظة أنه كان يرد في كل علم بصورة مستقلة ولا يخلط بين أى واحد منها.

ففي تقاسيره «الصافي» و«الأصفي» و«المصفي» التي تنحو نحواً تفسيرياً روائياً، لم يدخل أبداً في المسائل الفلسفية والعرفانية والشهودية.

والذي يطالع كتابه المسمى بـ«الوافي» في الأخبار، يراه واحداً من الإخباريين الذين لم يدرسوا الفلسفة أبداً.

وهكذا كان في كتبه العرفانية والذوقية لا يمد عن هذا النهج أبداً؛ ولا يخرج عن الموضوع بتاتاً.

هذا، رغم أنه كان أستاذاً في الفلسفة وأحد أبرز تلامذة صدر المتألهين.

كان أستاذاً يجلل ابن سينا ويعتبره أقوى من صدر المتألهين في فن البرهان والاستدلال الفلسفي.



ولكنه كان معجباً جداً بصدر المتألهين ومنهجه الفلسفى فى هدم الفلسفة اليونانية، والإتيان بأسلوب جديد وحديث ك\_ أصالة الوجود والوحدة والتشكيك فى الوجود، وإيجاد مسائل جديدة كقضية إمكان الأشرف، واتحاد العاقل والمعقول، والحركة الجوهرية، والحدوث الزمانى للعالم على هذا الأصل، وقاعدة «بسيط الحقيقة كل الأشياء» ونظائرها.

كان العلامة الطباطبائى يرى فلسفة صدر المتألهين أقرب للواقع.

وكان يقدر خدمته لعالم العلم والفلسفة غاية التقدير، بسبب زيادة عدد المسائل الفلسفية. (فقد رفع عددها من مائتى إلى سبعمائة مسألة).

وكان يشيد بصدر المتألهين كثيراً، لأنه لم يندفع نحو المدرسة المشائية فقط؛ بل جمع بين الفلسفة الفكرية الذهنية والإشراق الباطنى والشهود القلبى، وطبقهما على الشرع الأنور.

وقد أثبت صدر المتألهين فى كتبه ك\_ «الأسفار الأربعة» و«المبدأ والمعاد» و«العرشية» والعديد من الرسائل الأخرى عدم وجود الاختلاف بين الشرع (الذى يحكى عن الواقع) وبين المنهج الفكرى، والشهود الوجدانى؛ وأن هذه الينايع الثلاثة تنبع من منبع واحد؛ وكل واحد يؤيد الآخر ويعضده.

وكانت هذه أعظم خدمة قدمها هذا الفيلسوف إلى عالم الوجدان وعالم الفلسفة وعالم الشرع.

ولم يغلق باباً من أبواب الدخول أمام المؤهلين لنيل الكمال، وقبول الفيوضات الربانية، بل فتح أمامهم جميع السبل المؤدية.

ومع أن أساس وجذور هذه النظرية مشهودة في كلمات المعلم الثانى أبو نصر الفارابى، وابن سينا، وشيخ الإشراق، والخواجه نصير الدين الطوسى وشمس الدين بن تركة، ولكن الذى نجح فى أداء هذا الأمر المهم بحيث أوصله المقصود إلى نهايته بأسلوب بديع وطريقة رفيعة، هو هذا الفيلسوف صاحب القلب الحى والمتشعر العظيم.

كان الأستاذ المرحوم يعتقد أن صدر المتألهين قد أخرج الفلسفة من الضياع والاندراس، ونفخ فيها روحاً جديدة؛ ولهذا يمكن عده محى الفلسفة الإسلامية.

وإذا تجاوزنا كل ما سبق فإن أستاذنا كان كثيراً ما يشيد بمقام الزهد وترك الدنيا، ومنهج التعلق بالله، وتصفية الباطن، والرياضات الشرعية، والعزلة التى كان ينهجها صدر المتألهين؛ وكان يمدح طريقته فى تصفية السر وإبلاءه الاهتمام الأكبر لطهارة النفس فى «كهك» (1) قم.

وكان يعتقد: إن أغلب الإشكالات التى كانت ترد على صدر المتألهين وفلسفته، تعود إلى عدم الفهم وعدم الوصول إلى إدراك لب المسائل التى كان يطرحها.

ومع أنه كان يملك بعض التعليقات على بعض استدلالاته؛ ولكنه بشكل عام كان يعتبره مجدد الفلسفة الإسلامية، وأحد فلاسفة الطراز الأول فى الإسلام كابن سينا والفارابى وكان يعتبر الخواجه نصير الدين وبهمنيار وابن رشد وابن تركة من فلاسفة الدرجة الثانية.

---

1- كهك: إحدى قرى مدينة قم الطيبة.

كان أستاذنا يعتقد: بالوجود التشكيكي في أبحاث الوجود، وكان يؤمن بالوحدة التي ينادى بها العرفاء، ولا يراها منافية للتشكيك؛ بل هي في الدرجة العليا والمقام الأرفع من التشكيك عند العارف؛ لأنه بوجود التشكيك يجد الوحدة.

وقد درس في الحوزة العلمية لمدينة قم عدة دورات في الفلسفة سواء من «الأسفار» أم «الشفاء» حتى عد الفيلسوف الأوحدي في عالم الإسلام.

وفي السنوات الأخيرة قام بتدريس بعض الطلاب الخواص دورة في مستوى بحث الخارج في الفلسفة، وكانت ثمرتها إعداد كتابي: «بداية الحكمة» و«نهاية الحكمة» اللذين طبعا ونشرا ليستفيد منهما الجميع.

ولم يكن الصديق والعدو ليختلف على أنه الأخصائي الوحيد في الفلسفة الشريفة في كل العالم (1).

قال عبد الكريم: يشتمل المشروع الفكري للعلامة الطباطبائي على جوانب متعددة هي:

1 . الاهتمام بالقرآن الكريم وطرح تفسير جديد له يحرص على الأصالة ويتسم بالعصرية والعمق والاستيعاب في آن واحد وبشكل يناسب مكانة القرآن الكريم كمصدر وحيد وخالد لهداية الإنسان في الفكر والسلوك، وهذا ما أنجزه العلامة الطباطبائي من خلال تفسير «الميزان» الشهير، الذي اعتبره الشهيد آية الله مرتضى المطهري بأنه أفضل تفسير كتبه المسلمون منذ صدر الإسلام وحتى

الآن، وان كثيراً من أبحاثه تعد إلهامات غيبية وإن المشاكل التي لم أجد مفتاح حلها في الميزان قليلة جداً».

2. صقل وتجذير الفلسفة الإسلامية وتمكينها من الوقوف على قدميها أمام تحديات الفكر الغربي وذلك من خلال التأكيد على درس الفلسفة في الحوزة وتربية عدد من العلماء المتطلعين فيها، وتأليفه ما يزيد على العشرة كتب في الفلسفة والعقيدة يأتي في مقدمتها كتابه «أصول الفلسفة» الذي وضعه في خمسة أجزاء طبعت مع تعليقات قيمة لتلميذه البارز الشهير آية الله مرتضى المطهرى.

3. التأليف حيث قدم العلامة الطباطبائي للمكتبة الإسلامية «35» رسالة وكتاباً ودورة ذات أجزاء عديدة، كتفسير الميزان ذى العشرين جزءاً وذلك في عدة مجالات من المعرفة الإسلامية، كالتفسير والفلسفة، والعقائد والتاريخ والحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والعرفان والثقافة الإسلامية العامة إضافة إلى الرياضيات.

4. إيصال الفكر الإسلامى الأصيل إلى أوروبا كما فى المحادثات التى أجراها سماحته مع المستشرق الفرنسى هنرى كوربان التى بدأت سنة 1378هـ\_ «1958م» وتواصلت أكثر من عشرين عاماً، وكانت اللقاءات تجرى فى طهران وكان سماحته يسافر إليها من قم فى الشهر مرتين وبفضلها اقترب كوربان من المذهب الإمامى ودون المحاورات ونشرها فى بلاده كما نشر أفكار التشيع، حيث أصبح يعتقد إن المذهب الإمامى هو المذهب الحى الوحيد فى العالم لأنه المذهب الذى يعتقد باستمرار العلاقة مع السماء عبر الإمام المهدي عليه السلام خلافاً لبقية

الأديان والمذاهب التي أنهت هذه العلاقة بوفاة نبيها أو إمامها، بل إن هنرى كوربان صار يقرأ الصحيفة السجادية ويبكى، وقد سأله العلامة الطباطبائي يوماً، إننا فى الإسلام نعتقد بأسماء حسنى نخاطب بها الله سبحانه وتعالى ونناجيه فى كل حاجة من خلال الإسم الذى يناسبها، فماذا يفعل المحتاج منكم؟.

فأجاب كوربان:

أنا أناجى بقراءة الصحيفة المهدوية وقد طبعت هذه المحاورات فى مجلدين وترجما إلى الإنكليزية والفرنسية والعربية.

5. تخريج جيل من العلماء والأساتذة والمفكرين والكتاب الذين لعبوا أدواراً فكرية وسياسية رفيعة جداً، أمثال آية الله الشيخ المنتظرى وآية الله الشهيد المطهرى وآية الله البهشتى، والإمام موسى الصدر وآية الله ناصر مكارم الشيرازى والشيخ الشهيد محمد مفتاح وآية الله السيد عبد الكريم الأردبيلى والشيخ محمد تقى مصباح وآية الله جوادى الآملى وآية الله حسن زاده آملى وآخرون(1).

قال الفتلاوى:

تضلع فى علوم التفسير والفلسفة والحديث ودرس بها مدة طويلة تخرج عليه فيها جمع من النابهين وحملة العلم، عاد إلى تبريز سنة 1354 واشتغل بها بالتدريس والتأليف ثم انتقل إلى مدينة قم سنة 1365 وصار من أساتذتها وأركان الحوزة العلمية فى المعقول والمنقول إلى وفاته(2).

1- من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: 371 \_\_ 373.

2- المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوى: 472.

قال على أمين آل صفا: تمتاز شخصية السيد الطباطبائي بجامعية علمية هي وليدة المواهب المتعددة التي يملكها، فجمع بين المنقول والمعقول والمعنويات والعلوم الأخرى الغربية كالرمل والجفر وحساب الجمل والأبجد بطرقه المختلفة، ولكنه لم يمارسها.

كما كانت له مهارة في علم الأعداد والجبر والمقابلة والهندسة الفضائية والسطحية والرياضيات.

ومضافاً إلى ذلك كان أستاذاً في علم الهيئة القديمة والأدب العربي وعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع.

لقد جمع السيد الطباطبائي كل ذلك إلى جانب فقاوته وأصوليته الحوزوية وتبحره في فهم القرآن الكريم وتفسيره.

وتحدث ابنته عن توق والدها إلى الرسم فقد «كان يبذل جميع ما يملكه في شراء الورق ومستلزمات الرسم ليمارس هوايته هذه».

ولقد أفادت مواهبه الفنية الحوزة العلمية في قم بصورة مباشرة، حينما عزم آية الله حجت (رحمه الله) على بناء مدرسة دينية كبيرة ونموذجية تعرف اليوم بمدرسة الحججية، وقام العديد من المهندسين في طهران بتقديم خرائط وتصاميم لم تحظ بموافقة آية الله.

وصادف قدوم السيد الطباطبائي من تبريز فعرض تصميماً هندسياً للمدرسة نال موافقة آية الله السريعة (1).

قال السبحاني وهو يعدد إنجازات العلامة العلمية:

تتجلى شخصية الإنسان بأعماله وآثاره التي يتركها في جيله، وقد ترك السيد الطباطبائي بصمات واضحة على الفكر الشيعي وأوجد تحولاً جذرياً في الجامعة الإسلامية ونحن نشير إلى أهمها:

1 . وضع أسساً بديعة لتفسير القرآن الكريم حتى صار أسوة للآخرين.

2 . إشاعة التفكير الفلسفي في الأوساط العلمية.

3 . السعي في تبين المسائل الفلسفية بصورة واضحة وملموسة.

4 . السعي في نشر آثار أئمة أهل البيت عليهم السلام والحث على مطالعتها بدقة وإمعان كما شارك في تحشية «بحار الأنوار» في طبعتها الجديدة إلى الجزء الخامس.

5 . الجمع بين الحقائق القرآنية وما أثر عن أئمة أهل البيت في تفسير الآيات، فقد قام باستخراج ما جاء في الروايات حول تفسير الآيات — بعد الإمعان فيها عن نفسها.

6 . إشاعة الفكر الشيعي في العالم، من خلال اللقاءات التي كان يجريها مع الشخصيات العالمية ومراسلتهم.

7 . صب الاهتمام لحل مشكلات الآثار.

8 . الحث على تهذيب النفس وتربية جيل مؤهل إلى كسب الفضائل الأخلاقية.

9 . تربية شخصيات علمية وفكرية عديدة بين مدرس ومفكر.

10 . الآثار العلمية والتأليف القيمة وهي بين مطبوع وغير مطبوع (1).

## قالوا فيه

1 . يقول أحد تلامذته: عاشرته السنوات الطوال فلم أجده يرتكب مكروهاً.

2 . يذكر تلميذه الأستاذ إبراهيم الأميني إننى «لم أجده يوماً طيلة أكثر من ثلاثين عاماً تشرفت بمعاشرته فيها قد غضب على أحد، أو تحامل عليه، ولو لمرة واحدة إذ كان وقوراً هادئاً متيناً دمث الأخلاق حتى مع أصغر وأبسط طلابه، يستمع إلى حديث الجميع ويظهر للجميع حبه على حد سواء وحينما كنا نخاطبه أحياناً بـ«سماحة الأستاذ» كان يرد علينا قائلاً: «لا أحب هذا التعبير إننا تجمعننا هنا للتدبر فى أمور ديننا بالتعاون والتفاهم».

3 . يقول الشيخ محمد تقى مصباح: «على مدى ثلاثين عاماً تشرفت خلالها بالاستزادة من علم العلامة الطباطبائى لم أكن اسمع منه كلمة أنا، بينما كثيراً ما كنت أسمع منه عبارة لا أعلم».

4 . آية الله الشهيد مرتضى مطهرى فيقول عن أستاذه: «إننى اعتقد إن العلامة الطباطبائى قد بلغ فى مرتبة كماله الروحى والمعنوى درجة التجرد البرزخى بحيث يمكنه أن يطلع على كثير من الصور الغيبية التى يعجز الناس العاديون، عن تصورها أو مشاهدتها».

5 . يقول تلميذه المرحوم السيد محمد حسين الطهرانى: «ما لم أكن أتصوره هو فقدان هذا الرجل، فموت هذا الرجل الربانى هو موت العالم، لأنه كان علامة العالم».



6 . السيدة نجمة السادات تصفه فتقول:

«كانت له أخلاق وسلوك محمدي، لم يكن يفعل ولا يغضب أبداً، كما أني لم أسمعته يتحدث بصوت عالٍ في أى وقت من الأوقات، ولكن في الوقت الذي كان فيه ليناً في طبعه وخلقه، كان حاسماً وحازماً أيضاً»<sup>(1)</sup>.

## أولاده

لم نجد في التراجم التي أوردت سيرته قدس سره ما فيه التفصيل حول ذريته سوى ما عثرنا عليه بين السطور، ومنها:

1. حديث ابنته السيدة نجمة السادات أنه بقي في النجف مدة إحدى عشرة سنة ونصف مات له خلالها ثمانية أولاد بعد ولادتهم وكانت زوجته وحيدة في البيت حين انشغاله بالدراسة مما يعنى أنه قد أنجب بعد عودته من النجف الأشرف إلى إيران وخلال إقامته في «شاد آباد» تلك المدة المديدة.

2. وحينما لاحظ في أواخر حياته أن ابنه يتبعه وهو ذاهب إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) خوفاً عليه. التفت إليه سائلاً: إلى أين؟ فأجابه ابنه: وأنا أريد الذهاب إلى الحرم أيضاً، فرد السيد قائلاً: «لم تعد صغيراً. اذهب إلى الحرم لوحدهك وليس ثمة ضرورة بأن ترافقني»<sup>(2)</sup>.

---

1- أنظر: من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: 379 \_\_ 380. نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، على أمين آل صفا: 23 \_\_ 24. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: 28.

2- نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، على أمين آل صفا: 22 و24.

3. وينقل عن العلامة قدس سره أنه قال: حل السيد القاضي ضيفا على وكانت بيننا وبينه صلة رحم وقرابة، والتفت إلى عقيلتى التى لم ترزق طفلا إلا وقد مات، مخاطبا إياها قائلا: يا ابنة العم: هذا الذى يحتضنه رحمك يبقى وهو ذكر سمّه «عبد الباقي»، قال ذلك ولم أكن أنا يومذاك مطلعا على حملها، ثم إنه سبحانه تبارك وتعالى رزقنا ذكرا أسميناه عبد الباقي(1).
4. وذكرنا تحت عنوان أسرار الروحانية حكاية ابنته زوجة الشهيد آية الله الشيخ على قدوسى.

### إجازاته بالاجتهاد والرواية

1. له إجازة الاجتهاد والرواية عن أستاذه الآية العظمى النائينى.
2. وإجازة الرواية عن الآية الحاج شيخ على القمى (رحمه الله) عن شيخه النورى صاحب المستدرک.
3. وعن الراوى المتضلع الحاج شيخ عباس القمى صاحب المفاتيح عن شيخه النورى صاحب المستدرک بجميع طرقه المذكورة فى آخر المستدرک.
4. وعن الآية العظمى البروجردى (رضى الله عنه) عن شيخه الخراسانى صاحب الكفاية بطرقه المتصلة بالآية السيد بحر العلوم.
5. وعن الآية السيد محمد الحجة (رضى الله عنه).
6. وعن الآية الحاج الميرزا على أصغر الملكى عن الآية السيد حسن الصدر (رضى الله عنه).

7. وعن رجال آخر غيرهم رضى الله عنهم. انتهى(1).

### مشايخه

روافد كثيرة صنعت من العلامة نهرة الذى لا ينضب من العطاء نذكر منهم أشهر من فاح شذاه فى روحه فأبدع:

1 \_ السيد أبو الحسن الأصفهاني.

2 \_ السيد أبو القاسم الخونسارى.

3 \_ الشيخ أحمد الأشتياني.

4 \_ السيد حسين البادكوبى (بادكوبه اى).

5 \_ الميرزا على أصغر ملكى.

6 \_ الميرزا على آقا التبريزى.

7 \_ الميرزا على الإيروانى.

8 \_ السيد على القاضى الطباطبائى.

9 \_ السيد محمد حجت.

10 \_ الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني(2).

11 \_ الشيخ محمد حسين النائيني(3).

1- نظرية المعرفة والإدراكات الإعتبارية عند العلامة الطباطبائى، على أمين آل صفا: 36.

2- قال عبد الكريم آل نجف فى كتابه من أعلام الفكر: الشيخ محمد حسن الكمباني، وانفرد به ولعله خطأ من الناسخ.

3- تم جمع أسماء المشايخ للسيد العلامة وأساذته من المصادر التالية: تذكرة الأعيان، السبحاني: 434 \_ 435. الشمس الساطعة،

محمد الحسين الحسينى: 20 \_ 21. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوى: 472. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم

آل نجف: 367 \_ 368. إيضاح الحكمة فى شرح بداية الحكمة، على ربانى: 1 / 8 \_ 9. نظرية المعرفة والإدراكات الإعتبارية عند

العلامة الطباطبائى، على أمين آل صفا: 28، و35 \_ 36. المجتمع الدينى عند العلامة الطباطبائى، محمود نعمة الجياشى: 24 \_ 25.

سيرة العلامة الطباطبائى بقلم كبار العلماء الأعلام: 21 \_ 26.

تلامذته

نجوم لمعت لا تحصى أعدادها شعت بينهم لقيف من الأسماء نذكر منها:

- 1 \_ الشيخ إبراهيم الأميني.
- 2 \_ الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي.
- 3 \_ الشيخ جعفر السبحاني.
- 4 \_ السيد جلال الدين الأشتياني.
- 5 \_ الشيخ حسن زاده الآملي.
- 6 \_ الشيخ حسين على المنتظري.
- 7 \_ الشيخ حسين النوري.
- 8 \_ الشيخ عباس اليزدي الأصفهاني.
- 9 \_ الشيخ عبد الحميد الشرياني.
- 10 \_ السيد عبد الكريم الأردبيلي.
- 11 \_ الشيخ عبد الله جوادى الآملي.

- 12 \_\_ السيد عز الدين الزنجاني.
- 13 \_\_ الشيخ علي الدواني.
- 14 \_\_ الشيخ علي الميانجي.
- 15 \_\_ السيد محمد باقر الأبطحي.
- 16 \_\_ السيد محمد البهشتي.
- 17 \_\_ الشيخ محمد تقى مصباح اليزدي.
- 18 \_\_ السيد محمد حسين الطهراني.
- 19 \_\_ السيد محمد علي الأبطحي.
- 20 \_\_ الشيخ محمد فاضل اللنكراني.
- 21 \_\_ الشيخ محمد المفتح.
- 22 \_\_ الشيخ مرتضى المطهري.
- 23 \_\_ السيد مهدي الروحاني.
- 24 \_\_ السيد موسى الزنجاني.
- 25 \_\_ السيد موسى الصدر.
- 26 \_\_ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
- 27 \_\_ الشيخ يحيى الأنصاري.
- 28 \_\_ الشيخ يحيى السدارابي(1).

---

1- تم جمع أسماء تلامذة العلامة من المراجع التالية: تذكرة الأعيان، السبحاني: 456 \_\_ 457. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوي: 472. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: 373. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: 28.

## تصنيفه ومؤلفاته

تتاجات العلامة الطباطبائي تزخر في القلوب قبل المكتبات، وقد أولدت أفكاره كواكباً في سماء العلم، وتناثرت حروفه وأقواله بين مخطوط ومطبوع، وباللغتين العربية والفارسية، وفي الصحف والمجلات، وأدرکنا منها الآتی مع ذکر المراجع التي اعتمدنا عليها في جمعها:

1 \_\_ إثبات الذات.

2 \_\_ أسرار الفلسفة.

3 \_\_ أسس الفلسفة والمذهب الواقعي (بالفارسية) في أربع أجزاء، ترجم منها أول جزئين إلى العربية.

4 \_\_ الإسلام والإنسان المعاصر.

5 \_\_ الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، بالفارسية، ترجم إلى العربية.

6 \_\_ أصول الفلسفة: دراسة المسائل الفلسفية مقارنة مع الفلسفة الغربية في خمسة أجزاء.

7 \_\_ الإعجاز.

8 \_\_ الأعداد الأولية في الرياضيات.

9 \_\_ الإنسان: كتاب يحتوى على ثلاث رسائل هي:

أ. الإنسان قبل الدنيا.

ب. الإنسان فى الدنيا.

ج. الإنسان بعد الدنيا.

10 \_\_ بداية الحكمة (بالعربية): ألفه للمبتدئين فى دراسة الفلسفة.

11 \_\_ تعليقة على أصول الكافى للكلىنى (بالعربية).

12 \_\_ تعليقة على بحار الأنوار للعلامة المجلسى (بالعربية).

13 \_\_ تعليقة على الحكمة المتعالية (الأسفار) (بالفارسية) إلا أن النسخة فى بيروت هى بالعربية دون ذكر مترجم.

14 \_\_ تعليقة على الكفاية: تعليقة موجزة على الجزئين منها، فرغ عنها 1368هـ وهى مطبوعة.

15 \_\_ الحكومة فى الإسلام.

16 \_\_ حياة ما بعد الموت.

17 \_\_ دروس من الإسلام على حلقتين (بالفارسية).

18 \_\_ رسالة الأسماء (بالعربية) (1).

19 \_\_ رسالة الأفعال (بالعربية).

20 \_\_ رسالة التشيع فى العالم المعاصر (بالفارسية) ترجم إلى العربية.

---

1- قال الجياشى فى المجتمع الدينى: رسالة فى الأسماء والصفات.

- 21 \_\_ رسالة فى الاعترابات (بالعربفة).  
22 \_\_ رسالة فى الإعجاز (بالفارسة).  
23 \_\_ رسالة فى البرهان (بالعربفة).  
24 \_\_ رسالة فى التحلل (بالعربفة).  
25 \_\_ رسالة فى التركفب (بالعربفة).  
26 \_\_ رسالة فى التوففد (بالعربفة).  
27 \_\_ رسالة فى علم الإمام (بالفارسة) [\(1\)](#).  
28 \_\_ رسالة فى القوة والفعل (بالعربفة).  
29 \_\_ رسالة فى المبدأ والمعاد.  
30 \_\_ رسالة فى المشتق.  
31 \_\_ رسالة فى المغالطة (بالعربفة).  
32 \_\_ رسالة فى المنامات والنبوات (بالعربفة).  
33 \_\_ رسالة فى الوحى (وحى فاشعور مرموز) (بالفارسة).  
34 \_\_ رسالة فى الولاية (بالعربفة): تبرهن آخر السفر الإنسانى فى حضرة الأحففة وفناءه فى الذات، وحبازته على مقام العبودفة.  
35 \_\_ رسالة نظم الحكم (بالفارسة)، ترجم إلى العربفة.



- 36 \_\_ رسالة الوسائط (بالعربية) (1).
- 37 \_\_ سلسلة آباء الطباطبائي في أذر بيجان.
- 38 \_\_ سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- 39 \_\_ الشيعة (نص الحوار مع هنرى كوربان) (بالفارسية)، ترجم إلى العربية.
- 40 \_\_ الشيعة في الإسلام (بالفارسية) ترجم إلى العربية.
- 41 \_\_ الشيعة في القرآن.
- 42 \_\_ الصفات الإلهية.
- 43 \_\_ على والفلسفة الإلهية (بالعربية).
- 44 \_\_ القرآن في الإسلام (بالفارسية) ترجم إلى العربية.
- 45 \_\_ ماذا بعد الموت.
- 46 \_\_ مجموعة مقالات (برشها وباسخها)، (بالفارسية).
- 47 \_\_ المحاكمات.
- 48 \_\_ محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مرآة الإسلام.
- 49 \_\_ المخلوقات الخفية في القرآن (بالعربية).
- 50 \_\_ مدرسة التشيع.
- 51 \_\_ المذهب الواقعي (روش رئاليسم) (بالفارسية).
- 52 \_\_ المرأة في الإسلام (بالعربية).

53 \_\_ مرجعيت وروحانيت (باللغة الفارسية) رسالة فى الأسس الواقعية للحكومة الإسلامية.

54 \_\_ مسائل إسلامية.

55 \_\_ معنوية التشيع (بالفارسية).

56 \_\_ من روائع الإسلام (بالفارسية).

57 \_\_ منتخبات أز نهج البلاغة (بالفارسية).

58 \_\_ منظومة فى قواعد الخط الفارسى.

59 \_\_ الميزان فى تفسير القرآن (بالعربية: فى عشرين جزءا، وقد ترجم إلى اللغة الفارسية فى 40 جزءا كما ترجم إلى لغات أخرى).

60 \_\_ النبوة والإمامة: رسالة.

61 \_\_ النبوة والمقامات.

62 \_\_ نظرية السياسة والحكم فى الإسلام (بالفارسية) وقد ترجم إلى العربية.

63 \_\_ نهاية الحكمة (بالعربية)، جامع للمسائل الفلسفية بأحدث أسلوب (1).

---

1- إعتمدنا فى جمع تصانيف العلامة الطباطبائى على المراجع التالية: تذكرة الأعيان، السبحانى: 436، و451، و455 \_\_ 456. الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسينى: 67 \_\_ 68، و73 \_\_ 74. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوى: 472 \_\_ 473. نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائى، على أمين آل صفا: 44 \_\_ 46. المجتمع المدنى عند العلامة الطباطبائى، الجياشى: 29 \_\_ 32. سيرة العلامة الطباطبائى بقلم كبار العلماء والأعلام: 39 \_\_ 40، و107.

## وفاته

قال السبحاني: عاش ثمانين سنة وثمانية عشر يوماً، وخلف تراثاً علمياً ضخماً، ورعى جيلاً كبيراً من المفكرين أوجد من خلالها تحولات عظيمة في العلوم الإسلامية، ولقى ربه بنفس مطمئنة يوم الأحد الثامن عشر من محرم الحرام من شهر عام 1402هـ، (1981م) قبل الظهر بثلاث ساعات وورى جثمانه الطاهر في حرم السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام تجدد صخرة قبره إلى جنب قبر السيد النقي الورع السيد أحمد الخونساري \_\_ قدس الله سرهما \_\_ فاقترن الكوكبان في مضجعهما كما كان بينهما ألفة في حال حياتهما(1).

قال السيد محمد الحسين الحسيني: المدهش تساوى عمر العلامة مع أستاذه القاضي، فقد عاش كل منهما 81 سنة.

كما في حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقد عاش كل منهما 63 سنة(2).

1- تذكرة الأعيان، السبحاني: 433.

2- الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني: 23 \_\_ 24.



## مقدمة المترجم

يشغل الحديث عن الموت، والدعوة إلى استذكاره، حيزاً كبيراً في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وعلماء الأخلاق، باعتبار الموت، يمثل حداً فاصلاً بين عالمين: الدنيا التي يحيا فيها الإنسان، والآخرة التي يحاسب فيها على ما عمله في حياته، ليؤول بعدها إلى المصير الخالد، أما في جنات النعيم أو في سعير جهنم.

وعند ما يتذكر الإنسان الموت، فإنه يستحضر المراحل التي ستبدأ بعده، بدءاً بالقبر ومروراً بالبرزخ، وانتهاء بيوم الحساب وما يترتب عليه من تحديد المصير النهائي للإنسان. وفي كل مرحلة من هذه المراحل، يتحدد وضع الإنسان فيه، شقاءً أو سعادة، عذاباً أو تكريماً، على أساس ما قدم في حياته.

من هنا فإن ذكر الموت، تحذير للإنسان، من عواقب السوء من أعماله، فيتجنبه، والصالح منها، فيزيد منه ما استطاع. لا أن يتحول ذكر الموت إلى عامل سلبي، يغرس الحزن والهلع واليأس في النفوس، فتشل حركة الإنسان ويتراجع نشاطه وتبرد همته.

الكتاب الذى بين يديك — عزيزى القارئ — يضم بين دفتيه بحثاً (أو رسالة كما يسميها المؤلف) يخوض فى تفاصيل أحوال مرحلة ما بعد الموت، من القبر وحتى قيام الساعة، وحال الإنسان فى كل منها، وقد اعتمد المؤلف المفسر الكبير والفيلسوف الربانى السيد الطباطبائى K على الآيات القرآنية فى وصفه لتلك «الحياة»، وما يجرى فيها، متبعاً أسلوبه الشهير القائم على تفسير القرآن بالقرآن والبرهان على آية، بآية أخرى. وبدورنا حاولنا — خلال الترجمة — تبسيط ما أمكن من العبارات معقدة الأسلوب، مع المحافظة على المعنى، لتكون فى متناول إدراك عامة القراء. سائلين المولى أن يجعلنا جميعاً من أهل السعادة، بعد الموت، إنه سميع مجيب.

سالم مشكور

شوال 1413

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أوليائه المقربين محمد وآله الطاهرين.

هذا الكتاب يتضمن رسالة كتبناها في موضوع المعاد<sup>(1)</sup>، نخوض فيها — بعون من الله سبحانه وتعالى — بحال الإنسان في مرحلة ما بعد الحياة الدنيا، استناداً إلى ما

---

1- قال الجوهري: المعاد: المصير والمرجع. الصحاح، الجوهري: 514/2، مادة «عود». قال الطريحي: المعاد، هو: بعث الأجسام البشرية، وتعلق أنفسها بها للنفع، أو الانتصاف والجزاء. مجمع البحرين، الطريحي: 3 / 272، مادة «عود». قال الشيخ كاشف الغطاء: المعاد، هو: الشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال: هذا فلان. أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطاء: 232، المعاد. قال الطباطبائي في تفسيره الميزان: «المعاد، هو: رجوع الإنسان بشخصه وعينه لا- بمثله فإن مثل الشيء غيره». الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 87/14، تفسير سورة مريم.

يوصلنا إليه البرهان(1)، وما يقدمه لنا القرآن والسنة في هذا المجال. وقد أثرنا الاختصار والاقتصار على المفاهيم العامة. ذلك أن المنهج(2) الذي نتبعه، والقائم على تفسير الآية بآية أخرى، والرواية برواية أخرى(3)، منهج عميق ليس من السهل بلوغ مداركه(4). وطبيعي أن الاكتفاء في هذا الموضوع، بذكر نموذج واحد من بين النظائر(5) المتعددة، لن يساعدنا على بلوغ الفائدة الكاملة. وسيقف القارئ على صحة قولنا خلال قراءته لهذا البحث.

1- البرهان: بيان الحجة وإيضاحها. كتاب العين، الفراهيدي: 49/4، مادة «بره».

2- المنهج والمنهاج: الطريق الواضح. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 298 / الرقم 1196 الفرق بين الشريعة والمنهاج.

3- أشار السيد المؤلف قدس سره في مقدمة تفسيره الميزان حول أسلوبه ومنهجه التفسيري للقرآن، فقال: «نفسر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها، بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق، وتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات». الميزان في تفسير القرآن، الطبائبي: 11 / 1.

4- الدرك: إدراك الحاجة والطلبية. كتاب العين، الفراهيدي: 327 / 5، مادة «درك».

5- نظير الشيء: مثله، لأنه إذا نظر إليها كأنهما سواء في المنظر، وفي التأنيث نظيرة، وجمعه: نظائر. كتاب العين، الفراهيدي: 156 / 8، مادة «نظر».



ولا بد من القول هنا أن مفسرى الأخبار والروايات لم يعتمدوا الأسلوب السالف (1) الذكر، لاستنباط (2) معانى الآيات والروايات ومكنوناتها (3). وبالنتيجة، لم يتركوا لنا حتى القليل من الآثار فى هذا المجال.

من هنا، فإن من يريد اعتماد هذا الأسلوب سيواجه صعوبة بالغة، وسيكون كالذى يدخل ساحة القتال دون سلاح، والله المستعان.

محمد حسين الطباطبائي

---

1- سلف: سلف يسلف سلفا وسلوفا: تقدم. السالف: المتقدم. لسان العرب، ابن منظور: 158/9، مادة «سلف».

2- استنبط الفقيه، أى: استخراج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده. تاج العروس، الزبيدي: 230/5.

3- الكن والكنة والكنان: وقاء كل شىء وستره، والجمع أكنان وأكنة. كن الشىء يكنه كنا وكنونا وأكنه وكنه: ستره. لسان العرب، ابن منظور: 360/13، مادة «كنن». الكن: السترة. أكننته فى نفسى أسررته. اكنن واستكن أى: استتر. مجمع البحرين، الطريحي: 77/4، مادة «كنن».



## الفصل الأول: الموت والأجل

إشارة



## الموت و الأجل

## إشارة

## الموت (1) والأجل (2)

1- قال ابن الأثير: الموت: النوم الثقيل. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: 4 / 369، مادة «موت». قال الجرجاني: الموت: صفة وجودية خلقت ضدا للحياة. التعريفات، الجرجاني: 129، باب الميم، الموت. قال الزبيدي: الموت: السكون، يقال مات سکن، وكل ما سکن فقد مات. تاج العروس، الزبيدي: 1 / 586. قال الطباطبائي: الموت: زهاق الروح وبطلان حياة البدن. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 37 / 4، تفسير سورة آل عمران، كلام في الامتحان وحقيقته. وقال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا: الموت: انتقال من عالم إلى آخر. وقال أيضا، الموت: هو الخروج من النشأة الأولى (الدنيا)، ودخول النشأة الأخرى (الآخرة). وقال أيضا: الموت: الأجل الثابت الذي هو حق إلهي. وقال أيضا: الموت: جسر ينقلكم من عالم الشدائد والمصاعب إلى الجنة الواسعة والنعيم الدائم. وقال أيضا: الموت: هو يوم العودة إلى الله سبحانه وتعالى. وقال أيضا: الموت: جسر يوصل المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى جهنم. أنظر: الفصل الأول، الموت انتقال من عالم إلى آخر.

2- عن حمزان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: (فَصَيِّ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) سورة الأنعام / 2، قال: فقال: هما أعلان، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم. تفسير العياشي، العياشي: 1 / 354 \_\_ 355، تفسير سورة الأنعام / ح 7. عن أبي عبد الله عليه السلام في توضيح قوله تعالى: (فَصَيِّ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام / 2، قال: الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق. تفسير العياشي، العياشي: 1 / 355، تفسير سورة الأنعام / ح 9. قال الفراهيدي: الأجل: غاية الوقت في الموت. كتاب العين، الفراهيدي: 6 / 178، مادة «أجل». قال الطباطبائي: أن المراد بالأجل والأجل المسمى، هو: آخر مدة الحياة لإتمام المدة كما يفيد قوله: (فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) سورة العنكبوت / 5. الأجل: أعلان: الأجل على إبهامه، والأجل المسمى عند الله تعالى، وهذا هو الذي لا يقع فيه تغير لمكان تقيده. إن الأجل المسمى هو: الذي وضع في أم الكتاب، وغير المسمى من الأجل هو المكتوب فيما نسميه بلوح المحو والإثبات. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 7 / 9، تفسير سورة الأنعام. وقال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا في الفصل الأول الموت والأجل: الأجل نوعان، الزماني الدنيوي، والأمر الإلهي.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) (1).

---

وهذه الآية توضح أن لكل موجود، من السماء وحتى الأرض وما يوجد بينهما، أجل وصفه البارئ عز وجل بأنه «مسمى» أى محدد ومقدر بحيث لا يتعداه أى موجود(1)، كما يتضح من الآية الكريمة:

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (2).

وكذلك الآية:

(مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) (3).

والكثير من الآيات الأخرى المنطوية على نفس المعنى(4).

1- قال مغنية: الأجل المسمى: الأمد المعلوم. التفسير الكاشف، ابن مغنية: 3 / 200، تفسير سورة الأنعام. وقال أيضا: الأجل المسمى: العمر المقدر. التفسير الكاشف، ابن مغنية: 4/203، تفسير سورة هود. وقال الطباطبائي أيضا، الأجل المسمى: هو الوقت المعلوم عند الله الذى لا يتخطاه حياة الإنسان الدنيوية. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 7/130 \_\_ 131، تفسير سورة الأنعام. قال الطباطبائي: الأجل المسمى: هو الوقت الذى ينتهى إليه الحياة لا تتخطاه البتة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 10/ 141، تفسير سورة هود. وقال الطباطبائي فى كتابه هذا الذى بين أيدينا فى الفصل الأول الموت والأجل، الأجل: هو من عند الله وهو أمر إلهى، (عند الله)، يعنى: أنه ثابت ومصون من كل تأثير.

2- سورة الأعراف / 34.

3- سورة الحجر / 5.

4- ورد ذكر الأجل مكررا فى الكتاب العزيز، ومن الآيات أوردنا ما يلى: سورة الأنعام / 2، ونصها: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) سورة الأعراف / 34، ونصها: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) . سورة يونس / 49، ونصها: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ). سورة غافر / 67، ونصها: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

إن «أجل» الشىء، هو الزمان الذى ينتهى عنده(1)، ولهذا يستخدم هذا المصطلح فى موضوع الدّين، الذى يحدد له «أجل مسمى»(2). وفى الآية:

(قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) (3)

ورد الـ«يوم» للدلالة على «الأجل»(4).

1- الأجل: مدة الشىء. الصحاح، الجوهري: 1621 / 4، مادة «أجل».

2- إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة/ الآية 282، ونصها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..).

3- سورة سبأ / 30.

4- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) سورة سبأ/30، أى: لا- تتأخرون عن ذلك اليوم، ولا تتقدمون عليه بان يزداد فى آجالكم، أو ينقص منها. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: 217 / 8، تفسير سورة الأحزاب. وقال القرطبي: فى تفسير قوله تعالى: (لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) سورة سبأ / 30، وقت حضور الموت، أى: لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولى. تفسير القرطبي، القرطبي: 301 / 14، تفسير سورة سبأ.



وفى الآية الكريمة:

(الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (1).

يخبرنا البارى عز وجل أن «الأجل المسمى» هو عنده (2).

ثم نقرأ فى آية كريمة أخرى:

1- سورة الأنعام / 2.

2- عن حصين عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله: (قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام/2، قال: الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذى ستره الله عن الخلائق. تفسير العياشى، العياشى: 1/355، تفسير سورة الأنعام / ح 9. قال ابن شهر آشوب فى قوله تعالى: (ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام / 2، الظاهر أنه قضى أجلا وأن عنده أجلا مسمى. متشابه القرآن، ابن شهر آشوب: 2 / 93، باب المفردات. قال الطباطبائى: الأجل المسمى: هو الذى لا يقع فيه تغير لمكان تقيده بقوله: (عِنْدَهُ) سورة الأنعام/2. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 9 / 7، تفسير سورة الأنعام.

(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) (1)، أى أن الذى عنده، خالد وثابت لا يتأثر بعوامل الدهر وظروف الزمان (2).

يقول الله تعالى:

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ) (3).

فهو يخبرنا أنه حدد أجلاً لزينة الأرض، وأن هذا الأجل، إنما هو بأمره، وكذا الحال بالنسبة للحياة الدنيا، أى أن الأجل الدنيوى إنما هو محدد بأمر الله.

إذن، فإن الأجل نوعان، أو على الأقل نوع واحد له وجهان: الأجل الزمانى الدنيوى، والأمر الإلهى (4)، وهما ما تشير إليهما الآية:

1- سورة النحل / 96.

2- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) سورة النحل / 96، إن ما عنده ثابت لا يزول ولا يتغير عما هو عليه، فهذه الخزائن كائنة ما كانت أمور ثابتة غير زائلة ولا متغيرة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 145 / 12، تفسير سورة الحجر.

3- سورة يونس / 24.

4- عن قتادة والحسن فى تفسير قوله تعالى: (قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام / 2، قضى أجل الدنيا من يوم خلقك إلى أن تموت، وأجل مسمى عنده: يوم القيامة. تفسير القرآن، الصنعانى: 2 / 203، تفسير سورة الأنعام. عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام / 2، يعنى: أجل الموت. والأجل المسمى: أجل الساعة، الوقوف عند الله. جامع البيان، ابن جرير: 196 / 7، تفسير سورة الأنعام / ح 10177.

(ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (1).

من هنا يمكن إدراك حقيقة أن «الأجل المسمى» هو من عند الله وهو أمر إلهي، و«عند الله» يعني أنه ثابت ومصون من كل تأثير. وهذا ما يتضح في الآية الشريفة:

(مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) (2).

ولهذا فإن البارئ عز وجل عبر عن «الأجل» في العديد من الآيات بعبارات «العودة إلى الله» (3) و«لقاء الله» (4).

1- سورة الأنعام / 2.

2- سورة العنكبوت / 5.

3- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى) سورة الأنعام / 60، وهو الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم. تفسير جوامع الجامع، الطبرسي: 577/1، تفسير سورة الأنعام. والآية 60 من سورة الأنعام فيها إشارة إلى العودة إلى الله عز وجل، ونصها: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

4- ومضات حول لقاء الله في القرآن الكريم: سورة البقرة / 223، ونصها: (يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُّوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلا قُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ). سورة يونس / 15، ونصها: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا). سورة الكهف / 110، ونصها: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا). سورة العنكبوت / 5، ونصها: (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). سورة فصلت / 54، ونصها: (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ). سورة الإنشاق / 6، ونصها: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ).

## الموت انتقال من عالم إلى آخر

العودة هي الخروج من النشأة الأولى (الدنيا) (1)، ودخول النشأة الأخرى

---

1- قال الشوكاني: النشأة الأولى: هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداءً واختراعاً. فتح القدير، الشوكاني: 3 / 343، تفسير سورة مريم. عن قتادة في قوله: (عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الْأُولَى) سورة الواقعة/ 62، قال: هو خلق آدم. تفسير القرآن، الصنعاني: 3 / 272، تفسير سورة الواقعة. أنشأه الله: خلقه. أنشأ الله الخلق، أي: ابتداءً خلقهم. لسان العرب، ابن منظور: 1 / 170، مادة «نشأ».

(الآخرة) (1)، إنه الموت الذى يصفه البارى عز وجل، وليس الذى يعنى التوقف عن الحركة والإحساس، وزوال الحياة الظاهرية.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (2).

إذ وصف الموت بـ«الحق» (3) فى إشارة إلى الأجل الثابت الذى هو حق إلهى. وكذلك يقول:

1- قال الطبرسى فى قوله تعالى: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى) سورة النجم / 47، أى: الخلق الثانى للبعث يوم القيامة، يعنى عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء. مجمع البيان، الشيخ الطبرسى: 304/9، تفسير سورة النجم. قال القرطبى فى قوله تعالى: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى) سورة النجم / 47، أى: إعادة الأرواح فى الأشباح للبعث. تفسير القرطبى، القرطبى: 118/17، تفسير سورة النجم. قال ابن منظور: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى) سورة النجم / 47، أى: البعثة. لسان العرب، ابن منظور: 170/1، مادة «نشأ».

2- سورة ق/ 19.

3- فى المجمع: فى تفسير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) سورة ق/ 19، قيل، معناه: جاءت سكرة الموت بالحق الذى هو الموت. مجمع البيان، الطبرسى: 240/9، تفسير سورة ق. قال القرطبى: فى تفسير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) سورة ق / 19، قيل: الحق هو الموت، سمى حقاً إما لإستحقاقه وإما لإنتقاله إلى دار الحق. تفسير القرطبى، القرطبى: 12/17، تفسير سورة ق.

(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) إلى أن يقول: (وَأَلْتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) (1).

وهي إشارة صريحة إلى أن الموت هو يوم العودة إلى الله سبحانه وتعالى (2).

وينقل الشيخ الصدوق (3) وآخرون (4) رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد فيها أن الإنسان خلق للبقاء وليس للفناء، وإنما الموت، انتقال من عالم إلى آخر (5).

كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام وصفه للإنسان بأنه خلق بشأنين: الدنيا والآخرة، فجعل الله سبحانه وتعالى، حياة الإنسان على الأرض، بعدما أنزل هذه

1- سورة القيامة / 26 \_\_ 30.

2- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) سورة القيامة / 30، المساق مصدر ميمي، بمعنى السوق، والمراد بكون السوق يومئذ إليه تعالى انه الرجوع إليه، فهو مسوق مسير من يوم موته، حتى يرد على ربه يوم القيامة. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 113/20، تفسير سورة القيامة.

3- محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، يكنى أبا جعفر، كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال، ناقدا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف. الفهرست، الطوسي: 156 \_\_ 157، باب الميم / الرقم 695 محمد بن علي بن الحسين.

4- ذكر المعنى الشيخ الصدوق في المعاني، والشيخ المفيد في الإرشاد والشيخ الطوسي في أماليه.

5- قد أورد مضمون الحديث الشيخ الصدوق كما أشار إلى ذلك المؤلف في معاني الأخبار. أنظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: 288 \_\_ 289، باب معنى الموت / ح3. الإرشاد، الشيخ المفيد: 1 / 238، باب طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله. الأمالي، الطوسي: 216، المجلس الثامن / ح29.

الحياة من السماء إلى الأرض، وعندما يوجد البارى عز وجل الفراق بين هذين الشائين، يحدث الموت، وعند ذاك يعود شأن الآخرة إلى السماء. إذن فالحياة هي على الأرض، والموت في السماء، ذلك أن الموت يعنى الفصل بين الروح والجسد. فتعود الروح إلى القدس الأول(1)، ويبقى الجسد على الأرض لكونه من شأن الدنيا(2).

ينقل عن الإمام الحسن العسكرى قوله عن الإمام على الهادى عليهما السلام أنه دخل على أحد أصحابه وكان مريضاً يبكى خوفاً من الموت. فقال له الإمام:

أنت تخاف الموت لأنك لا تعرفه. أخبرنى \_\_ لو كان بدنك مليئاً بالجراح والجرب \_\_ وتعلم أن علاجه يكمن فى استحمامك فى حمام معين يريحك من كل ما يؤلمك، أكنت تكره دخول هذا الحمام، وتفضل البقاء على معاناتك؟.

فقال الرجل: كلا، بل أفضل الحمام يا ابن رسول الله، فرد عليه الإمام:

إذن، أعلم أن الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر فرصة لتطهر نفسك من ذنوبها وذاتك مما علق بها من سيئات، فإن وردت على الموت، ستنجو من كل همّ

1- قال المجلسى: القدس الأولى وهو: عالم الأرواح التى هى أولى مخلوقاته تعالى، وهى القدرة الأولى، أى: جوهره الأول قبل الامتزاج لكل من الروح والجسد. بحار الأنوار، المجلسى: 297/58، كتاب السماء والعالم، باب 47 ما به قوام بدن الإنسان وأجزائه، بيان حديث رقم 6/.

2- أنظر: تحف العقول، الحرانى: 355، روى عن الإمام الصادق أبى عبد لله جعفر بن محمد صلوات الله عليهم أجمعين فى طوال هذه المعانى، كلامه عليه السلام فى خلق الإنسان وتركيبه. بحار الأنوار، المجلسى: 295/58 \_\_ 296، كتاب السماء والعالم، باب 47 ما به قوام بدن الإنسان.

وغمّ، وستبلغ الفرح والبهجة. هنا أحس المريض بالسكون والاطمئنان واستسلم للموت، وأغمض عينيه وودع الدنيا(1).

وفى رواية أخرى، ينقل الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن الإمام على بن الحسين عليه السلام أن الأمر لما اشتد على الإمام الحسين بن على عليه السلام فى كربلاء(2). نظر إليه أصحابه، فوجدوه فى وضع يختلف تماماً عما هم فيه من قلق

1- أنظر: معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: 29، باب معنى الموت / ح 9.

2- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبر ابنى بأرض يقال لها كربلاء هى البقعة التى كانت فيها قبة الإسلام التى نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح فى الطوفان. كامل الزيارات، ابن قولويه: 269، الباب الثامن والثمانون فضل كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام / ح 8. قال الحموى كربلاء بالمد: وهو الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على رضى الله عنه، فى طرف البرية عند الكوفة، فالكربة رخاوة فى القدمين. فيجوز على هذا أن تكون ارض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك. ويجوز أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك. معجم البلدان، الحموى: 4/ 445، كربلاء. قال الخليلي: ذكر السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني: ان (كربلاء) منحوتة من كلمتى (كور بابل) بمعنى مجموعة قرى بابلية، وقال الأب اللغوى أنستاس الكرملى: (والذى نتذكره فيما قرأناه فى بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين من (كرب) و(إل) أى حرم الله أو مقدس الله). موسوعة العتبات المقدسة، الخليلي: 8 / 9 \_\_\_ 10، كربلاء قديماً، معنى كربلاء. وقال الخليلي أيضاً: تصف دائرة المعارف البريطانية كربلاء فتقول: إنها بلدة من بلدان العراق الشهيرة تقع على درجة 32 و 40 ثانية شمالاً، و 44 ثانية شرقاً، وتبعد عن بغداد بمسافة ستين ميلاً فى اتجاه جنوبى غربى وعن فرع الهندية من الفرات بعشرين ميلاً، على حاشية بادية الشام. وسكانها كلهم من المسلمين الشيعة. موسوعة العتبات المقدسة، الخليلي: 8 / 383 \_\_\_ 384، كربلاء فى المراجع الغربية، كربلاء فى دائرتى المعارف البريطانية والإسلامية. قال أبو لحمة: تقع مدينة كربلاء فى جنوب غربى نهر الفرات وتبعد عن بغداد حوالى (105 كم) والفرق الزمنى بينهما أربع دقائق، وتقع على خط الطول 43 درجة و 55 دقيقة شمال خط الاستواء فى المنطقة المعتدلة الشمالية، وكما تقع على خط العرض 34 درجة و 45 دقيقة. كربلاء منذ العهد البابلي حتى استشهاد الإمام الحسين، على أبو لحمة: 10، الموقع الجغرافى لمدينة كربلاء. قال عامر الكربلائي: كربلاء: إحدى مدن العراق، تقع جنوب بغداد، تتصف بنقاوة هوائها وسماحة نفوس أهلها، وتشغلها عدة أفضية ونواحي، وفيها عدة من الأحياء السكنية والمناطق الخصبة بالزراعة، حيث يجرى فى وسطها نهر الفرات الذى جعله الله شفاء من كل داء. مزارات الأولياء فى ارض كربلاء، عامر الكربلائي: 12، كربلاء.



واضطراب. فكلما كان الأمر يشتد عليهم، كانوا يصابون بالدعر، وترتجف أرجلهم (1). أما الحسين عليه السلام، وبعض المقرّبين والقريبين منه، فكانوا على العكس

1- هذه نخبة من الكلمات التي ذكرت أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وفيها بيان حالهم المشهود لهم به: حدثنا محمد بن ابراهيم بن اسحاق رضى الله عنه قال: حدثنا عبد العزيز ابن يحيى الجلودى قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا جعفر بن محمد ابن عمارة عن أبيه عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قلت له اخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام واقدامهم على الموت فقال انهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها والى مكانه من الجنة. علل الشرائع، الشيخ الصدوق: 1/229 باب 163 علة إقدام أصحاب الحسين عليه السلام على القتل/ح 1. ورد في زيارة عاشوراء المروية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيتي، اللهم ارزقني شفاة الحسين يوم الورود، وثبت لى قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام. مصباح المتعجد، الشيخ الطوسى: 776. قال ابن طاووس: إن الحسين يوم الطف ثبت هو وأصحابه على القتل فى الله ومكابدة الموت وتقطيع الأعضاء فى ذات الله وما كان دون بعض من سماه وغيرهم من الصحابة والتابعين والصالحين قطعوا أعضاء وعذبوا أحياء وما ردهم ذلك عن الإيمان ولا ظهر عليهم ضعف فى قلب ولا لسان ولا جنان. سعد السعود، ابن طاووس: 136، الباب الثانى فيما وقفناه من كتب تفاسير القرآن الكريم. سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازي، عن النصر، عن عاصم بن حميد، عن الثمالى قال: قال على بن الحسين عليه السلام: كنت مع أبى فى الليلة التى قتل فى صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جنة فان القوم إنما يريدوننى، ولو قتلونى لم يلتفتوا إليكم وأنتم فى حل وسعة، فقالوا: والله لا يكون هذا أبدا فقال: إنكم تقتلون غدا كلكم ولا يفلت منكم رجل، قالوا: الحمد لله الذى شرفنا بالقتل معك. ثم دعا فقال لهم: ارفعوا رؤسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف ب صدره ووجهه ليصل إلى منزلته من الجنة. بحار الأنوار، العلامة المجلسى: 298/44. قال الإمام الحسين عليه السلام يصف أصحابه: أما والله لقد نهتهم وبلوتهم وليس فيهم الأشوس الأعمس يستأنسون بالمنية دونى أستناس الطفل بلبن أمه. الدمعة الساكبة، البهبهاني: 4/273، الفصل الحادى عشر فيما وقع بعد نزوله عليه السلام كربلاء. حمل شمر بن ذى الجوشن فى المسيرة على أهل الميسرة فثبتوا له فطاعنوه وأصحابه وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الاولين وقاتل قتالا شديدا فحمل عليه هانى بن ثبيت الحضرمى وبكير بن حى التيمى من تيم الله بن ثعلبة فقتلاه وكان القتل الثانى من أصحاب الحسين وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديدا وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارسا وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا- كشفتته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن فقال أما ترى ما تلقى خيلى منذ اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث إليهم الرجال والرماة فقال لشبث بن ربعى ألا تقدم إليهم فقال سبحان الله أتعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامة تبعته فى الرماة لم تجد من تدب لهذا ويجزى عنك غيرى. تاريخ الطبرى، الطبرى: 4 / 332. فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا حسينا ولا أنفسهم تنافسوا فى أن يقتلوا بين يديه فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاريان فقالا يا أبا عبد الله عليك السلام حازنا العدو إليك فأحببنا أن تقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك قال مرحبا بكما ادنوا منى فدنوا منه فجعلنا يقاتلان قريبا منه. تاريخ الطبرى، الطبرى: 4 / 337.



من ذلك (1)... تعلق وجوههم علامات السكون والاطمئنان (2)، وكان الأصحاب يقولون: إنه لا يخاف أبداً، فيجيبهم الإمام الحسين عليه السلام:

أيها العظام، عليكم بالصبر، فما الموت إلا جسر ينقلكم من عالم الشدائد والمصاعب إلى الجنة الواسعة والنعم الدائمة.. إنه ينقلكم من السجن إلى قصر كبير، واعلموا أن الموت لأعدائكم ليس إلا جسراً ينقلهم من القصر

- 1- قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً منه عليه السلام... الحديث. الإرشاد، المفيد: 111 / 2، باب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليهما السلام.
- 2- اطمأن الرجل، واطمأن قلبه، واطمئنت نفسه: إذا سكن واستأنس. كتاب العين، الفراهيدي: 442 / 7، مادة «طمن».

1- معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: 288 \_\_ 289، باب معنى الموت / ح 3، وفيه النص: «قال على بن الحسين عليهما السلام: لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجبت قلوبهم وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدي جوارحهم وتسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام: صبرا بنى الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب إن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت». سند الرواية التي أوردها العلامة الطباطبائي هو الآتي: حدثنا محمد بن القاسم المفسر الجرجاني رحمه الله، قال: حدثنا أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي الناصري، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين: وقد أوردنا فيما يلي ترجمة المفسر الجرجاني محمد بن القاسم، لبيان حال الرواية، وفيما جمعه السيد الخوئي قدس سره الكفاية في بيان ما أوردنا بيانه. محمد بن القاسم الاسترآبادي: من مشايخ الصدوق \_\_ قدس سره \_\_، ذكره في المشيخة، وفي باب التلبية. الفقيه: الجزء 2، الحديث 967. وذكره مترضيا عليه في العيون: الجزء 1، الباب 28، فيما جاء عن الامام علي بن موسى عليهما السلام من الاخبار المتفرقة، الحديث 19. أقول: هذا هو محمد بن القاسم المفسر الاسترآبادي، الذي روى عنه الصدوق كثيرا، ففي بعض الموارد عبر عنه بمحمد بن القاسم الاسترآبادي كما تقدم، وفي بعض الموارد عبر عنه بمحمد بن القاسم المفسر. العيون الجزء 1، الباب 11، فيما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام، في التوحيد، الحديث 36. وقد يجمع بين الامرين فيعبر عنه بمحمد بن القاسم الاسترآبادي المفسر. العيون: الجزء 1، الباب 28، الحديث 30. وقد يعبر عنه بمحمد بن القاسم المفسر، المعروف بأبي الحسن الجرجاني. العيون: الجزء 1، الباب 26، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار النادرة في فنون شتى، الحديث 4، وقد جمع بين الجميع، وقال: حدثنا محمد بن القاسم الاسترآبادي المعروف بأبي الحسن الجرجاني المفسر (رضى الله عنه). المعاني: باب معنى الحروف المقطعة 16، الحديث 4. ووصفه بالخطيب، كما هو مذكور في أول التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام. وقال ابن الغضائري: «محمد بن القاسم المفسر الاسترآبادي: روى عنه أبو جعفر بن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيره يرويه عن رجلين مجهولين، أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر علي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي، عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير». (إنتهى). وذكر العلامة مثل ذلك في (60) من الباب (1). من حرف الميم، من القسم الثاني، وقال: «محمد بن القاسم، وقيل: ابن أبي القاسم المفسر الاسترآبادي...» (إلى آخر ما ذكرناه). بقى هنا أمور: الاول: ان محمد بن القاسم تكرر ذكره في رواية الصدوق \_\_ قدس سره \_\_ عنه في كتبه، وليس في شيء من هذه الموارد التعبير عنه بمحمد بن أبي القاسم، فلم يظهر وجه لما ذكره العلامة، وقيل: ابن أبي القاسم. الثاني: أن محمد بن القاسم هذا لم ينص على توثيقه أحد من المتقدمين، حتى الصدوق \_\_ قدس سره \_\_ الذي أكثر الرواية عنه بلا واسطة. وكذلك لم ينص على تضعيفه، إلا ما ينسب إلى ابن الغضائري، وقد عرفت غير مرة أن نسبة الكتاب إليه لم تثبت، وأما المتأخرون فقد ضعفه العلامة، والمحقق الداماد، وغيرهما، ووثقه جماعة آخرون على ما نسب إليهم، والصحيح أن الرجل مجهول الحال، لم تثبت وثاقته، ولا ضعفه، ورواية الصدوق عنه كثيرا لا تدل على وثاقته، ولا سيما إذا كانت الكثرة في غير كتاب الفقيه، فإنه لم يلتزم بأن لا يروى إلا عن ثقة، نعم لا يبعد دعوى أن الصدوق كان معتمدا عليه لروايته عنه في الفقيه، المؤيد بترضيه وترحمه عليه كثيرا، ولكن اعتماد الصدوق لا يكشف عن الوثاقة، ولعله كان من جهة أصالة العدالة، وعلى كل حال فالتفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام

بروايته لم يثبت، فإنه رواه عن رجلين مجهول حالهما، وقد أشرنا إلى ذلك في ترجمة علي بن محمد بن يسار. الثالث: أن المذكور في كلام ابن الغضائري، والعلامة، أن التفسير رواه يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن يسار (سيار)، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، وفي هذا سهو من جهتين: الأولى: أن الرجلين روايا هذا التفسير عن الامام عليه السلام، بلا واسطة، لا بواسطة أبيهما، وإنما ذكر الصدوق أنهما كانا من الشيعة، عن أبيهما، كما تقدم في ترجمة علي بن محمد بن يسار، وصرح بذلك في أول التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام. نعم ورد في موارد رواية الصدوق، عن محمد بن القاسم الاسترآبادي، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي الامام العسكري عليه السلام، كما في الحديثين المتقدمين من الفقيه والمعاني، وكما في الحديث 1، من الباب 27، فيما جاء عن الرضا عليه السلام، في هاروت وماروت من العيون: الجزء 1، وغير بعيد أن تكون كلمة عن أبيهما، في هذه الموارد من زيادة النسخ، أو أن جملة: وكان من الشيعة، ساقطة قبل كلمة: عن أبيهما. الثانية: أنهما نسبا التفسير إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام، مع أنه منسوب إلى أبي محمد العسكري عليه السلام. الرابع: أن المذكور في كلام ابن الغضائري، والعلامة، أن التفسير موضوع عن سهل الديباجي، عن أبيه، بأحاديث من هذه المناكير، وهذه العبارة لا نعرف لها معنى محصلا، فإن سهلا لم يقع في سند هذا التفسير، وإنما رواه الصدوق \_\_ قدس سره \_\_، عن محمد بن القاسم، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن يسار، عن الإمام العسكري عليه السلام، وغير بعيد أن تكون في العبارة تحريف، أو سقط من النسخ. معجم رجال الحديث، الخوئي: 161/18 \_\_ 164 / الرقم 11613 محمد بن القاسم الاسترآبادي. راجع المقدمة والرسالة الرجالية في نهاية التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام طبعة مدرسة الإمام المهدي عليه السلام \_\_ الطبعة الأولى \_\_ سنة 1409 هـ \_\_ قم المقدسة. إذ ورد فيها تحليل وتفصيل مستند حول تفسير الإمام العسكري عليه السلام ورواته لم نذكره لعدم ارتباطه في بحثنا وتجنباً للإطالة. ونكتفي بهذا القدر من الإيضاح للتوقف في الرواية؛ لعله راويها دون احتمال الأصابة في العدالة، مع التواتر في جرحه على لسان جهابذة علماء الرجال.





ويورد الإمام الحسين لأصحابه ما نقله له أبوه الإمام علي عليه السلام عن رسول الله من إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت، جسر يوصل المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى جهنم(1).

وينقل الإمام الباقر عليه السلام أن الإمام السجاد عليه السلام سئل عن الموت فقال بأنه للمؤمن كخلع ملابس قدرة وفك قيود وسلاسل ثقيلة، والاستعاضة عنها بملابس نظيفة معطرة ومراكب مريحة ومساكن واسعة. وأنه بالنسبة للكافر، كخلع الملابس الفاخرة وترك المسكن النظيف الواسع، إلى مسكن بعيد قدر حيث العذاب واللباس القذر(2).

وعندما يُسأل الإمام الباقر نفسه عن الموت، يجيب بأنه النوم الذي يأتي الإنسان كل ليلة، إلا أنه أطول منه مدة، بحيث لا يفيق منه الإنسان إلا يوم القيامة ويشبهه الإمام، الموت، بما يراه الإنسان في منامه من أحلام جميلة أو كوابيس مرعبة، ثم يدعو الناس إلى التهيؤ له(3).

1- معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: 288 \_ 289، باب معنى الموت / ح 3.

2- معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: 289، باب معنى الموت / ح 4، وفيه النص «وقال محمد بن علي عليهما السلام قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام ما الموت قال: للمؤمن كنز ثياب وسخة قملة وفك قيود وأغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وأنس المنازل والكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب».

3- معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: 289، باب معنى الموت / ح 5، وفيه النص: «وقيل لمحمد بن علي عليهما السلام ما الموت قال: هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه هذا هو الموت فاستعدوا له».



## الروح تنتقل مع الموت

إن تشبيه الإمام الباقر عليه السلام للموت، بالنوم، مستوحى من الآية الكريمة:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ) (1).

إذ نلاحظ أن الله عز وجل وصف الحالتين بـ«الوفاة»، ثم استخدم «الإمساك» للتعبير عن الأولى، أى التى تعود فيها الروح إلى ربها، ونلاحظ أنه لم يقل «يقبض» بدلاً عن «يمسك» (2).

1- سورة الزمر / 42.

2- قال القشيري في قوله تعالى: (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) سورة الزمر/ 42، يقبض الله الروح فى حالين، فى حالة النوم وحالة الموت، فما قبضه فى حال النوم فمعناه أنه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكأنه شىء مقبوض، وما قبضه فى حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة. وقوله: (وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ) سورة الزمر/ 42، أى: يزيل الحابس عنه فيعود كما كان. فتوفى الأنفس فى حال النوم بإزالة الحس وخلق الغفلة والآفة فى محل الإدراك. وتوفىها فى حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية. تفسير القرطبي، القرطبي: 261 / 15، تفسير سورة الزمر.

أما قول الأئمة الأطهار أن الروح، تفارق الجسد عند الموت، فهو مستوحى من الآية الكريمة:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) (1)، ذلك أن الباري عز وجل نسب «التوفى» إلى «الأنفس» باعتبار ذلك، استيفاء كاملاً للحق المطلوب، وكذلك في الآية: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) (2)، نسب «التوفى» لـ«كم»، وهى الضمير المعبر عن الأنفس والتي يذكرها الإنسان بكلمات «أنا» و«نحن» (3). إذن فالذى ينتقل من الإنسان إلى النشأة (4) الأخرى (5) هو الروح (6) والآية الكريمة:

1- سورة الزمر / 42.

2- سورة الأنعام / 60.

3- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَقَالُوا أُرِيدُوا أَن نَّكُونَ كَالَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ) (1)، يقول إنكم بالموت لا تفضلون في الأرض ولا تتعدمون بل الملك الموكل بالموت يأخذ الأمر الذى تدل عليه لفظة (كم) و(نا)، وهى: النفوس. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 11 / 299، تفسير سورة الرعد.

4- أنشأه الله: خلقه. وأنشأ الله الخلق أى: ابتداء خلقهم. لسان العرب، ابن منظور: 170 / 1، مادة «نشأ».

5- النشأة الأخرى: مر تعريفها فى الفصل الأول، الموت انتقال من عالم إلى آخر.

6- قال عبد الغفار الأسلمى فى قول الله عز وجل: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا... أَجَلٍ مُّسَمًّى) سورة الزمر / 42، فليس ترى الأرواح كلها تصوير إليه عند منامها فيمسك ما يشاء ويرسل ما يشاء، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنما يصير إليه أرواح العقول فأما أرواح الحياة فإنها فى الأبدان لا تخرج إلا بالموت ولكنه إذا قضى على نفس الموت فقبض الروح الذى فيه العقل... الحديث. جامع الأخبار، الشعيرى: 171، الفصل 136 فى الروح. قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) سورة الزمر / 42، التى تتوفى عند الموت هى نفس الحياة التى إذا زالت زال معها النفس. وقال أيضا: قبض النوم يكون الروح معه وقبض الموت يخرج الروح من البدن. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: 8 / 403 \_\_ 404، تفسير سورة الزمر. قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) السجدة / 11، أن الروح عند الموت مأخوذ من البدن والبدن على حاله من غير أن ينقص منه شىء. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 12 / 154، تفسير سورة الحجر. وقال الطباطبائي أيضا فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / 42، المراد بالأنفس الأرواح المتعلقة بالأبدان لا مجموع الأرواح والأبدان لان المجموع غير مقبوض عند الموت وإنما المقبوض هو الروح. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 17 / 269، تفسير سورة الزمر.

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (1).

تشير إلى هذا الأمر بوضوح، فالكدح هو السعي باتجاه شىء، والإنسان هو الساعي إلى الله، وهو الذى يسير إليه منذ بدء خلقه (2)، ولهذا فإن آيات عدة

1- سورة الإنشقاق / 6.

2- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) سورة الانشقاق / 6، قال الراغب: الكدح السعى والعناء. ففيه معنى السير، وقيل: الكدح جهد النفس فى العمل حتى يؤثر فيها. وعلى هذا فهو مضمن معنى السير بدليل تعديه بالى، ففي الكدح معنى السير على أى حال. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 20 / 242، تفسير سورة الانشقاق. قال الشوكاني فى تفسير قوله تعالى: (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا) سورة الانشقاق / 6، الكدح فى كلام العرب السعى فى الشىء بجهد من غير فرق بين أن يكون ذلك الشىء خيراً أو شراً، والمعنى أنك ساع إلى ربك فى عملك أو إلى لقاء ربك. فتح القدير، الشوكاني: 5 / 406، تفسير سورة الإنشقاق.

تحدث عن إقامة الإنسان في الدنيا بكلمات «لبث» (1) أو «مكث» (2) كما في الآية:

(قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ) (3).

1- وردت في القرآن كلمة (لبث) في أكثر من ثلاثين موضعاً، نذكر منها الآتي: سورة البقرة / 259، ونصها: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). سورة يونس / 16، ونصها: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ). سورة العنكبوت / 14، ونصها: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) .

2- وردت كلمة (مكث) في كتاب الله العزيز في موارد عدة، نذكر منها ما له علاقة بإقامة الإنسان في الأرض: سورة طه / 10، ونصها: (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى). سورة النمل / 22، ونصها: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ).

3- سورة المؤمنین / 112.

## من الذى يتوفى الأنفس؟

يقول البارى عز وجل:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) (1) وهى إشارة صريحة إلى أن «لتوفى» منسوب إليه (2). وفى آية أخرى:

(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) (3).

نجد أن «لتوفى» منسوب إلى ملك الموت (4).

1- سورة الزمر / 42.

2- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) سورة الزمر / 42، انه تعالى يتوفى الأنفس التى لم تمت. مجمع البيان، الطبرسى: 3 / 461، تفسير سورة المائدة. قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / 42، أى: يقبضها عند فناء آجالها. تفسير القرطبى، القرطبى: 15 / 260، تفسير سورة الزمر.

3- سورة السجدة / 11.

4- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ) سورة السجدة / 11، إن الذى يتولى قبض الأرواح ملك الموت بأمر الله. التبيان، الطوسى: 9 / 31، تفسير سورة الزمر. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) سورة السجدة/ 11، فنسبه (الموت) إلى ملك الموت. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 3 / 191، تفسير سورة آل عمران. وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى: (مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) سورة السجدة / 11، أى: وكل بإماتتكم وقبض أرواحكم، وقد نسب التوفى فى الآية إلى ملك الموت. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 16 / 251، تفسير سورة السجدة.

وفى آية ثالثة: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) (1) نجد أن «لتوفى» نسب إلى «الملائكة المرسلين» (2).

طبيعي أن المرجع والمصدر لكل هؤلاء واحد، ذلك أن جميع ذلك يتم بإرادة الله وأمره، لكن التنفيذ يتم على مستويات متعددة، طبقاً لمستوى الفئة التي تجرى بحقها عملية «الوفاة» (3).

1- سورة الأنعام / 61.

2- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام/61، هم الملائكة. تفسير القمى، القمى: 1 / 203، تفسير سورة الأنعام. قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) سورة الأنعام/61، يعنى: وقت الموت، (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام / 61، يعنى: قبضت الملائكة روح المتوفى، وهم رسل الله الذين عناهم الله. التبيان، الشيخ الطوسى: 4 / 158، تفسير سورة الأنعام. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام/61، فنسبه (الموت) إلى جمع من الملائكة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 3 / 191، تفسير سورة آل عمران.

3- الوفاة: المنية. وتوفى فلان، وتوفاه الله: إذا قبض نفسه. كتاب العين، الفراهيدى: 8 / 410، مادة «وفى». الوفاة: الموت. لسان العرب، ابن منظور: 15 / 400، مادة «وفى».

وهناك العديد من الروايات والأخبار التي تؤيد ذلك، فقد نقل عن الإمام الصادق أن ملك الموت سئل كيف يستطيع قبض أرواح أناس متوزعين على مشارق الأرض ومغاربها فأجاب بأنه يستدعى هذه الأرواح، وهي تستجيب له.

ثم قال (1) أن الدنيا بين يديه، كما الإناء بيد الإنسان يأكل من أى جانب منه يشاء، وأن الدنيا بين يديه (أى: ملك الموت) كما الدرهم بيد الإنسان يديره كيفما يشاء (2).

وفى رواية أخرى أن جماعة من المؤمنين سألوا الإمام الصادق عليه السلام عن الآيات التالية:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) (3) و(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) (4) و(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) (5) و(تَوَفَّيْتَهُ رُسُلَنَا) (6) و(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ) (7)

1- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

2- أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1/134، باب غسل الميت / ح 12.

3- سورة الزمر / 42.

4- سورة السجدة / 11.

5- سورة النحل / 32.

6- سورة الأنعام / 61.

7- سورة الأنفال / 50.

سألوه: كيف يمكن أن تكون هذه الآيات صحيحة، بينما نحن نعرف أنه قد يموت عدد كبير من الناس، من أنحاء العالم، وفي آن واحد، فأجاب:

بأن الله تبارك وتعالى، جعل لملك الموت مساعدين من الملائكة، يتولون قبض الأرواح مثلما يتخذ قائد الحرس، أفراداً مساعدين له.

فالملائكة المساعدون يقومون بتوفى الأشخاص المختلفين، ثم يقوم ملك الموت باستلامهم إلى جانب الذين يتوفاهم بنفسه، ثم يتوفاهم الله عز وجل جميعاً (1).

وقد وردت رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام تتضمن نفس هذا المعنى، وورد في نهايتها تأكيد من الإمام بأنه لا يمكن لكل صاحب علم أن يعطى علمه ويشرحه لكل الناس، لأنهم مختلفين في استيعابهم لبعض العلوم وإدراكهم لها، لأن بعض هذه العلوم — والحديث للإمام على — لا يقوى على تحملها إلا من أوتى عوناً إلهياً خاصاً لإدراكها وفهمها. ثم يقدم الإمام على عليه السلام نصيحته فيقول بأنه يكفي للإنسان أن يعرف أن الله هو المحيي والمميت (2)، وأنه يتوفى الأنفس (3)، على يد من يريد، سواء كانوا ملائكة أو غير الملائكة (4).

1- أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1 / 136 — 137، باب غسل الميت / ح 26.

2- إشارة إلى قوله تعالى من سورة آل عمران / 27. ونصها: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

3- إشارة إلى قوله تعالى من سورة الزمر / 42. ونصها: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

4- أنظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: 268 — 269، باب الرد على الثنوية والزنادقة / قطعة من الحديث رقم 5.



وللوهلة الأولى يفهم السامع من عبارة «غير الملائكة» الواردة في كلام الإمام عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يتوفى بعض الأنفس أحياناً على يد غير الملائكة، وهذا يحمل علامات استفهام واستغراب.

فقد يكون المقصود بـ«غير الملائكة» هم بعض الأولياء المقربين الذين يتمتعون بمرتبة أعلى من الملائكة(1). وقد يكون المقصود بذلك، أولئك الذين يتوفاهم الله مباشرة دون وساطة الملائكة، هذا مع أن خلفية هذين الاحتمالين واحدة.

لقد ورد في «الكافي» رواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان يقول دائماً أن كلام الباري عز وجل:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) (2) يقصد به موت العلماء(3). وقال بعض العلماء أن «أطراف» التي هي جمع «طرف»، يقصد بها العلماء والأشرف(4).

1- عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ) سورة الأنعام / 61، قال: الرسل توفى الأنفس، ويذهب بها ملك الموت. جامع البيان، ابن جرير الطبري: 283 / 7، تفسير سورة الأنعام / ح 10386. وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: (تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام / 61، قال: بلى قبضها الرسل، ثم يدفونها إلى ملك الموت. جامع البيان، ابن جرير الطبري: 284 / 7، تفسير سورة الأنعام / ح 10388.

2- سورة الرعد / 41.

3- أنظر: الكافي، الكليني: 38 / 1، كتاب فضل العلم، باب فقد العلماء / ح 6.

4- قال الأزهرى: أطراف الرجال: أشرفهم. لسان العرب، ابن منظور: 218 / 9، مادة «طرف». قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) سورة الرعد / 41، الأطراف: جمع طرف، أو طرف بالتسكين: بمعنى العلماء والأشرف. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: 76 / 3، تفسير سورة يوسف.

وعموماً، فكما أنّ لـ «الأنفس»<sup>(1)</sup> مراتب ودرجات حقيقية بلحاظ قربها من

1- عن أمير المؤمنين عليه السلام انه سأله إعرابي عن النفس فقال عليه السلام: «أى الأنفس تسأل؟ فقال: يا مولاي هل النفس أنفس عديدة؟ فقال عليه السلام: نفس نامية نباتية وحسية حيوانية وناطقة قدسية وإلهية كلية ملكوتية، قال: يا مولاي ما النامية النباتية؟ قال عليه السلام: قوة أصلها الطبايع الأربع، بدو إيجادها عند مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطايف الأغذية فعلها النمو والزيادة سبب افتراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود ممازجة لا عود مجاورة، فقال: يا مولاي ما النفس الحيوانية؟ قال عليه السلام: قوة فلكية وحرارة غريزية أصلها الأفلاك بدو إيجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغلبة واكتساب الشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب افتراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود ممازجة لا عود مجاورة فتتعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها، فقال: ما النفس الناطقة القدسية؟ قال عليه السلام: قوة لاهوتية بدو إيجادها عند الولادة الدنيوية مقرها العلوم الحقيقية موادها التأييدات العقلية فعلها المعارف الربانية سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود مجاورة لا عود ممازجة، فقال: ما النفس الإلهية الملكوتية الكلية؟ فقال عليه السلام: قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات أصلها العقل منه بدت وعنه دعت واليه دلت وأشارت وعودها إليه إذا كملت وشابهت ومنها بدت الموجودات واليه تعود بالكمال وهي ذات العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يشق أبداً ومن جهلها ضل وغوى... الحديث». شرح الأسماء الحسنی، هادی السبزواری: 45/2 \_\_ 46. وأنظر: التعليقة على الفوائد الرضوية، القاضي سعيد القمي: 105 \_\_ 115.

البارى عز وجل (1)، فإن الوفاة تتناسب ودرجة كل نفس، فبعضها يتوفاها الله تعالى بنفسه (2)، ولذا فإن هذه النفس لا تدرك غير الله، وهناك أنفس يتوفاها ملك الموت، وهذه لا تدرك الملائكة الذين هم دون ملك الموت، أما القسم الثالث فيتوفاها الملائكة المساعدون لملك الموت (3).

وبغض النظر عمّن يتوفى الأنفس، فإن المهم أن الذى «يتوفى» هو «النفس» وليس البدن (4)، فالله أقرب للنفس، من النفس ذاتها، والملائكة يأمرون بأمره، وينفذون ما يريد. وكذلك النفس، فهى من عالم الأمر (5)، وليس فى عالم الأمر

1- حسب ترتيب الأمام أمير المؤمنين عليه السلام ووصفه للأنفس، تعتبر النفس الإلهية أفضلها وأقربها إلى العلو والكمال والقرب من الله، ثم النفس الناطقة، ثم النفس النباتية، وأخيرا الحيوانية.

2- أنظر: البحث المتقدم «من الذى يتوفى الأنفس».

3- راجع البحث السابق.

4- قال الطبرسى فى قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / 42، أى: يقبضها إليه وقت موتها وانتضاء آجالها. التى تتوفى عند الموت هى نفس الحياة التى إذا زالت زال معها النفس. مجمع البيان، الطبرسى: 403/8، تفسير سورة الزمر. قال الشوكانى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / 42، أى: يقبضها عند حضور أجلها ويخرجها من الأبدان. فتح القدير، الشوكانى: 4/465، تفسير سورة الزمر.

5- عالم الأمر: ما وجد عن الحق من غير سبب، ويطلق بإزاء الملكوت. نصوص المصطلح الصوفى فى الإسلام، نظلة الجبورى: 150. قال المازندرانى: عالم الأمر: وهو عالم الروح والروحانيات. شرح أصول الكافى، المازندرانى: 124/3.

حجاب (1) زمانى (2) أو مكاني (3). إذن فالتوفى يتم من داخل النفس وليس من

1- الحجاب: الستر. الصحاح، الجوهري: 107/1، مادة «حجب». الحجاب: كل ما يستر مطلوبك. وهو عند أهل الحق: انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلى الحق. التعريفات، الجرجاني: 50، باب الحاء، الحجاب. الحجاب: حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده. نصوص المصطلح الصوفى فى الإسلام، نظلة الجبورى: 40.

2- الزمان عند المتكلمين: زعموا أن الزمان أمر اعتبارى موهوم. وعرفه الأشاعرة بقولهم: إنه متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم. وقال الرازى: إن للزمان كالحركة معنيين: أحدهما أمر موجود فى الخارج، غير منقسم، وهو مطابق للحركة، وثانيهما أمر متوهم لا وجود له فى الخارج. والزمان عند بعض الفلاسفة إما ماض أو مستقبل. وليس عندهم زمان حاضر، بل الحاضر هو الآن الموهوم المشترك بين الماضى والمستقبل. ومن معانى الزمان فى الفلسفة الحديثة أنه وسط لا نهائى غير محدود، شبيه بالمكان، تجرى فيه جميع الحوادث، فيكون لكل منها تاريخ، ويكون هو نفسه مدركاً بالعقل إدراكاً غير منقسم، سواء كان موجوداً بنفسه كما ذهب إلى ذلك «نيوتون» و«كلارك»، أو كان موجوداً فى الذهن فقط كما ذهب إلى ذلك «لينييز» و«كانت». قال «لينييز»: الزمان تصور مثالى. وقال «كانت»: إن الزمان صورة قبلية محيطة بالأشياء الحدسية، وإن المقادير المحدودة من الزمان ليست سوى أجزاء لزمان لا نهائى واحد. فكأن الزمان إطار محيطة بالأشياء، إلا أنه ذو بعد واحد وهو الطول. وأكثر العلماء يرمزون إلى الزمان بخط مستقيم غير محدود، كل نقطة من نقاطه مجانسة للأخرى. المعجم الفلسفى، صليبا: 637/1، باب الزاى، الزمان.

3- قال الجرجاني: المكان عند المتكلمين: «الفراغ المتوهم الذى يشغله الجسم، وينفذ فيه أبعاده». التعريفات، الجرجاني: 125، باب الميم، المكان. والمكان عند الحكماء الاشرائيين هو: البعد المجرد الموجود، وهو ألطف من الجسمانيات، وأكثر من المجردات، ينفذ فيه الجسم، وينطبق البعد الحال فيه على ذلك البعد فى أعماقه وأقطاره، فعلى هذا يكون المكان بعداً منقسماً فى جميع الجهات، مساوياً للبعد الذى فى الجسم، بحيث ينطبق احدهما على الآخر، سارياً فيه بكليته. والمكان عند المحدثين: وسط مثالى غير متداخل الأجزاء، حاو للأجسام المستقرة فيه، محيطة بكل امتداد متناه. وهو متجانس الأقسام. متشابه الخواص فى جميع الجهات، متصل، وغير محدود، وله عند علماء الهندسة صفتان أخريان: الأولى قولهم: إن المكان ذو ثلاثة أبعاد، ومعنى ذلك انه لا يلتقى فى نقطة واحدة من المكان إلا ثلاثة خطوط عمودية. والثانية قولهم: إن أجزاء المكان مطابقة بعضها لبعض، بحيث يمكنك، ان تنشئ فيه أشكالاً متشابهة على جميع المقاييس، ولا سبيل إلى إنكار هاتين الصفتين الا فى الهندسة اللاقليدية التى تقرر إن للمكان عدداً غير محدود من الأبعاد. وقد فرق «هوفدينغ» بين المكان النفسى والمكان المثالى، فقال ان المكان النفسى الذى ندركه بحواسنا مكان نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن، على حين ان المكان المثالى الذى ندركه بعقولنا مكان رياضى مجرد ومطلق، وهو وحده متجانس ومتصل. المعجم الفلسفى، صليبا: 412/2 — 413، باب الميم، المكان.

خارجها أو من البدن، فالله سبحانه وتعالى يقول: (إِذْ فَرَعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) (1) وكذلك (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) (2).

---

1- سورة سبأ / 51.

2- سورة الواقعة / 83 \_ 85.

## الموت يكشف الحقيقة للإنسان

قلنا أن النفس، لا- تفنى بالتوفى، وبما أنها عاشت الدنيا واستقرت فيها لفترة، ومّرت بحالة الغرور الدنيوى وتعودت عليه، فإن «الوفاة» ستكشف للنفس، بطلان كل ما كان فى الدنيا، من تصورات وأوهام، وبانكشاف الأسباب الظاهرية للأمور، ستتحوّل كل التطلعات والطموحات الدنيوية إلى سراب(1)، فالله سبحانه وتعالى يقول:

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُنتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (2) إن الإنسان يتعامل مع نوعين من الأمور والموجودات

1- السراب: الذى يكون نصف النهار لاطنا بالأرض، لاصقا بها، كأنه ماء جار. السراب: الذى يجرى على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 465، مادة «سرب». قال الطريحي فى قوله تعالى: (كَسَدَ رَابٍ بِقِيَعَةٍ) سورة النور/ 39، السراب: ما يرى فى شدة الحر كالماء، ويقال: السراب ما رأيته فى أول الشمس يسرب كالماء ونصف النهار. مجمع البحرين، الطريحي: 2/ 356 \_\_ 357، مادة «سرب».

2- سورة الأنعام / 93 \_\_ 94.

فى الدنيا، الأول: مباحج (1) الحياة وأدواتها التى يتصور أنه يملكها، وأنها توصله إلى طموحاته وأهدافه، والثانى: الناس الذين يتصورهم شفعاء له، فيتصور أنه لا يستطيع بلوغ حاجاته ومرامه، بدون مساعدة هؤلاء، كالزوجة والأبناء والأقرباء والأصدقاء وكل الذين لهم قوة تأثير فى مجرى الأمور.

لكن البارى عز وجل يشير فى الآية (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى... (2) بشكل إجمالى إلى بطلان النوعين (3)، فى (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ... (4) يشير

1- البهجة: السرور. بهجة لا تشبه بهجات الدنيا، أى: مسرة لا تشبه مسرات الدنيا. مجمع البحرين، الطريحي: 256/1، مادة (بهيج).

2- سورة الأنعام / 94.

3- قال الطباطبائى فى الشفعاء: المزاعم التى انضمت إلى حياته من التكثر بالأسباب والاعتضاد والانتصار بالأموال والأولاد والأزواج والعشائر والجموع، وكذا الاستشفاع بالأرباب من دون الله المؤدى إلى الإشراك كل ذلك مزاعم وأفكار باطلة لا أثر لها. وفى تبين قوله: (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) سورة الأنعام / 94، بيان لبطلان الأسباب الملهية له عن ربه المتخللة بين أول خلقه وبين يوم يقبض فيه إلى ربه. وفى تفسير قوله: (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) سورة الأنعام / 94، بيان لسبب انقطاعه من الأسباب وسقوطها عن الاستقلال والتأثير، وان السبب فى ذلك انكشاف بطلان المزاعم التى كان الإنسان يلعب بها طول حياته الدنيا. فيتبين بذلك أن ليس لهذه الأسباب والضمائم فى الإنسان من النصيب إلا أوهام ومزاعم يتلهى ويلعب بها الانسان. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 286/7

\_\_\_ 287، تفسير سورة الأنعام.

4- سورة الأنعام / 94.

إلى زوال النوع الأول وفي (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ) (1) يشير إلى زوال النوع الثاني.

أما (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ...) (2) فهي إشارة إلى سبب بطلان النوعين وزوالهما، (وَضَلَّ عَنْكُمْ...) (3) إشارة إلى نتيجة هذا البطلان.

المهم، فإن ما في الدنيا يبقى في الدنيا، أما الإنسان فيبدأ منذ وفاته، حياة جديدة، مجردة عما كان في الدنيا — ومن هنا وصف الموت بأنه «القيامة الصغرى» (4) التي قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام أن كل من يموت، تقوم قيامته (5).

1- سورة الأنعام / 94.

2- سورة الأنعام / 94.

3- سورة الأنعام / 94.

4- قال المازندراني: الموت: وهو القيامة الصغرى. شرح أصول الكافي، المازندراني: 440/10. قال الفيض الكاشاني: الموت: هو القيامة الصغرى للأكثرين والكبرى للآخرين. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: 120/1، تفسير سورة البقرة.

5- إرشاد القلوب، الديلمي: 18/1، في الحكم والمواعظ، الباب الثاني في الزهد في الدنيا. وقد ورد أصل النص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضمن حديث طويل نذكر منه موضع الحاجة: «أكثروا من ذكر هادم اللذات فإنكم إن كنتم في ضيق وسعة عليكم فرضيتم به فأثبتتم وإن كنتم في غنى نغصه إليكم فجدتم به فأجرتم فإن أحدكم إذا مات فقد قامت قيامته».



## التبشير بالسعادة أو الشقاء بعد الموت

عندما تغادر «النفس» جسم الإنسان، تققد صفة الاختيار والقدرة على فعل شيء أو تركه، وهنا يُرفع التكليف (1) عن الإنسان — النفس — فالله تعالى يقول:

(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) (2).

وفي هذه المرحلة، يقف الإنسان أمام مفترق طريقين، طريق السعادة وطريق الشقاء (3)، وعندها يتحدد الطريق الذي سيسلكه، فإما أن يتسلم بشارة السعادة،

1- الكلفة: المشقة والتكليف: الأمر بما يشق عليك وتكلف الشيء: ما يفعله الإنسان بإظهار كلف مع مشقة تناله في تعاطيه وصارت الكلفة في التعارف اسماً للمشقة والتكلف: اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشيع ولذلك صار التكلف على ضربين: محمود وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى ان يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه ويصير كلفاً به ومحباً له وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلف العبادات والثاني: مذموم وهو ما يتحراه الإنسان مراعاة. والتكاليف: المشاق الواحدة: تكلفة والتكليف: ما كان معرضاً للثواب والعقاب وهو في عرف المتكلمين: بعث من تجب طاعته على ما فيه مشقة ابتداء بشرط الإعلام. القاموس الجامع، عبدالله الغديري: 575 / 2 — 576، باب الكاف، كلف.

2- سورة الأنعام / 158.

3- عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام أنه قال: حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء. الخصال، الشيخ الصدوق: 1/5، باب الواحد، حقيقة السعادة واحدة وحقيقة الشقاء واحدة/ح14.

أو وعيد الشقاء(1)، يقول الله تعالى:

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) (2) و(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَايِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (3) وكذلك (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (4).

إن عبارة «كنتم توعدون»(5) تعني أن البشارة(6) تتحقق بعد الدنيا، أي في الآخرة.

1- عَنْ أَبِي بصيرٍ قَالَ كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا وَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ لَحِقَ الشَّقَاءُ أَهْلَ الْمُعْصِيَةِ حَتَّى حَكَّمَ اللَّهُ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ بِالْعَذَابِ عَلَى عَمَلِهِمْ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا السَّائِلُ حُكْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِحَقِّهِ فَلَمَّا حَكَّمَ بِذَلِكَ وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَوَضَعَ عَنْهُمْ ثِقَلَ الْعَمَلِ بِحَقِيقَةِ مَا هُمْ أَهْلُهُ وَوَهَبَ لِأَهْلِ الْمُعْصِيَةِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ لِسَبْقِ عِلْمِهِ فِيهِمْ وَمَنْعَهُمْ إِطَاقَةَ الْقَبُولِ مِنْهُ فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَأْتُوا حَالًا تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ وَهُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ وَهُوَ سِدْرَةٌ. الكافي، الكليني: 1/ 153، كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاء / ح2.

2- سورة الأنعام / 93.

3- سورة النحل / 32.

4- سورة فصلت / 30.

5- سورة الأنبياء / 103.

6- البشارة: الإخبار بما يسر به المخبر به إذا كان سابقا لكل خبر سواه. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 100، حرف الباء / الرقم 396 الفرق بين البشارة والخبر.

وطبيعي أن التبشير بشيء يعني الإخبار عن أمر قبل أن يحدث (1)، وهذا ما يصدق على التبشير بالجنة الذي يحدث قبل دخولها (2).

من جانب آخر، فإن التبشير، يعني الإخبار عن أمر حتمي الوقوع. وبما أن الإنسان يظل حر الاختيار حتى لحظة وفاته (3).

1- قال الرازي في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ) سورة النحل / 58، التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور. تاج العروس، الزبيدي: 45/3.

2- تضمن النص القرآني الكثير من آيات البشري، نذكر منها ما يلي: سورة البقرة / 25، ونصها: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). سورة التوبة / 21، ونصها: (يُسِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ). سورة الحديد / 12، ونصها: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

3- عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا بمر وقلقت له يا ابن رسول الله روى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين ما معناه فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال: بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت يا ابن رسول الله فما أمر بين الأمرين فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه قلت وهل لله مشية وإرادة في ذلك فقال: أما الطاعات فإرادة الله ومشيته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها وإرادته ومشيته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها قلت فلله عز وجل فيها القضاء قال: نعم ما من فعل يفعل العباد من خير أو شر إلا ولله فيه قضاء قلت ما معنى هذا القضاء قال: الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة. الاحتجاج، الطبرسي: 414/2، احتجاج أبي الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام في التوحيد والعدل.

ويظل أمام احتمال سلوكه أحد الطرفين السالفي (1) الذكر، تبعاً لعمله وسلوكه، فإن البشارة بالجنة لا يمكن أن تتحقق في الدنيا، ومن ملاحظة الآية الكريمة:

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (2) نرى أن الباري عز وجل، يثبت ولايته على هؤلاء، ثم يخبرنا بأنهم لا خوف عليهم ولا يحزنون (3). والولاية هذه تعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى تدبير أمور

1- السلف: المتقدم. قال الجوهرى: سلف يسلف سلفاً، مثال طلب يطلب طلباً، أى: مضى. لسان العرب، ابن منظور: 158/9، مادة «سلف».

2- سورة يونس / 62 \_\_\_ 64.

3- قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة يونس / 62، فهؤلاء لا يخافون شيئاً ولا يحزنون لشيء لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا إن يشاء الله، وقد شاء أن يخافوا من ربهم وان يحزنوا لما فاتهم من كرامته إن فاتهم وهذا كله من التسليم لله. فإطلاق الآية يفيد اتصافهم بهذين الوصفين: عدم الخوف وعدم الحزن فى النشأتين الدنيا والآخرة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 90/10، تفسير سورة يونس.

المؤمنين دون تدخل منهم (1)، وفي هذه الحالة فقط، تكون البشارة في الدنيا لهؤلاء، أمراً صحيحاً ومنطقياً مادام الله تعالى هو المتولى والمدير لأمر المؤمنين ومن هنا نرى أن الباري تعالى يغيّر سياق الآية عندما يصف تقوى هؤلاء المؤمنين فيقول جل وعلا (وَكَاثُرًا يَتَّقُونَ) (2)، بينما السياق الطبيعي هو (آمَنُوا وَاتَّقُوا) (3)، وهذا التغيير في السياق، إشارة واضحة إلى أن إيمان هؤلاء المؤمنين بعد إيمانهم الأول (4)، إنما جاء بفعل التقوى، وهو تعبير عن نقاء الإيمان من كل شوائب الشرك المعنوي، الناتجة عن الاعتماد على غير الله (5).

1- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة يونس / 62، الولاية: لها معاني كثيرة، لكن الأصل في معناها ارتفاع الوساطة الحائلة بين الشئيين. فالله سبحانه ولي عبده المؤمن، لأنه يلي أمره ويدبر شأنه فيهديه إلى صراطه المستقيم ويأمره وينهاه فيما ينبغي له أو لا ينبغي وينصره في الحياة الدنيا وفي الآخرة والمؤمن حقا ولي ربه لأنه يلي منه إطاعته في أمره ونهيه ويلي منه عامة البركات المعنوية من هداية وتوفيق وتأييد وتسديد وما يعقبها من الإكرام بالجنة والرضوان. فأولياء الله — على أي حال — هم المؤمنون فان الله يعد نفسه وليا لهم في حياتهم المعنوية. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 88 / 10 — 89، تفسير سورة يونس.

2- سورة يونس / 63.

3- سورة البقرة / 103.

4- في البحار: قيل: إن الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي يختص المكلف ولا يتعداه والإيمان الأول: الإيمان بالله تعالى وبما أوجب الله الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها. بحار الأنوار، المجلسي: 62 / 114، كتاب السماء والعالم، أبواب الصيد والذبائح وما يحل وما يحرم من الحيوان، باب 1 جوامع ما يحل وما يحرم من المأكولات.

5- عن أبي عبد الله عليه السلام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) سورة النساء / 71، فسماهم مؤمنين و«ليسوا هم بمؤمنين» ولا كرامة، قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا... فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) سورة النساء / 71 — 73، ولو أن أهل السماء والأرض قالوا قد أنعم الله على إذ لم أكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين (وإذا أصابهم فضل من الله) قال: يا ليتني كنت معهم فأقاتل في سبيل الله. تفسير العياشي، العياشي: 257 / 1، تفسير سورة النساء. قال الطباطبائي في تعليقه على الحديث: عن أبي عبد الله عليه السلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) سورة النساء / 71، فسماهم مؤمنين وليسوا هم بمؤمنين ولا كرامة... الحديث. المراد بالشرك في كلامه عليه السلام الشرك المعنوي لا الكفر. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 421 / 4، تفسير سورة النساء.

ونفس هذا المعنى نجده فى الآفة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) (1) وهذا ما من به الخالق عز وجل على المؤمنين. ووصفه بـ«النعمة» ثم يقول سبحانه وتعالى:

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (2)، فالمؤمنون يرجعون أمرهم إلى الله بشكل كامل دون أن يتدخلوا فيه (3).

1- سورة الحديد / 28.

2- سورة آل عمران / 173.

3- قال الطباطبائى: إن ولاية أمرنا لله ونحن مؤمنون به، ولازمه أن نتوكل عليه ونرجع الأمر إليه من غير أن نختار لأنفسنا شيئاً من الحسنه والسيئة فلو أصابتنا حسنة كان المن له وإن أصابتنا سيئة كانت المشية والخيرة له. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 306/9، تفسير سورة التوبة.

بعد ذلك تقول الآية الكريمة:

(فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ) (1)، إذ حالت هذه النعمة التي منحها الله للمؤمنين، دون إصابتهم بأى سوء، وصانتهم من كل خطر، وهذا مالا يدرك إلا في ظل الولاية الإلهية للمؤمنين، الذين يتدبر كل أمورهم. ويتكرر نفس المعنى في الآية الكريمة:

(يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (27) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا (2) إذ نلاحظ الإشارة إلى الولاية الإلهية والتثبيت الإلهي للمؤمنين بكلمة «النعمة» (3).

1- سورة آل عمران / 174.

2- سورة إبراهيم / 27 \_\_ 28.

3- قال الطباطبائي: الآيات تدل على إن هذه الأشياء المعدودة نعمًا، إنما تكون نعمة إذا وافقت الغرض الإلهي من خلقها لأجل الإنسان، فإنها إنما خلقت لتكون إمدادا إلهيا للإنسان يتصرف فيها في سبيل سعادته الحقيقية، وهي القرب منه سبحانه بالعبودية والخضوع للربوبية، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) سورة الذاريات/56. وقال الطباطبائي أيضا: فالأشياء في نفسها، عزل، وإنما هي نعمة لاشتغالها على روح العبودية، ودخولها من حيث التصرف المذكور تحت ولاية الله التي هي تدبير الربوبية لشؤون العبد، ولازمه أن النعمة بالحقيقة هي الولاية الإلهية، وأن الشيء إنما يصير نعمة إذا كان مشتملا على شيء منها، قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ) سورة البقرة/257. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 5/180 \_\_ 181، تفسير سورة المائدة.

وفى آية أخرى يخبر البارى بمآل (1) المطيعين لأوامره، حيث يحشرهم مع الذين أنعم عليهم:

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (2).

فالشخص المطيع لا يمتلك إرادة فعل شىء، خارج إرادة المطاع، وفى النتيجة، يقوم المطاع بالتحكم فى إرادة وأفعال المطيع، وينوب عنه فى كل ذلك، وعلى هذا يكون المطاع ولياً للمطيع (3). كما أن هذا المطيع الخاضع للإرادة الكاملة

1- آل الشىء يؤول أولا وماآلا: رجع. أول إليه الشىء: رجعه. لسان العرب، ابن منظور: 32/11، مادة «أول».

2- سورة النساء / 69.

3- قال السبزوارى: المطيع علمه وإرادته ومشيتته وقدرته وأفعاله متلاشية فى صفة المطاع وفعله ولم يبق لنفسه شيئا من ذلك. شرح الأسماء الحسنى، السبزوارى: 284/1. قال الطباطبائى: يعد المطيع عبدا للمطاع لأنه بإطاعته يتبع إرادته إرادة المطاع فهو مملوكه المحروم من حرية الإرادة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 6 / 361، تفسير سورة المائدة، الآيات (116 \_\_ 120) هل يعد المطيع عبدا للمطاع (بحث قرآنى). وقال الطباطبائى أيضا: فإن المطيع يجعل إرادته وعمله تبعا لإرادة المطاع، فتقوم إرادة المطاع مقام إرادته ويعود عمله متعلقا لإرادة المطاع صادرا منها اعتبارا. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 19/306، تفسير سورة التغابن.



للمطاع، يكون ولياً لمن أطاعه وسلم أمره إليه، لأنه سيكون في النتيجة قد أطاع المطاع الأول. ولهذا نرى البارى عز وجل جعل بعض أوليائه، أولياء لآخرين:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1) وهذه الآية نزلت في حق أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام (2). وبالتأكيد ليس المقصود بالولاية هنا، الولاء القلبي والعاطفي، بسبب وجود كلمة «إنما»، وكذلك وجود عبارة «وليكم الله...» فالآية إذن تقوم بالتبيين (3) خلافاً للآيات:

#### 1- سورة المائدة / 55.

2- قال فرات: حدثني الحسين بن سعيد عن جعفر عليه السلام: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) سورة المائدة/ 55، نزلت في على بن أبى طالب عليه السلام. تفسير فرات، فرات الكوفي: 125، تفسير سورة المائدة / ح 137 \_\_\_ 17. قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: ...فهل فيكم أحد أتى الزكاة وهو راع فنزلت فيه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) سورة المائدة/ 55، غيرى قالوا: لا... الحديث. إرشاد القلوب، الديلمي: 2/260\_\_261، في فضائله من طريق أهل البيت عليهم السلام. أخبرنا مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) سورة المائدة / 55، قال: نزلت في على عليه السلام. بناء المقالة الفاطمية، أحمد بن طاووس: 269.

3- بان الشيء بين بيانا: اتضح، فهو بين، وكذا أبان الشيء فهو مبين، وأبنته أنا، أى: أوضحتها. مختار الصحاح، الرازى: 44، مادة «بين».

(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (1)، (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (2).

ومن هذه الآيات، ندرك لماذا يلحق الله المطيعين، بأوليائه، فهو ولي كل هؤلاء، وبعض أوليائه المقربين أولياء آخرين أقل مرتبة، وليس على أحد من هؤلاء، خوف ولا هم يحزنون(3)، بل أن الجميع يدخلون الجنة ويسعدون بصحبة الصالحين.

وهناك الكثير من الأخبار والروايات التي تؤكد هذا المعنى فقد ورد عن سدير الصيرفي(4). أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هل يكره المؤمن أن تقبض روحه؟ فيجيبه الإمام عليه السلام بالنفى، ويقول له:

أن ملك الموت يأتي إلى الإنسان ليقبض روحه، فيبدي هذا الإنسان امتعاضاً(5) في البداية، ثم يطمئنه ملك الموت ويقسم له بالله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

1- سورة المائدة / 56.

2- سورة التوبة / 71.

3- إشارة إلى قوله تعالى: (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة البقرة / 62.

4- قال الشيخ في رجاله: سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي، يكنى أبا الفضل، من الكوفة، مولى. رجال الشيخ، الشيخ الطوسي: 114، باب السين / الرقم 4. سدير بن حكيم، بالفتح، أبو الفضل: ممدوح. رجال ابن داود، ابن داود: 166، باب السين المهملة / الرقم 662.

5- معض من ذلك الأمر: يمعض معضاً ومعضاً وامتعض من: غضب وشق عليه وأوجعه. قال ثعلب: معض معضاً: غضب. لسان العرب، ابن منظور: 234 / 7، مادة «معض».

بالرسالة، أنه أرحم به من أبيه، ثم يطلب منه أن يفتح عينيه وينظر، فيفعل الرجل، فإذا به يرى أمامه الرسول وأمير المؤمنين والحسن والحسين وأبناءؤهم المعصومين، فيعرفهم ملك الموت للإنسان ويخبره بأنه سيكون جليسهم ثم يسمع الرجل منادياً من جانب الحق أن (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) (1) بمحمد وأهل بيته (2)، (ازْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً) (3) مشمولة بولاية الأئمة مسرورة بها، ومرضية من قبل البارئ عز وجل، فادخلي في زمرة عبادي الصالحين وادخلي جنتي التي أعددتها.

### 1- سورة الفجر / 27.

2- عن محمد بن سليمان الديلمي قال حدثنا أبي قال سمعت الإفريقي يقول: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المؤمن أيستركه على قبض روحه قال: لا والله قلت وكيف ذاك قال: لأنه إذا حضره ملك الموت عليه السلام جزع فيقول له ملك الموت: لا تجزع فوالله لأنا أبر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك افتح عينيك فانظر قال ويتهلل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة من بعدهم وفاطمة عليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام قال: فينظر إليهم فيستبشر بهم فما رأيت شخصته تلك قلت بلى قال: فإنما ينظر إليهم قال قلت جعلت فداك قد يشخص المؤمن والكافر قال: ويحك إن الكافر يشخص منقلبا إلى خلفه لأن ملك الموت إنما يأتيه ليحمله من خلفه والمؤمن ينظر أمامه وينادي روحه مناد من قبل رب العزة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَزْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً (28) فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي فيقول ملك الموت: إني قد أمرت أن أخيرك الرجوع إلى الدنيا والمضى قال: فليس شيء أحب إليه من انسلال روحه. تفسير فرات، فرات الكوفي: 554 — 555، تفسير سورة الفجر / ح 709. وأنظر: الكافي، الكليني: 127/3، كتاب الجنائز، باب أن المؤمن لا يكره على قبض روحه / ح 2.

### 3- سورة الفجر / 28.

هنا لن يبقى لهذا الإنسان المؤمن ما يتعلق به، ويصبح همه الوحيد، أن يتعجل الموت(1).

وينقل عبد الرحيم الأقفصر(2) عن الإمام الباقر أن الروح عندما تصل إلى حلقوم(3) الإنسان حين الوفاة، ينزل عليه ملك الموت ويسأله عن رغباته ويضمن له تحقيق ما يريد، وإبعاد ما يكره، ثم يفتح له باباً على منزله في الجنة، ويطلب منه أن ينظر إلى داخله، ليرى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام بانتظاره(4). وهذه الروايات هي تجسيد لقول الباري عز وجل:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (5).

1- أنظر: تفسير فرات، فرات الكوفي: 553 \_\_ 554، تفسير سورة الفجر / ح 708.

2- عبد الرحيم بن روح القصير، الأسدي بالولاء، الكوفي. محدث إمامي حسن الحال، جليل القدر، روى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً. روى عنه إسحاق بن عمال، وزياد القندي، وعبد الله ابن مسكان وغيرهم. توفي بعد سنة 148هـ. الفائق في رواة، عبد الحسين الشبستري: 2/227، حرف العين / الرقم 1817.

3- قال ابن سيده: الحلقوم: مجرى النفس والسعال من الجوف، وهو إطباق غراضي، ليس دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلد، وطرفه الأسفل في الرئة وطرفه الأعلى في أصل عكدة اللسان، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت، وجمعه حلاقم وحلاقيم. في التهذيب: قال في الحلقوم والحنجور: مخرج النفس لا- يجرى فيه الطعام والشراب يقال له المرئ. لسان العرب، ابن منظور: 12 / 150، مادة «حلقم».

4- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: 2 / 124 \_\_ 125، تفسير سورة يونس / ح 32.

5- سورة يونس / 63 \_\_ 64.

فى الحوار الذى جرى بين حارث الهمدانى (1) وأمير المؤمنين عليه السلام والذى ينقله أصبغ بن نباتة (2)، جاء أن أمير المؤمنين بشر حارث بأنه سيرى الإمام، عند الموت، على الحوض وفى المقاسمة، فسأله حارث عن المقاسمة، ويحييه الإمام بأنه يتقاسم مع نار جهنم الوافدين، فيقول لها، هذا حارث من أصحابى فاتركيه، وذلك من أعدائى فالتهميه (3).

وهذا الحديث من الأحاديث المشهورة (4)، رواه العديد من الرواة

1- الحارث الأعور: صاحب أمير المؤمنين عليه السلام : وهو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمدانى، كان احد الفقهاء، له قولاً فى الفتيا، وكان صاحب على عليه السلام ، وإليه تنسب الشيعة الخطائب. شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد: 42 / 18 \_\_ 43، الحارث الأعور ونسبه. الحارث الهمدانى: من أصحاب على عليه السلام . نقد الرجال، التفرشى: 393 / 1 / الرقم 50 الحارث الهمدانى.

2- قال النجاشى فى الأصبغ: كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام ، وعمر بعده. روى عنه عهد الأشر ووصيته إلى محمد ابنه. رجال النجاشى، النجاشى: 8، ذكر الطبقة الأولى / الرقم 5 الأصبغ بن نباتة المجاشعى. الأصبغ بن نباتة: كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده وهو مشكور. رجال العلامة، العلامة الحلى: 24 القسم الأول فيمن اعتمد عليه، الفصل الأول فى الهمة، الباب الثالث عشر فى الآحاد / الرقم 9 الأصبغ بن نباتة.

3- أنظر: كتاب الأمالى، الشيخ المفيد: 3 \_\_ 7، المجلس الأول مجلس يوم السبت / ح 3.

4- قال الشهيد الثانى: المشهور: وهو ما شاع عند أهل الحديث، بان نقله رواة كثيرون، أو عندهم وعند غيرهم، كحديث: «إنما الأعمال بالنيات»، أو عند غيرهم خاصة، وهو كثير. الرعاية لحال البداية فى علم الدراية، الشهيد الثانى: 32، الباب الأول فى أقسام الحديث. قال ابن عابدين: الحديث المشهور: هو الذى يكون فى القرن الأول أحادى ثم انتشر فصار فى القرن الثانى ومن بعدهم متواترا. تكملة حاشية رد المختار، ابن عابدين: 373 / 1، كتاب الفرائض. قال احمد فتح الله: الحديث المشهور: الذى كثرت رواته على وجه لا يبلغ حد التواتر وقد يطلق عليه مستفيض. معجم الفاظ الفقه الجعفرى، د أحمد فتح الله: 156، باب الحاء.

الثقة(1)، وأيده عدد من الأئمة(2).

- 1- قال أكرم العاملي في الدلالة على الراوى الثقة: الكلام المهم في هذا اللفظ: هو في دلالة على العناصر الثلاثة المعتمدة في الخبر الصحيح وهي العدالة، الإمامية، والضبط. وقد ذكر العناصر الثلاثة وهي: 1 \_ كون الراوى ضابطاً: لفظ الثقة: يفيد دلالة على الضبط. 2 \_ كون الراوى إمامياً. قال البهبهاني: ان «ثقة»: تعنى الإمامى، وان كانوا يطلقون على غير الإمامى انه ثقة، لكن مع القرينة. أ \_ قول النجاشى فى محمد بن عبدالله بن غالب: «ثقة فى الرواية على مذهب الواقعة». 3 \_ كون الراوى عادلاً: تقدم للعدالة اطلاقين: الإطلاق الأول: العدالة بالمعنى الخاص، وهى لا تشمل غير الإمامى. الإطلاق الثانى: العدالة بمعنى العام: وهى تشمل كل مسلم تحقق فيه معنى العدالة على حسب مذهبه. ودلالته على العادل غير الإمامى لا ينفع. دروس فى علم الدراية، أكرم العاملى: 129 \_ 134، الفصل السابع الألفاظ المستعملة فى التعديل والجرح، القسم الأول: ألفاظ التعديل والمدح، 2 ثقة.
- 2- أنظر: كتاب الأمالى، المفيد: 4 \_ 6، المجلس الأول / ح3. أمالى الطوسى، الطوسى: 625\_627، المجلس 30 / ح5. بشارة المصطفى، عماد الدين الطبرى: 4 \_ 5. كشف الغمة، الأربلى: 1/ 411 \_ 313، ذكر الإمام على بن أبى طالب عليه السلام . إرشاد القلوب، الديلمى: 2/ 296 \_ 297، فى فضائله من طريق أهل البيت.

وفى حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه أن أحداً من محبيه لا يموت إلا ويراه الإمام فى المكان الذى يحب، وأن أحداً من أعدائه لا يموت إلا ويراه الإمام فى المكان الذى يكرهه هذا الإنسان(1).

كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الإنسان عندما تحضره الوفاة، يوكل إبليس عدداً من شياطينه المساعدين له، لزعة(2) إيمان ذلك الإنسان ومحاولة دفعه نحو الكفر، لكن هؤلاء لا يتمكّنون من المؤمن الحقيقى، ومن هنا يقوم الناس بتلقين المحتضر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حتى يغادر الدنيا(3).

ويمكن إدراك مضمون الرواية السالفة من خلال استعراض الآيات التالية:

1- عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ مَيْمٍ عَنْ عَبَايَةَ الْأَسَدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا يُبْغِضُنِي عَبْدٌ أَبَدًا يَمُوتُ عَلَيَّ بُغْضِي إِلَّا رَأَى عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يَكْرَهُ وَلَا يُحِبُّنِي عَبْدٌ أَبَدًا فَيَمُوتُ عَلَيَّ حُبِّي إِلَّا رَأَى عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يُحِبُّ فَقَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعَمْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْيَمِينِ. الكافى، الكلينى: 132/3 \_ 133، كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن والكافر/ ح 5.

2- الزعزعة: تحريك الشىء لتقلعه وتزيله. كتاب العين، الفراهيدى: 77/1، مادة «زع».

3- أنظر: الكافى، الكلينى: 123/3، كتاب الجنائز، باب تلقين الميت / ح 6.

(يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) (1) و(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (2) ويبدو من هذه الآية أن قولِي (اكْفُرْ) (3) و (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ) (4) قد حدثا في زمان واحد، وهما من نوع واحد، وبما أن الآية تتحدث عن خطاب فلا يمكن أن يكون كلا القولين، لسان حال الشيطان أبداً (5).

وينقل العياشي (6) في تفسيره، رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول فيها أن

1- سورة إبراهيم / 27.

2- سورة الحشر / 16.

3- سورة الحشر / 16.

4- سورة الحشر / 16.

5- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ) سورة الحشر / 16، ضرب الله هذه القصة لبني النضير، حين اغتروا بالمنافقين، ثم تبرأوا منهم عند الشدة وأسلموهم. مجمع البيان، الطبرسي: 438/9، تفسير سورة الشورى. أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود في قوله: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ) سورة الحشر / 16، قال ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر. فتح القدير، الشوكاني: 206/5، تفسير سورة الحشر.

6- محمد بن مسعود العياشي: من أهل سمرقند. وقيل: أنه من بني تميم. يكنى أبا النضر. جليل القدر، واسع الأخبار بصير بالرواية مطلع عليها. له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف. منها كتاب التفسير، وكتاب الصلاة. الفهرست، الطوسي: 136 \_\_ 137، باب الميم / الرقم 593 محمد بن مسعود العياشي.



الشیطان یحیط بأصحابنا حین الوفاة، من الیمین والشمال، لیحرفهم عن إیمانهم ونهجم لكن الله یمنعه من ذلك، وهذا هو معنی قوله تعالى:

(يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (1) (2).

وهناك الكثير من الروایات المنقولة عن الأئمة فی هذا المجال (3).

ما تقدم من مفاهيم، یمکن استنباطها من القرآن والسنة — وسنتحدث فی فصل لاحق — عن البراهین التي تثبت تجرد النفس (4).

1- سورة إبراهيم / 27.

2- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: 2/ 225، تفسير سورة إبراهيم / ح 16.

3- أنظر: من لا یحضره الفقيه، الصدوق: 1/ 134 \_\_ 135، باب غسل الميت/ ح 360. كتاب الأمالی، الطوسی: 377، المجلس 13 / ح 58. تأویل الآیات، شرف الدین الحسینی: 247، تفسير سورة إبراهيم. بحار الأنوار، المجلسی: 6/ 188 \_\_ 189، أبواب الموت وما یلحقه إلى وقت البعث والنشور، باب 7 ما یعاین المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة/ ح 31.

4- قال النراقی فی تجرد النفس: الأول: عدم كونها جسما وجسمانية، وذكر عدة وجوه تدل علیها. الثاني: أعنی بقاءها بعد المفارقة عن البدن، فالدلیل علیه بعد ثبوت تجردها: إن المجرّد لا یطرق إليه الفساد، لأنه حقيقة والحقيقة لا تتبدد كما صرح به المعلم الأول وغيره. جامع السعادات، النراقی: 1/ 37 \_\_ 40، الباب الأول فی المقدمات، تجرد النفس وبقائها. قال الطباطبائی: تجرد النفس، بمعنی كونها أمرا وراء البدن وحكمها غیر حكم البدن وسائر التركيبات الجسمیة، لها نحو اتحاد البدن تدبرها بالشعور والإرادة وسائر الصفات الإدراكية. أن الإنسان بشخصه لیس بالبدن، لا یموت بموت البدن، ولا یفنى بفنائه، وانحلال تركيبه وتبدد أجزائه، وأنه یبقى بعد فناء البدن فی عیش هنیء دائم، ونعیم مقیم، أو فی شقاء لازم، وعذاب أليم، وأن سعادته فی هذه العیشة، وشقائه فیها مرتبطة بسنخ ملكاته وأعماله، لا بالجهات الجسمانية والأحكام الاجتماعية. المیزان فی تفسير القرآن، الطباطبائی: 1/ 350، تفسير سورة البقرة، تجرد النفس.

وعدم فنائها(1) بالموت، وانفصالها عن الجسد(2).

---

1- الفناء: تقيض البقاء. كتاب العين، الفراهيدي: 376/8، مادة «فنى».

2- أنظر: الفصل الثاني من كتابنا هذا، البرزخ.



## الفصل الثاني: البرزخ

إشارة



## البرزخ

## إشارة

## البرزخ (1)

هناك عالمان يقعان بين عالم الجسم (2)،

1- البرزخ: ما بين كل شيئين. والميت فى البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة. البرزخ: أمد ما بين الدنيا والآخرة بعد فناء الخلق. يقال البرزخ: فسحة ما بين الجنة والنار. كتاب العين، الفراهيدى: 338/4، مادة «برزخ». البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. الصحاح، الجوهري: 419/1، مادة «برزخ». وأما تعريف البرزخ اصطلاحاً قال الجرجاني: العالم المشهور بين عالم المعانى المجردة والأجسام المادية. والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصلت اليه، وهو الخيال المنفصل. وقال أيضاً، البرزخ: هو الحائل بين الشيين. ويعبر به عن عالم المثال، أعنى الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أعنى الدنيا والآخرة. التعريفات، الجرجاني: 31، الباء، مادة «برزخ».

2- قال المازندراني: عالم الخلق: وهو عالم الجسم والجسمانيات. شرح أصول الكافي، المازندراني: 124/3. قال اليزدى: الجسم: جوهر ذو امتداد فى ثلاث جهات، ولازم ذلك أنه: أولاً: قابل للتقسيم إلى ما لا نهاية فى كل واحدة من الجهات الثلاث. ثانياً: هو ذو مكان. ثالثاً: قابل للأشارة الحسية. رابعاً: له امتداد زمانى. المنهج الجديد فى تعليم الفلسفة، اليزدى: 129/2، القسم الخامس المجرد والمادى، الدرس الحادى والأربعون المجرد المادى، خصائص الجسمانيات والمجردات.

والجسمانيات(1)، وعالم أسماء الله(2)، وهما عالم العقل(3) وعالم المثال(4).

1- قال اليزدي: الجسماني: عبارة عن الموجود الذى يكون تابعاً لوجود الأجسام، وهو لا يتحقق ولا يبقى مستقلاً عنها، وأهم ميزة له أنه يقبل الانقسام تبعاً للجسم. المنهج الجديد فى تعليم الفلسفة، اليزدي: 129/2، القسم الخامس المجرد والمادى، الدرس الحادى والأربعون المجرد المادى، خصائص الجسمانيات والمجردات.

2- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) سورة طه / 8، أى: الأسماء الدالة على توحيده، وعلى إنعامه على العباد، وعلى المعانى الحسنه. مجمع البيان، الطبرسى: 8/7، تفسير سورة طه. قال السبزوارى: سمي العرفاء، أسماء الله أرباب الأنواع. شرح الأسماء الحسنى، السبزوارى: 264/1.

3- قال أفلاطون: عالم العقل: فيه المثل العقلية والصور الروحانية. الملل والنحل، الشهرستاني: 89/2، الباب الثانى الفلاسفة، الفصل الأول الحكماء السبعة، رأى أفلاطون الإلهى. قال السبزوارى: عالم العقل: هو دار اليقين. شرح الأسماء الحسنى، السبزوارى: 132/1. قال الطباطبائى: عالم العقل ثالث العوالم: وهو فوق عالم المثال وجوداً، وفيه حقائق الأشياء وكمياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة وله نسبة السببية لما فى عالم المثال. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 271/11، تفسير سورة يوسف، المنامات الحققة.

4- قال المجلسى: عالم المثال: عالم متوسط بين عالمى الحس والعقل، له صور جسمانية موجودة، وهى قائمة بذاتها معلقة لا فى محل ولا فى مكان، لها مظاهر كالمرآة فى الصور المرئية المرآتية والخيال فى الصور الخيالية. إن أشخاص هذا العالم صور مثالية، وأشباح برزخية، مجردة عن الطبائع والمواد نورانية. قال القيصرى فى شرح الفصوص: العالم المثالى: هو عالم روحانى من جوهر نورانى شبيه بالجوهر الجسمانى فى كونه محسوساً مقدارياً، وبالجوهر المجرد العقلى فى كونه نورانياً، وليس بجسم مركب مادى ولا جوهر مجرد عقلى. بحار الأنوار، المجلسى: 58/266 \_\_ 267، كتاب السماء والعالم، باب 46 قوى النفس ومشاعرها من الحواس الظاهرة والباطنة وسائر القوى البدنية، تذييب. قال الطباطبائى: عالم المثال: ثانى العوالم، وهو فوق عالم الطبيعة وجوداً، وفيه صور الأشياء بلا مادة، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية وإليها تعود، وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 271/11، تفسير سورة يوسف، المنامات الحققة.

وكل موجود، لابد وأن يعود في النهاية إلى نقطة بدايته. وفي بحث لنا، أثبتنا أن لجميع هذه العوالم؛ ابتداء من عالم الجسمانيات وحتى عالم أسماء الله الحسنى «أساس العالم كله»، مراتب متباينة، على أساس نقص أو كمال كل منها، لكنها جميعاً، تملك وجوداً متساوياً في النفس. ومعنى ذلك أن صاحب المرتبة العليا ينزل إلى المرتبة الواطئة، والوطئة تكون كالمرآة، تعكس ما يسقط عليها من أضواء وألوان، وفي النتيجة فإن ما يظهر من عالي المرتبة، هو ذلك المقدار الذي تتمكن هذه المرآة، من عكسه، وهكذا فإن طبيعة وكيفية العالي، تظل مرهونة (1) بنقص المرآة أو كمالها (2).

1- قال ابن عرفة: الراهن: الشيء الملزوم، يقال هذا راهن لك أى: دائم محبوس عليك، ونفس رهينة أى: محبوسة بكسبها. الأمور مرهونة بأوقاتها، أى: مكفولة. تاج العروس، الزبيدي: 223 / 9.

2- قال الطباطبائي: إن العوالم ثلاثة: \_\_ أولها: عالم الطبيعة: وهو العالم الدنيوي الذي نعيش فيه والأشياء الموجودة فيها صور مادية تجرى على نظام الحركة والسكون والتغير والتبدل. \_\_ ثانيها: عالم المثال: وهو فوق عالم الطبيعة وجوداً وفيه صور الأشياء بلا مادة، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية واليها تعود، وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة. \_\_ ثالثها: عالم العقل: وهو فوق عالم المثال وجوداً، وفيه حقائق الأشياء وكمياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة، وله نسبة السببية لما في عالم المثال. والنفس الإنسانية لتجردها لها مسانحة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل فإذا نام الإنسان وتعطلت الحواس انقطعت النفس طبعاً عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانح لها وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان. فان كانت النفس كاملة متمكنة من إدراك المجردات العقلية أدركتها واستحضرت أسباب الكائنات على ما هي عليها من الكلية والنورية. وان لم تكن متمكنة من إدراك المجردات على ما هي عليها والارتقاء إلى عالمها توقفت في عالم المثال مرتقية من عالم الطبيعة فربما شاهدت الحوادث بمشاهدة عللها وأسبابها من غير أن تتصرف فيها. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 271 / 11، تفسير سورة يوسف، المنامات الحقة.



كما أن من الأمور التي أثبتناها في بحوث أخرى، هناك عالم، كالبرزخ<sup>(1)</sup>،

1- البرزخ: ما بين كل شيئين. والميت في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة. البرزخ: أمد ما بين الدنيا والآخرة بعد فناء الخلق. يقال البرزخ: فسحة ما بين الجنة والنار. كتاب العين، الفراهيدي: 338 / 4، مادة «برزخ». البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. الصحاح، الجوهري: 1 / 419، مادة «برزخ». وأما تعريف البرزخ اصطلاحاً قال الجرجاني: العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية. والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصلت إليه، وهو الخيال المنفصل. قال أيضاً، البرزخ: هو الحائل بين الشيتين. ويعبر به عن عالم المثال، أعنى الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أعنى الدنيا والآخرة. التعريفات، الجرجاني: 31، باب الباء، البرزخ. قال العلامة الطباطبائي في كتابه بداية الحكمة: المثال، ويسمى: «البرزخ» لتوسطه بين العقل المجرد والجوهر المادي، و«الخيال المنفصل» لاستقلاله عن الخيال الحيواني المتصل به. وهو مرتبة من الوجود مفارق للمادة دون أثارها، وفيه صور جوهرية جزئية صادرة من آخر العقول الطولية، وهو العقل الفعال عند المشائين، أو من العقول العرضية على قول الاشراقيين، وهي متكثرة حسب تكثر الجهات في العقل المفيض له، متمثلة لغيرها بهيئات مختلفة، من غير أن ينثلم باختلاف الهيئات في كل واحد منها وحدته الشخصية. بداية الحكمة، الطباطبائي: 220 \_\_ 221، المرحلة الثانية عشر فيما يتعلق بالواجب تعالى من اثبات ذاته وصفاته وأفعاله، الفصل الثالث عشر في المثال.

يقع بين العقل المجرد(1)، والمجردات المادية(2)، وبناءً على هذا فإنه عالم موجود،

1- قال محمد جواد البلاغى: العقل المجرد، هو: ممثل القضايا العقلية الكلية الفطرية البديهية. بها يسير سيره وعليها تبنى أدلته وبراهينه. وهى الحجر الأساسى لبناء العلوم واستنتاج كلياتها النظرية المدونة فيه وتمشى أحكامها للموارد الجزئية فى مقام استثمار العلوم. ولا يجدى الحس فى أدلة العلم شيئاً لولا هذه القضايا التى تمتاز بها فطرة العقل المجرد المشرف على الحقائق بنورانيتها. الرحلة المدرسية، البلاغى: 3 / 425، كرامة العقل وتسويلات الإلحاد.

2- المجرد: ما لا- يكون محل لجوهر، ولا حالاً فى جوهر آخر ولا مركباً منهما. التعريفات، الجرجانى: 113، باب الميم، المجرد. قال المازندراني: عالم المجردات، يسمى: العرش العقلانى والعرش الروحانى. شرح أصول الكافى، المازندراني: 1 / 205. وقال أيضاً، الملكوت الاعلى: وهو عالم المجردات الصرفة. شرح أصول الكافى، المازندراني: 6 / 76.

لكنه ليس مادة(1)، رغم أنه يحمل بعض صفات المادة، مثل المقدار والشكل والعرض الفعلى.

بهذه المقدمة يمكن توضيح حال الإنسان حين انتقاله من الدنيا إلى الآخرة فى مرحلة ما بعد الموت.

وهنا أرى من الضرورة أن يعمن القراء وبدقة بجملة نقاط:

أولاً: تصور معنى المادة.

ثانياً: المادة جوهر، يمكن لها أن تكتسب صفات الأجسام.

ثالثاً: وجود المادة فى الأجسام يفسر التغييرات والتحويلات التى تطرأ على الجسم.

رابعاً: المادة ليست جسماً، وليست محسوسة.

---

1- المادة: كل ما يشغل حيز من الفراغ، وله وزن، ومرونة، وعزم وقصور. ينص قانون بقاء المادة على أن: المادة لا تخلق ولا تنعدم، بل تتحول من صورة إلى أخرى. تتكون المادة من جسيمات صغيرة تسمى جزيئات. الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، صلاواتى: 7/ 3081، حرف الميم، مادة. المادة فى اللغة: كل شىء يكون مدداً لغيره، ومادة الشىء: أصوله وعناصره التى يتركب منها حسية كانت أو معنوية كمادة البناء، ومادة البحث. المادة اصطلاحاً: هى الجسم الطبيعى الذى نتناوله على حاله أو نحوله إلى شىء آخر لغاية معينة. المعجم الفلسفى، صليبا: 2 / 306، باب الميم، المادة. قال العلامة الطباطبائى فى كتابه هذا الذى بين أيدينا ضمن هذا الفصل، البرزخ. المادة: جوهر، يمكن لها أن تكتسب صفات الأجسام. المادة ليست جسماً، وليست محسوسة.

ومن الخطأ الاعتقاد أن المادة هي ذات الجسم الذى نراه فى الموجودات المختلفة. فهذا الاعتقاد الخاطئ وقع فيه بعض العلماء السطحيين(1)، مما أوقعهم فى عدم إدراك ما قدمه المتألهون(2) وأهل البرهان(3)، بالشكل الصحيح.

1- العلماء السطحيون: أرباب الثقافة الدينية الضعيفة. فتح المعين، السقاف: 8.

2- التأله: التنسك والتعبد. الصحاح، الجوهري: 2224/6، مادة «أله». الإلهى: هو المنسوب إلى الله، أو الموحى به من الله. المعجم الفلسفى، صليبا: 129/1، باب الألف، الله. قال الأعمى: يقال الإلهى: لمن علم بأحوال ما يفتقر فى الوجود الخارجى، والتعقل إلى مادة كالإله والعقول العشرة، وهو العلم الأعلى المنسوب إلى أفلاطون. وسمى بالإلهى تسمية للشىء باسم أشرف أجزائه: أى أشرف أجزاء العلم. يقال: إنما سمي به ونسب بالإله لكونه أشرف أفراد موضوع الحكمة الإلهية. دائرة المعارف الشيعية العامة، الأعمى: 232/4، الإلهى.

3- قال صدر المتألهين فى تفسير قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ (25) وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهُ) سورة الحاقة 25\_26، أهل البرهان واليقين، وهم السابقون السابقون، أولئك المقربون، درجتهم فى أعلى عليين، وكتابهم فى صحف مكرمة مرفوعة عن النسخ والتغيير، لا يمسه إلا المطهرون عن أدناس الطبيعة. تفسير القرآن الكريم، الملا صدرا: 439/7، تفسير سورة الزلزلة. قال المراغى: وأولو العلم هم أهل البرهان القادرون على الإقناع، وهم يوجدون فى هذه الأمة وفى جميع الأمم السالفة، بالقسط: أى بالعدل فى الدين والشريعة وفى الكون والطبيعة. تفسير المراغى، المراغى: 117/3، تفسير سورة آل عمران.

فعندما قلنا أن ليس للبرزخ مادة، أو أن لذات البرزخ خيالية أو لذات عقلانية فقط، تصوروا أننا نعتبرها وهماً وسراباً ليس أكثر، وهذا الاعتقاد باطل في حد ذاته، وفي نفس الوقت، انحراف في إدراك المقصود.

وعلى أى حال، فإن البرزخ، هو كما رأيتموه، وكما يشير إليه الكتاب والسنة، ولأن الأخبار والروايات المتوفرة، تشتمل في الغالب على الآيات الواردة في هذا المجال<sup>(1)</sup>، لذلك سنركز على استعراض الأخبار وشرحها وتأتي

1- وردت عدة آيات في القرآن الكريم تذكر البرزخ وكذلك عدة أحاديث تتضمن آيات البرزخ، نذكر منها الآتى: سورة المؤمنون / 100، ونصها: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). سورة الفرقان / 53، ونصها: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) . سورة الرحمن / 20، ونصها: (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) . قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) سورة المؤمنون / 100، البرزخ: هو أمر بين أمرين وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. تفسير القمى، القمى: 2 / 93 \_ 94، تفسير سورة المؤمنون. قال الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) سورة المؤمنون / 100، قال: هو القبر وإن لهم فيه لمعيشة ضنكا والله إن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. الخصال، الصدوق: 120 / 1، باب الثلاثة، أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات / قطعة من الحديث 108.

الآيات المطلوبة خلالها. فقد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه يستند في رده على الذين ينكرون وجود الثواب والعقاب بعد الموت وقبل القيامة، إلى قول البارئ عز وجل

(يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ (1) والمقصود بذلك، تلك السماوات والأرض الموجودة قبل القيامة، وحينما تقوم الساعة، تتبدل إلى سماوات وأرض أخرى (2). ومثل ذلك قول البارئ عز وجل (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (3) حيث المقصود بالبرزخ هو الثواب والعقاب في مرحلة ما بين الدنيا والآخرة (4)، وكما نرى في الآية (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ

1- سورة هود / 105 \_\_ 108.

2- أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: 6/ 286، كتاب العدل، باب 8 أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله/ ح 76.

3- سورة المؤمنون / 100.

4- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) سورة المؤمنون / 100، قال: البرزخ هو أمر بين أمرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة وهو رد على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل القيامة. تفسير القمي، القمي: 2 / 93 \_\_ 94، تفسير سورة المؤمنون.

السَّاعَةُ(1) فإن القيامة، مكان الخلود، وليس فيها ليل أو نهار، فهما من صفات الحياة فى الدنيا(2).

وحول أهل الجنة يقول الله تعالى: (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)(3) ومن الواضح أن «الصباح»(4) و«العشية»(5) يقصد به الصباح والمساء فى الجنة قبل القيامة(6).

1- سورة غافر / 46.

2- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) سورة غافر / 46، فالغدو والعشى إنما يكون فى الدنيا فى دار المشركين، وأما فى القيامة فلا يكون غدوا ولا عشيا. تفسير القمى، القمى: 19 / 1.

3- سورة مريم / 62.

4- الصباح: أول النهار. الصباح: الفجر. لسان العرب، ابن منظور: 502 / 2، مادة «صبح». قال الطريحي فى تفسير قوله تعالى: (بُكْرَةً وَأَصِيًّا) (سورة الفرقان / 5، أى: غداء ومساء. مجمع البحرين، الطريحي: 1/231، مادة «بكر»).

5- قال الأزهرى العشى: ما بين زوال الشمس وغروبها. مختار الصحاح، الرازى: 228 \_ 229، مادة «عشا». قال الطريحي فى تفسير قوله تعالى: (بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) سورة آل عمران / 41، العشى: بفتح العين وتشديد الياء: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. مجمع البحرين، الطريحي: 3 / 188، مادة «عشو، ي».

6- قال الإمام على عليه السلام: قال الله تعالى فى أهل الجنة: (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) سورة مريم / 62، والبكرة والعشى إنما يكونان من الليل والنهار فى جنة الحياة قبل يوم القيامة. بحار الأنوار، المجلسى: 90 / 84، كتاب القرآن، باب 128 ما ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه فى أصناف آيات القرآن.

ذلك أن الله تعالى يقول: (لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) (1).

وفى هذا السياق تأتي الآية:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (2).

إن المقصود بالنار فى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا وَعَشِيًّا) (3) هى نار الآخرة، لكن الشخص الذى يعرض عليها هو فى عالم البرزخ (4).

1- سورة الإنسان / 13.

2- سورة آل عمران / 169 \_ 170.

3- سورة غافر / 46.

4- قال أبو عبد الله عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) سورة غافر/46، ذلك فى الدنيا قبل يوم القيامة لأن نار القيامة لا تكون غدوا وعشيا ثم قال: إن كانوا يعذبون فى النار غدوا وعشيا فبيما بين ذلك هم من السعداء ولكن هذا فى نار البرزخ قبل يوم القيامة. قصص الأنبياء، الجزائرى: 258، الباب الثانى عشر فى قصص موسى وهارون، الفصل الخامس فى أحوال مؤمن آل فرعون. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا وَعَشِيًّا... الآية) سورة غافر/46، أن العرض على النار قبل قيام الساعة التى فيها الإدخال وهو عذاب البرزخ. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 335 / 17، تفسير سورة غافر.



كما تدل على ذلك نهاية الآية:

(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (1).

وسياتى هذا الموضوع فى روايات نتطرق إليها فيما بعد. فمثلاً عندما يقال أن باباً تفتح فى القبر، على نار جهنم، ليدخل منها بعض لهيب النار (2)، فإن ذلك يعنى أن نار البرزخ هى عينة من نار الآخرة، وعذابه نموذج من عذاب الآخرة (3). أما المقصود بالنار فى (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ) (4) فهى نار البرزخ (5). من هنا تتضح صحة الجمع بين أمرين: دخول الدار، وعرض الإنسان على النار.

1- سورة غافر / 46.

2- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَافِرًا دَخَلَ عَلَيْهِ وَأَقِيمَ الشَّيْطَانُ... وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا. الكافي، الكليني: 3 / 237، كتاب الجنائز، باب المسألة فى القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ح7.

3- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) سورة غافر / 46، إن التعذيب فى البرزخ ويوم تقوم الساعة بشىء واحد وهو نار الآخرة لكن البرزخيين يعذبون بها من بعيد وأهل الآخرة بدخولها. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 17 / 335، تفسير سورة المؤمنون.

4- سورة هود / 106.

5- قال الجزائرى فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) سورة غافر / 46، هذه النار: هى نار البرزخ التى يعذب فيها أرواح الكفار فى الدنيا، وهى برهوت واد فى حضرموت من بلاد اليمن. قصص الأنبياء، الجزائرى: 258، الفصل الخامس فى أحوال مؤمن آل فرعون.

ولو دققنا في الآية:

(إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) (1) لرأينا أنها تحمل مدلولات الآية السابقة، فالسحب في الحميم، هو مقدمة للإدخال في النار، وهو ما يقع يوم القيامة (2).

### نحسم الأعمال

ينقل عدد من المفسرين، أمثال العياشي (3) والقمي (4) والكليني (5)

1- سورة غافر/ 71 \_\_ 72.

2- قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) سورة يس/ 8، وعيدا بما سيحلّ بهم يوم القيامة حين يساقون إلى جهنم في الأغلال كما أشار إليه قوله تعالى: (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) سورة غافر/ 71 \_\_ 72، فيكون فعل جَعَلْنَا مستقبلا وعبر عنه بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه. التحرير والتنوير، ابن عاشور: 199/22، تفسير سورة يس.

3- العياشي: مرت ترجمته سابقا.

4- علي بن إبراهيم بن هاشم القمي: أبو الحسن ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع وأكثر وصنف كتبا وأضر في وسط عمره. رجال العلامة، العلامة الحلي: 100، القسم الأول فيمن أعتد عليه، الفصل الثامن عشر في العين، الباب الأول على / الرقم 45 على بن إبراهيم بن هاشم القمي.

5- محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني: كان خاله علان الكليني الرازي شيخ أصحابنا في وقته بالرى ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم. صنف الكتاب الكبير المعروف، بالكليني يسمى الكافي. رجال النجاشي، النجاشي: 377، باب الميم / الرقم 1026.

في «الكافي» (1) والمفيد (2) في «الأمالي» (3) عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله أن الإنسان

- 1- قال الطهراني في الكافي: هو أقدم الكتب الأربعة الحديثية للمحمدين الثلاثة التي عليها المدار في عمل أصحابنا الإمامية لاحتوائها على عين العبارات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام والمدرجة في الأصول الأربعمئة التي وصلت إليهم وأخرجوا منها الأحاديث، مرتبة على أبواب الأحكام الفقهية والأصولية. وقد أكثر المتأخرون عنهم في شرحها والتعليق عليها متنا وسندا وغير ذلك. الذريعة، الطهراني: 14/26. وقال الطهراني أيضا: هو اجل الكتب الأربعة في الأصول المعتمدة عليه، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول. لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، ابن أخت علاء الكليني، والمتوفى 328 مشتمل على أربعة وثلاثين كتابا، وثلاثمائة وستة وعشرين بابا، وأحاديثه حصرت في ستة عشر ألف حديث، الصحيح 5072. الحسن 144، الموثق 178، القوي 302، الضعيف 9485. ومائة وتسعة وتسعين حديثا أزيد من جميع صحاح الست. الذريعة، الطهراني: 17/245، حرف الكاف / الرقم 96 الكافي في الحديث.
- 2- الشيخ المفيد: فقيه الطائفة شيخها غير مدافع، أبو عبد الله، يعرف بابن المعلم شيخ متكلمي الإمامية وفقهاؤها، انتهت رئاستهم إليه في وقته في العلم، فقيه حسن الخاطر دقيق الفطنة حاضر الجواب، وحاله أعظم من الثناء عليه، له قريب من مائتي مصنف مات، قدس الله روحه، ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. وكان مولده حادي عشر ذى القعدة من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وصلى عليه السيد المرتضى رحمه الله بميدان الأشنان وضاق على الناس مع كبره، ودفن بداره ونقل إلى المشهد الشريف الكاظمي على مشرفه السلام ودفن قريبا من رجلى الجواد عليه السلام إلى جانب شيخه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه. رجال ابن داود، ابن داود: 333 \_\_ 334، باب الميم / الرقم 1464 محمد بن محمد بن النعمان.
- 3- أورد الحديث كل من القمي والكليني والطوسي في أماليه وليس المفيد في أماليه. والشيخ الطوسي: هو أبو جعفر جليل في أصحابنا، ثقة عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله. له كتب، منها كتاب تهذيب الأحكام وهو كتاب كبير، وكتاب الاستبصار. رجال النجاشي، النجاشي: 403، باب الميم / الرقم 1068. محمد بن الحسن بن علي الطوسي: أبو جعفر شيخ الإمامية قدس الله روحه، رئيس الطائفة جليل القدر عظيم المنزلة ثقة عين صدوق عارف بالأخبار والرجال الفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنف في كل فنون الإسلام. ولد قدس الله روحه في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. توفي رضى الله عنه ليلة الإثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة بالمشهد المقدس الغروي على ساكنه السلام ودفن بداره. رجال العلامة، العلامة: 148، القسم الأول، الفصل الثالث والعشرون في الميم، الباب الأول محمد / الرقم 46.

عندما يصبح فى آخر يوم من حياته وأول يوم من آخرته، تتجسم أمامه أعماله وأبناؤه وأمواله، فيخاطب ماله ويقول له بأنه جمعه وحرص عليه، فماذا سيعطيه الآن، فيجيب المال أن ليس لصاحبه عنده أكثر من الكفن، ثم يتجه إلى أبنائه فيذكرهم بأنه رعاهم وحماهم، فماذا سيقدمون إليه؟ فيجيبون بأنه يأخذونه إلى القبر ويهيلون التراب عليه، ثم يتجه إلى عمله ويسأله نفس السؤال فيجيب بأنه سيظل معه فى القبر ويوم القيامة حتى يعرضوا جميعاً على الخالق عز وجل. فإن كان هذا الإنسان صالحاً من أولياء الله، يتمثل أمامه شخص جميل الوجه طيب الرائحة حلو الهمدَام (1) فيبشره بـ (فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ

---

1- يقال: هذا شىء مهندم، أى: مصلح على مقدار. وهو معرب، وأصله بالفارسية «أندام». الصحاح، الجوهري: 5 / 2056، مادة «هدم». قال الأزهرى: الهمدَام: الحسن القد، معرب. لسان العرب، ابن منظور: 12 / 624، مادة «هندم».

وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (1) وأنه سيدخل أفضل منزل. فيسأل الإنسان الصالح: من أنت، فيجيبه: أنا عمك الصالح، فاستعد للجنة، ثم يطلب هذا الشخص من المغسل والحامل أن يسرعوا في عملهم. وعندما يرد القبر يأتيه الملكان، شعرهما طويل وأسنانهما تصل إلى الأرض، صوتهما كالرعد، وعيونهما كالبرق، يسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيجيب: الله ربي. ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الإسلام ديني. بعدها، يدعوان له، بأن يثبته الله فيما يحب، وهذا هو مضمون الآية:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (2) ثم يقوم الملكان بتوسيع القبر ويفتحان له باباً على الجنة ويقولان: ادخلها هانئاً قرير العين، وهو مضمون الآية الكريمة:

(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (3).

أما لو كان هذا الإنسان عدواً لله، فيأتيه شخص بملاص قدرة، رائحته نتنة فيشره بـ (فَنزُلُ مِنْ حَمِيمٍ) (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (4)، ثم يطلب من المغسل والحامل أن يتباطأوا في عملهم. وعندما يدخلونه القبر يأتيه الملكان فيسحبانه من كفنه

1- سورة الواقعة / 89.

2- سورة إبراهيم / 27.

3- سورة الفرقان / 24.

4- سورة الواقعة / 93 \_\_ 94.

ويسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ ومادينك؟ فيجيب: لا أدري، فيقول الملكان له: لم تعرف، ولم تهتد. ثم ينهالان (1) عليه ضرباً بسياط من حديد ونار، لدرجة تبعث الرعب في كل موجودات الأرض، إلا الجن والإنس. بعدها يفتحان له باباً على نار جهنم ويقولان له: ابق في أسوأ وضع، ثم يضيق عليه القبر ويضغظه حتى يخرج مخه من رأسه، ثم يسلم الله تعالى عليه، من ثعابين وعقارب وحشرات الأرض لتلدغه (2) وتنهش (3) جسمه، ويستمر هذا حتى يتمنى ويدعو الله أن يقيم الساعة ليتخلص من هذا العذاب (4).

1- إنهال عليه القوم: تتابعوا عليه وعلوه بالشتم والضرب والقهر. لسان العرب، ابن منظور: 11/714 مادة «هيل».

2- اللدغ: عض الحية والعقرب. قيل: اللدغ بالفم واللسع بالذنب. قال الليث: اللدغ بالناب. لسان العرب، ابن منظور: 448/8، مادة «لدغ».

3- النهش بالفم كالنهس، إلا إن النهش تناول من بعيد. كتاب العين، الفراهيدي: 402/3، مادة «نهش». نهش ينهش وينهش نهشا: تناول الشيء بفمه ليعضه، فيؤثر فيه ولا يجرحه. قال أبو العباس: النهش: ياطباق الأسنان. لسان العرب، ابن منظور: 360/6، مادة «نهش».

4- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: 227/2 \_\_ 228، تفسير سورة إبراهيم / ح 20. تفسير القمي، القمي: 369/1 \_\_ 371، تفسير سورة إبراهيم. الكافي، الكليني: 3 / 231 \_\_ 233، كتاب الجنائز، باب أن الميت يمثل له مال وولده وعمله قبل موته / ح 1. كتاب الأمالي، الطوسي: 347 \_\_ 349، المجلس 12 / ح 59.

إن الآية الكريمة:

(يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) (1).

تشير إلى هذه الآية:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَدَّرَ رَبُّ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصَدَّرُ رَبُّ اللَّهِ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (2).

ففي هذه الآيات يبين الباري عز وجل أن هناك كلمات لها جذور وأصول ثابتة توتى ثمارها الطيبة في كل زمان، هذه الكلمات وصفها الله بالطهارة وأشار إلى أنها تصعد إليه. وكذلك يصعد العمل الصالح إليه (3).

1- سورة إبراهيم / 27.

2- سورة إبراهيم / 24 \_ 27.

3- قال السبزواري في تفسير قوله تعالى: (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) سورة فاطر / 10، في جملة يرفعه احتمالات ثلاثة: الأول: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله. الثاني: عكس الأول أي أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح إليه سبحانه. الثالث: أن العمل الصالح يرفعه الله إليه أي يقبله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، السبزواري: 440، تفسير سورة فاطر. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَدَّرَ رَبُّ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) سورة إبراهيم / 24، التقدير ضرب الله مثلا جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة. انه مثل الكلمة بالشجرة وشبهها بها وهو معنى قولنا اتخذ كلمة طيبة كشجرة. وقوله أصلها ثابت أي مرتكز في الأرض ضارب بعروقه. وكذلك كل كلمة حققة وكل عمل صالح مثله هذا المثل، له أصل ثابت وفروع رشيدة وثمرات طيبة مفيدة نافعة. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 50 / 12 \_ 52، تفسير سورة إبراهيم.

كما قال الله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) (1) ثم بين طريق الوصول إلى هذه العزة:

(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (2).

ففى هذه الآيات أوضح البارى عز وجل أنه يثبت المؤمنين بهذه الكلمات الطيبة فى الدنيا والآخرة، فهو يقرن الكلام \_\_ بلحاظ نية الإنسان \_\_ بصفة الثبات (3).

1- سورة فاطر/10.

2- سورة فاطر / 10.

3- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) سورة فاطر / 10، الكلمة الطيبة هو الذى يرتب تعالى عليه تثبيته فى الدنيا والآخرة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 51 / 12، تفسير سورة إبراهيم.



وتكون النتيجة، أحد أمرين، أما أن يثبت الإنسان «بالقول الثابت» (1) (2) أو أن ينزلق ويضل بـ «القول غير الثابت» الذي عبر عنه القرآن الكريم بـ «الكلمة الخبيثة» (3)، والنتيجة الطبيعية تكون، طريق السعادة، أو طريق الشقاء في الآخرة بعد المحاسبة والسؤال، وهما طريقان لا يمكن أن يتساويا.

ومن جانب آخر، فإن الخالق جل وعلا- يخبرنا أن القول الطيب والثابت، يعطى ثماره ونتائجه، دائماً بإذنه هو ومن خلال الآيات السالفة الذكر (4)، نستنتج أن منافع وثمار القول الطيب تظهر في أى زمان أو مكان، وهذا يعنى أن السؤال والحساب موجودات في كل زمان ومكان.

1- سورة إبراهيم / 27.

2- قال الطبرسى: القول الثابت: الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم فى الدنيا أنهم إذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا. تفسير جوامع الجامع، الطبرسى: 283 / 2، تفسير سورة إبراهيم.

3- عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ سَوَاءٌ لِّبَرِّهِمْ أَوْ لِكُفْرِهِمْ) سورة إبراهيم / 26، وهى كلمة الكفر والشرك. عن أبى على: هو كل كلام فى معصية الله تعالى. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: 75 / 6، تفسير سورة إبراهيم. قال الصافى فى قوله تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ سَوَاءٌ لِّبَرِّهِمْ أَوْ لِكُفْرِهِمْ) سورة إبراهيم / 26، قول باطل ودعاء إلى ضلال أو فساد. التفسير الصافى، الفيض الكاشانى: 86 / 3، تفسير سورة يوسف.

4- سورة إبراهيم / 24. سورة فاطر / 1.

ومن خلال تمسك الإمام الصادق عليه السلام بالآية السالفة الذكر، يمكن استنباط هذه الحقيقة، وهي أن الله سبحانه وتعالى جعل البرزخ استمراراً لحياة الدنيا(1)، فعبارة «وهذا هو قول الله تعالى بأن أصحاب الجنة» الواردة في الحديث(2)، إنما تشير إلى قوله تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) وَوَدِدْنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (23) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (3) هذه الآيات هي

1- قال الطباطبائي: إن البرزخ من تنمة المكث الأرضى محسوب من الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى: (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ (113) قَالُوا إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) سورة المؤمنون / 112 \_\_ 114. فالحياة البرزخية كأنها من بقايا الحياة الدنيوية محكومة ببعض أحكامها، والناس فيها بعد في طريق التصفية والتخلص إلى سعادتهم وشقاوتهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 106 / 8 \_\_ 107، تفسير سورة الأعراف، الآيات (26 \_\_ 36) في السعادة والشقاء.

2- عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) سورة القلم/17، إن أهل مكة ابتلوا بالجوع كما ابتلى أصحاب الجنة، وهي الجنة التي كانت في الدنيا وكانت في اليمن، يقال لها الرضوان. تفسير القمى، القمى: 382/2، تفسير سورة القلم، الذنب يحرم عن الرزق.

3- سورة الفرقان / 21 \_\_ 24.

من أكثر الآيات صراحة بشأن البرزخ، والمقصود بـ«مقيل»<sup>(1)</sup>، النوم في فترة ما قبل الظهر. ومعروف أنه ليس في جنة الآخرة نوم، ورغم أنه ليس في البرزخ أيضاً من أشكال نوم الدنيا، إلا أن المقصود بالآية الكريمة<sup>(2)</sup>، هو أن مكانة البرزخ، من القيامة، بمثابة نوم القيلولة، بالنسبة إلى اليقظة. ومن هنا جاء الوصف الإلهي ليوم البعث بأنه يوم «القيامة»، وهذا ما يدعو الإمام إلى وصف حال الإنسان في البرزخ، بأنه يفتح عليه أما باب على الجنة ثم يقال له: نم قرير العين، أو على جهنم فيقال له: نم في أسوأ حال<sup>(3)</sup>.

ورغم أن هذا المضمون يتكرر في أحاديث عديدة أخرى، إلا أن أياً منها لا يتحدث عن دخول المتوفى، الجنة، بعد الموت مباشرة، بل تشير كل الروايات إلى أن باباً تفتح له على الجنة ليشم من عبيقها ويرى منزله فيها، ثم يقال له نم هائناً قرير العين<sup>(4)</sup>.

1- القائلة: الظهيرة. يقال: أتنا عند القائلة. وقد يكون بمعنى القيلولة أيضاً: وهي النوم في الظهيرة. الصحاح، الجوهري: 5 / 1808، مادة «قيل». قال الطريحي في تفسير قوله تعالى: (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) سورة الفرقان / 24، هو من القائلة، وهو استكنان في وقت نصف النهار. مجمع البحرين، الطريحي: 3 / 576، مادة «ق ي ل».

2- سورة الفرقان / 22.

3- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: 227 / 2 \_\_ 228، تفسير سورة إبراهيم / ح 20.

4- أنظر: تفسير القمي، القمي: 369 / 1 \_\_ 371، تفسير سورة إبراهيم. الكافي، الكليني: 3 / 241 \_\_ 242، كتاب الجنائز، باب ما ينطق به موضع القبر/ح 1.

وقد نقلنا فيما سبق، حديثاً عن الإمام الباقر، الذي يصف فيه الموت بالنوم. عندما سأله عن الموت، فأجاب بأنه كالنوم الذي يأتيكم كل ليلة، والفرق أنه أطول مدة، ولا يصحو منه النائم، إلا يوم القيامة(1).

بناء على هذا فإن البرزخ ليس أكثر من عينة(2) ونموذج(3) للقيامة، وقول الإمام بأن القبر يتوسع بسعة ومدى قابلية عين المتوفى على الرؤيا، إنما هو تلميح جميل لهذا الأمر. أما المقصود بالآية:

(يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لَكُمْ...)(4) فهو أول يوم يرى فيه المتوفى الملائكة(5)، والدليل على ذلك قول المتوفى:

1- أنظر: معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: 289، باب معنى الموت / ح 5.

2- العين عند العرب: حقيقة الشيء. عين الشيء: نفسه وشخصه وأصله. لسان العرب، ابن منظور: 305 / 13، مادة «عون».

3- النموذج، بفتح النون: مثال الشيء، معرب. القاموس المحيط، الفيروز آبادي: 210 / 1، مادة «النموذج». النموذج بفتح النون والذال المعجمة والميم مضمومة، وهو مثال الشيء، أى: صورة تتخذ على مثال صورة الشيء ليعرف منه حاله. تاج العروس، الزبيدي: 109 / 2.

4- سورة الفرقان / 22.

5- قال ابن الجوزى فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) سورة الفرقان / 22، فيه قولان: عند الموت والثانى يوم القيامة. زاد المسير، ابن الجوزى: 10 / 6، تفسير سورة الفرقان. قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) سورة الفرقان / 22، يريد أن الملائكة لا يراها أحد إلا عند الموت. تفسير القرطبي، القرطبي: 20 / 13، تفسير سورة الفرقان. قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا) سورة الفرقان / 22، فذكر أنهم والحال حالهم لا يرون الملائكة إلا مع حال الموت. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 85 / 1، تفسير سورة البقرة.

(لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ) (1) وهذا اللقاء يتم في عالم البرزخ حيث تتحقق للإنسان البشرى أو عكسها.

### المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب

نفهم من الآية السالفة الذكر (2) أن المحاسبة في القبر تطال المؤمنين والظالمين فقط، ولم تتطرق الآية إلى وضع المستضعفين (3) والمتوسطين (4). ولعل هذا المفهوم

1- سورة الفرقان / 21.

2- سورة الفرقان / 22.

3- عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: (الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) سورة النساء / 98، قال: لا يستطيعون سبيل أهل الحق فيدخلون فيه ولا يستطيعون حيلة أهل النصب فينصبون، قال هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها ولا ينالون منازل الأبرار. تفسير العياشي، العياشي: 1 / 268 \_\_ 269، تفسير سورة النساء / ح 245.

4- عن ابن عباس، وابن مسعود في تفسير قوله تعالى: (وَعَلَى الْأَعْرَافِ) سورة الأعراف/46، إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة، فجعلوا هناك حتى يقضى الله فيهم ما شاء، ثم يدخلهم الجنة. مجمع البيان، الطبرسي: 4 / 261، تفسير سورة الأعراف. قال الطباطبائي: اختلفوا في معنى الأعراف، أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يترجح حسناتهم حتى يدخلوا الجنة ولا غلبت سيئاتهم حتى يؤمروا بدخول النار فأوقفهم الله تعالى على هذه الأعراف لكونها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يدخلهم الجنة برحمته. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 8 / 126، تفسير سورة الأعراف.

يتضمنه العديد من الروايات. فقد ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن المؤاخذة والمحاسبة في القبر إنما تشمل أهل الإيمان الخالص، وأهل الكفر البحت فقط، دون الآخرين (1). وفي تفسير القمي، ينقل عن ضريس الكناسي (2) أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن حساب القبر، وحال من هو من الموحدين والمؤمنين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه مذنب، وليس له إمام، ولا يعرف ولا يتك، فأجاب: هؤلاء يبقون في قبورهم. فإن كانت لديهم أعمال صالحة ولم يناصروا (3) أهل البيت

- 
- 1- عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضَرَمِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُسَأَلُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا مَنْ مَحَصَّ الْإِيمَانَ مَحْضًا أَوْ مَحَصَّ الْكُفْرَ مَحْضًا وَالْآخَرُونَ يُلْهَوْنَ عَنْهُمْ. الكافي، الكليني: 3 / 235، كتاب الجنائز، باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ح 1.
  - 2- قال حمدويه: سمعت أشياخي يقولون ضريس إنما سمي الكناسي لأن تجارته بالكناسة، وكانت تحته بنت حمران، وهو خير فاضل ثقة. رجال الكشي، الكشي: 313 \_\_ 314، ما روى في ضريس بن عبد الملك بن أعين الشيباني/الرقم 566.
  - 3- النصب أيضا: المعادة، يقال نصب فلان نصبا: إذا عادته. الناصب: وهو الذي يتظاهر بعبادة أهل البيت أو لمواليهم لأجل متابعتهم لهم. مجمع البحرين، الطريحي: 4 / 316، مادة «نصب».

العداء. فتحت على قبورهم باب من الجنة، فيهب عليهم منها نسيم عطر يدخل السرور في قلوبهم، حتى يلاقوا ربهم يوم القيامة. فيحاسبهم، ويجازيهم على حسناتهم، ويؤاخذهم في سيئاتهم، هؤلاء أمرهم مرهون بالبارى عز وجل (1).

وكذا الحال مع المستضعفين والبلهاء (2) والأطفال، وأبناء المسلمين الذين لم يبلغوا سن الرشد. وعندما يقول الإمام عليه السلام (3) أن أمر هؤلاء مرهون بالبارى عز وجل، فإنه يشير إلى الآية الكريمة:

(وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (4).

وخالصة الأمر أن جميع البشر، يتعرضون للحساب الذى يتحدد على أثره، عيشهم فى النعيم أو العذاب فى الجحيم ويستثنى من ذلك المستضعفون ومن فى عدادهم.

1- أنظر: تفسير القمى، القمى: 2/260 \_\_ 261، تفسير سورة المؤمن، من مات ولم يعرف الإمام. أنظر: تفسير القمى، القمى: 2/260 \_\_

261، تفسير سورة المؤمن، من مات ولم يعرف الإمام.

2- البله: الغفلة عن الشر وأن لا يحسنه. رجل أبله بين البله والبلاهة: وهو الذى غلب عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس، فى التهذيب: الأبله: الذى طبع على الخير، فهو غافل عن الشر لا يعرفه. لسان العرب، ابن منظور: 477/13، مادة «بله».

3- أى: «الإمام الباقر عليه السلام».

4- سورة التوبة / 106.

## تجسم الأرواح في البرزخ

تجسم (1) الأرواح في البرزخ

ينقل الشيخ المفيد (2) عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الله سبحانه وتعالى عندما يقبض روح إنسان، يبعثها في الجنة بنفس الشكل الذي كانت عليه في الدنيا، فتمارس هذه الأرواح نشاطات الأكل والشرب (3).

1- قال الشيخ المفيد: قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قلبه في الدنيا في جنة من جنانه ينعمه فيها إلى يوم الساعة. المسائل السروية، الشيخ المفيد: 63، المسألة الخامسة عذاب القبر. تجسم الروح: تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية، فينعم ويعذب فيها ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلقه بها. بحار الأنوار، المجلسي: 271 / 6، كتاب العدل، باب 8 أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله.

2- مرت ترجمته.

3- عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ مِنْكُمْ وَاللَّهِ يُقْبَلُ وَلَكُمْ وَاللَّهِ يُعْفَرُ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَيَرَى الشَّرُورَ وَفَرَّةَ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هَاهُنَا وَأَوْمًا بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَاحْتَضِرَ رَحْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَبْرِئِيلَ وَمَلَكَ الْمَوْتِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَيَدْنُو مِنْهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا كَانَ يُجِئُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَجَبَهُ وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَا جَبْرِئِيلُ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَجَبَهُ وَيَقُولُ جَبْرِئِيلُ لِمَلَكَ الْمَوْتِ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَجَبَهُ وَأُزْفِقُ بِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ مَلَكَ الْمَوْتِ فَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَخَذْتَ فَكَأَكَ رَقَبَتِكَ أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ تَمَسَّكَتَ بِالْعَصْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَالَ فَيُوقِّعُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقُولُ وَمَا ذَلِكَ فَيَقُولُ وَلَايَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ صَدَقْتَ أَمَا الَّذِي كُنْتَ تَحَذَرُهُ فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَا الَّذِي كُنْتَ تَرْجُوهُ فَقَدْ أَدْرَكْتَهُ أَبَشَرُ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ مُرَافَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ثُمَّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ سَلًا رَافِقًا ثُمَّ يَنْزِلُ بِكَفْنِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَحَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ بِمِسْكِ أَذْفَرٍ فَيَكْفَنُ بِذَلِكَ الْكَفْنِ وَيَحْنُطُ بِذَلِكَ الْحَنُوطِ ثُمَّ يُكْسَى حُلَّةً صَفْرَاءَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فُتِيحَ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ رُوحِهَا وَرِيحَانِهَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ عَنْ أَمَامِهِ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمِ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ عَلَى فِرَاشِهَا أَبَشَرُ بِرُوحِ وَرِيحَانِ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَصَبٍ بَانَ ثُمَّ يُزُورُ آلَ مُحَمَّدٍ فِي جَنَّاتِ رَضْوَى فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ مِنْ طَعَامِهِمْ وَيَسِّرُ مِنْ شَرَابِهِمْ وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ حَتَّى يَقُومَ قَائِمًا أَهْلَ الْبَيْتِ... الحديث. الكافي، الكليني: 3/131 \_\_ 132، كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن والكافر/ح 4.



وينقل صاحب «الكافي» (1) عن أبي ولاد الحنات (2) أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن شكل أرواح المؤمنين، فقال الإمام أنها تأخذ نفس الأشكال التي كانت عليها في الدنيا (3).

وفي رواية أخرى في الكافي، يقول الإمام الصادق أن أرواح المؤمنين تتخذ نفس أشكالها الدنيوية فتتجمع على شجرة في الجنة لتتعارف فيما بينها وتسال كل منها عن الآخرين، وكلما التحقت بها روح جديدة، قالت الأولى، أفسحوا (4).

1- صاحب الكافي: هو محمد بن يعقوب الكليني، وقد مرت ترجمته.

2- حفص بن سالم: يكنى أبا ولاد الحنات بتشديد اللام وتشديد النون بعد الحاء المهملة، ثقة كوفي مولى جعفي، له أصل. وقال ابن فضال إنه حفص بن يونس المخزومي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ثقة لا بأس به. وقال ابن عقدة: حفص بن سالم خرج مع زيد بن علي، وظهر من الصادق عليه السلام تصويبه لذلك. رجال العلامة، الحلبي: 58، القسم الأول فيمن اعتمد عليه، الفصل السادس في الحاء، الباب الثامن حفص / الرقم 1.

3- انظر: الكافي، الكليني: 3/ 244، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين / ح 1.

4- الفسحة: السعة. فسح له المجلس يفسح فسحا وفسوحا وتفسح: وسع له. لسان العرب، ابن منظور: 543/2، مادة «فسح».

لها، فإنها قادمة من الأهوال (1) والخوف العظيم (2).

وهناك الكثير من الأخبار الواردة في هذا الشأن (3)، لكنها تخص المؤمنين فقط، أما حال الكافرين، فسيأتي الحديث عنهم لاحقاً.

- 
- 1- الهول: المخافة من أمر لا- تدرى على ما تهجم عليه منه، كهول الليل. كتاب العين، الفراهيدي: 86/4، مادة «هول». الهول العظيم، المراد به: الفزع العظيم. يقال هاله الشيء من باب قال يهوله هولاً: أزعجه. مجمع البحرين، الطريحي: 444/4، مادة «هول».
- 2- عَنْ أَبِي بصير عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ فِي صِفَةِ الْأَجْسَادِ فِي شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ تَعَارَفُ وَتَسَاءَلُ فَإِذَا قَدِمَتِ الرُّوحُ عَلَى الْأَرْوَاحِ يَقُولُ دَعُوهَا فَإِنَّهَا قَدْ أَفَلَّتْ مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ ثُمَّ يَسْأَلُونَهَا مَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَا فَعَلَ فُلَانٌ فَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ تَرَكْتُهُ حَيًّا ازْتَجَوْهُ وَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ قَدْ هَلَكَ قَالُوا قَدْ هَوَى هَوَى. الكافي، الكليني: 244/3، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين / ح 3.
- 3- عن أبي بصير أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال: في الجنة على صورة أبدانهم لو رأيته لقلت فلانا. جامع الأخبار، الشعيري: 172، الفصل 136 في الروح. عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ذكر الأرواح أرواح المؤمنين، فقال: يلتقون، قلت: يلتقون، فقال: يتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان. المحاسن، البرقي: 178/1، كتاب الصفوة والنور والرحمة، باب 40 أرواح المؤمنين / ح 164.

## لقاء الأموات بذويهم

ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن الشخص المؤمن، يلتقي ذويه بعد موته، فيحدثهم عما شاهدته وأدخل السرور عليه، ويخفي عنهم ما لقيه من أذى (1). وفي رواية أخرى يقول الإمام عليه السلام (2) أن كل متوفى، سواء كان مؤمناً أو كافراً، لا بد وأن يلتقي ذويه كل ظهيرة، فإن رأى المؤمن ذويه يعملون صالحاً، يحمد الله، وإن رأى الكافر ذويه يعملون صالحاً، يغبطهم على ما هم عليه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي أَهْلَهُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا رَأَى الْكَافِرِ أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً.

الكافي، الكليني: 230 / 3، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح 2.

(3) قال العلامة: إسحاق بن عمار بن حيان مولى بني تغلب أبو يعقوب الصيرفي، كان شيخاً من أصحابنا، ثقة روى عن الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام، وكان فطحيًا.

قال الشيخ: إلا أنه ثقة وأصله معتمد عليه.

رجال العلامة، العلامة الحلي: 200 القسم الثاني، الفصل الأول في الهمزة، الباب الثالث إسحاق / الرقم 1.

(4) أبا الحسن عليه السلام، هو: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

1- أنظر: الكافي، الكليني: 230 / 3 \_\_ 231، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح 4.

2- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

3- . وفي «الكافي» أيضاً ورد عن إسحاق بن عمار

4- أنه سأل أبا الحسن عليه السلام

شهر، أو كل عام، ثم يسأل: وكيف يزور المتوفى ذويه، فيجيب الإمام عليه السلام بأنه يزورهم كما يقف الطير الجميل على حائط دارهم ويطلع على ما يعملون، فيفرح إذا رآهم في خير وعافية ويحزن إذا رآهم في ضيق وأذى(1).

وهناك الكثير من الروايات الواردة في هذا الشأن(2) والتي تشترك في المضمون السالف الذكر(3)، وباعتقادنا فإن تصوير الشخص على هيئة الطير الجميل، إنما هو من باب تجسم الأرواح(4).

وربما يمكن إدراك معنى الرواية المذكورة آنفاً(5)، من خلال الوصف القرآني:

1- أنظر: الكافي، الكليني: 230 / 3، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح 3.

2- عن عبد الرحيم القصير، قال: قلت له \_\_ الإمام الكاظم عليه السلام \_\_ المؤمن يزور أهله؟ فقال: نعم يستأذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم. الكافي: الكليني: 230 / 3 \_\_ 231، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح 4. عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَزُورُ الْمُؤْمِنُ أَهْلَهُ فَقَالَ: نَعَمْ فَقُلْتُ: فِي كَمْ؟ قَالَ: عَلَى قَدْرِ فَضْلِ مَا لِي بِهِمْ مِنْهُمْ، مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ مِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُ فِي مَجْرَى كَلَامِهِ أَنَّهُ يَقُولُ: أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ قَالَ قُلْتُ: فِي أَيِّ سَاعَةٍ قَالَ: عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ: قُلْتُ فِي أَيِّ صُورَةٍ قَالَ: فِي صُورَةِ الْعَصْفُورِ أَوْ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُ مَلَكًا فَيُرِيهِ مَا يَسْرُهُ وَيَسْتُرُهُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ فَيَرَى مَا يَسْرُهُ وَيَرْجِعُ إِلَى قُرَّةِ عَيْنٍ. الكافي، الكليني: 231 / 3، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح 5.

3- أنظر: الفصل الثاني، لقاء الأموات بذويهم.

4- مر تعريف وتوضيح تجسم الأرواح في الفصل الثاني، موضوع تجسم الأرواح في البرزخ.

5- أنظر: الكافي، الكليني: 230 / 3، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح 3.

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)(1).

إن المقصود بـ«الاستبشار» هو استلام البشرى والسرور بها، وعبارة (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ...) (2) توضيح لعبارة (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا...) (3).

إذن فهذه الآيات تبين لنا أن المقتولين في سبيل الله، يفرحون ويسعدون لكون ذويهم في نعمة وسعادة، وأن ذويهم يعملون صالحاً، ولما كان الله تعالى لا يضيع أجر عامل (4)، فإنه يجازى هؤلاء على أعمالهم وينزل عليهم بركاته والقتلى في سبيله يرون كل هذا.

ولهذه الآية، مضمون مشابه لما سلف:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (5).

- 
- 1- سورة آل عمران / 169 \_\_ 171.
  - 2- سورة آل عمران / 171.
  - 3- سورة آل عمران / 170.
  - 4- إشارة إلى قوله تعالى: (فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ... آلاية) سورة آل عمران / 195.
  - 5- سورة التوبة / 105.

## حديث الشيطان مع أتباعه في القبر

يقول الإمام الصادق عليه السلام \_\_ كما ورد في الكافي \_\_ حول حساب القبر، أن الميت إذا كان كافراً، يقول له الملكان: من هذا الذي معك، فيقول لا أدري، بعدها يتركه الملكان وحيداً مع الشيطان(1). وفي تفسير العياشي وردت هذه الرواية أيضاً(2)، وهي مستوحاة(3) من الآية الكريمة:

(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (4) و(حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) (5).

والحقيقة الثابتة هي أن عالم البرزخ(6)، أوسع من عالم الدنيا بعدة مرات،

1- أنظر، الكافي، الكليني: 238/3، كتاب الجنائز، باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ذيل الحديث 10.

2- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: 225/2، تفسير سورة إبراهيم /ح 17.

3- قال الأزهرى: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً. لسان العرب، ابن منظور: 381/15، مادة «وحى».

4- سورة الزخرف / 36.

5- سورة الزخرف / 38.

6- قال الصادق عليه السلام: البرزخ: القبر، وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. تفسير القمى، القمى: 1 / 19 \_\_ 20، مقدمة المصنف. قال السبحاني: عالم البرزخ: إن هذا العالم وعاء للإنسان يعذب فيها من يعذب وينعم فيها من ينعم. في ظلال التوحيد، السبحاني: 532، المبحث السابع أسئلة حول طلب الشفاعة. وقد مر بيان المعنى اللغوي والإصطلاح للبرزخ في الفصل الثاني.

ذلك أن «المثال» (1) هو أوسع وأكبر من الجسم المادى. وعلى هذا فإن كل ما ورد فى الكتاب والسنة حول «البرزخ»، لم يكن أكثر من عموميات أوردت للمثال فقط، ولم تكن تفصيلاً وشرحاً كامليين للموضوع.

الموضوع الآخر الذى يجب إدراكه، هو أن الكثير من الأخبار والروايات، اعتبرت الأرض، مكاناً للجنة ونار البرزخ (2)، وكذلك مكاناً للقاء الأموات مع

1- المثال: صورة الشئ الذى تمثل صفاته. المثال عند أفلاطون: صورة مجردة، وحقيقية معقولة، قائمة بذاتها، أزلية ثابتة، لا تتغير ولا تدر، ولا تقسد. المعجم الفلسفى، صليبا: 335/2، باب الميم، المثال. قال الشيخ البهائى: عليك أن تعلم أن البرزخ الذى تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنيوية هو غير البرزخ الذى بين الأرواح المجردة، والأجسام لأن مراتب تنزلات الوجود، ومعارجه دورية. المرتبة التى قبل النشأة الدنيا هى من مراتب التنزلات، ولها الأولية، والتى بعدها من مراتب المعارج ولها آخريه، وأيضاً الصور التى تلحق الأرواح فى البرزخ الأخير إنما هو صورة الأعمال، ونتيجة الأفعال السابقة فى النشأة الدنيوية بخلاف صورة البرزخ الأول، فيكون كل منهما غير الآخر، لكنهما يشتركان فى كونهما عالماً روحانياً، وجوهرًا نورانياً غير مادى مشتملاً لمثال صور العالم. دائرة المعارف الشيعية العامة، الأعلمی: 132/6، حرف الباء، البرزخ.

2- قال القمى: سأل ملك الروم الإمام الحسن عليه السلام عن سبعة أشياء... ثم سأله: عن أرواح المؤمنين أين تكون إذا ماتوا قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس فى كل ليلة جمعة وهو عرش الله الأدنى منها بسط الله الأرض وإليها يطويها ومنها المحشر ومنها استوى ربنا إلى السماء أى استولى على السماء والملائكة، ثم سأله عن أرواح الكفار أين تجتمع قال: تجتمع فى وادى حضر موت وراء مدينة اليمن ثم يبعث الله نارا من المشرق ونارا من المغرب ويتبعهما بريحين شديدتين فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخرة ويترك الميعاد وتصير جهنم عن يسار الصخرة فى تخوم الأرضين السابعة وفيها الفلق والسجين فتفرق الخلائق من عند الصخرة فمن وجبت له الجنة دخلها ومن وجبت له النار دخلها. تفسير القمى، القمى: 271 / 2 \_\_ 272، تفسير سورة الشورى، مسائل ملك الروم للحسن عليه السلام.

ذويهم (1)، وهذا الأمر، يفهم منه أن العلاقة المادية لعالم الأرواح (2)، لا تنقطع بشكل كامل، وهذا هو الواقع.

وفى كثير من الأخبار ورد أن جنة البرزخ تقع فى وادى السلام، وناره فى «وادى برهوت» (3).

1- أنظر: الكافى، الكلينى: 3/246 \_\_ 247، باب جنة الدنيا.

2- قال الرازى: عالم الأرواح: هو [عالم] يؤثر ويتأثر، لمؤثر الذى لا يتأثر وهو الإله تعالى وتقدس، والمتأثر الذى لا يؤثر وهو عالم الأجسام، فخاصية جوهر الأرواح أنها تقبل الأثر والتصرف عن عالم نور جلال الله، ثم إنها إذا أقبلت على عالم الأجسام تصرفت فيه وأثرت فيه، فتعلق الروح بعالم الأجسام بالتصرف والتدبير فيه، وتعلقه بعالم الإلهيات بالعلم والمعرفة. تفسير الرازى، الرازى: 217/18، تفسير سورة يوسف.

3- سأل أبى عبد الله عليه السلام: أين وادى السلام؟ قال: بين وادى النجف والكوفة. إرشاد القلوب، الديلمى: 441/2، فضل المشهد الغرورى الشريف على مشرفه أفضل الصلاة والسلام وما لتربته والدفن فيها من المزية والشرف. وقال الجزائرى: جنة الدنيا، وادى السلام، ومحلها ظهر الكوفة بين النجف وكربلاء، وفيها أرواح المؤمنين فى أجساد مثالية يتنعمون بها حتى يوافوا جنة الخلد. قصص الأنبياء، الجزائرى: 258، الباب الثانى عشر فى قصص موسى وهارون على نبينا وآله وعليهم السلام، الفصل الخامس فى أحوال مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون. قال الحموى: برهوت: بضم الهاء، وسكون الواو، وتاء فوقها نقطتان: وادى باليمن يوضع فيه أرواح الكفار. معجم البلدان، الحموى: 405/1. قال الجزائرى: وادى برهوت: وهو واد فى حضر موت من بلاد اليمن الذى يعذب فيه أرواح الكفار فى الدنيا. قصص الأنبياء، الجزائرى: 258، الباب الثانى عشر فى قصص موسى وهارون على نبينا وآله وعليهم السلام، الفصل الخامس فى أحوال مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون.



أما مكان اجتماع الأرواح فهو عند قبة الصخرة في بيت المقدس (1).

وفي روايات أخرى، ورد أن الأئمة، شاهدوا أرواحاً في أماكن مختلفة (2)، وهذا

1- بيت المقدس: أو القدس: تقع بوسط فلسطين، فوق تل صخرى من التلال اليهودية (على ارتفاع 762 م). بيت المقدس: هو المدينة المقدسة لليهود وللمسيحيين والمسلمين، بها المسجد الأقصى، الحرم المقدس للمسلمين. سميت «صهيون» في الكتاب المقدس. تضم المدينة القديمة معظم الأماكن المقدسة الخاصة بالأديان الثلاثة، ويزورها المسلمون للصلاة بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة. الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، صلاواتي: 1013/2 \_\_ 1014، الباء، بيت المقدس.

2- وردت في هذا المعنى العديد من الروايات نذكر منها الآتي: عن أبي جعفر عليه السلام قال جاء ناس إلى الحسن بن علي عليه السلام فقالوا أرنا بعض ما عندك من عجائب أبيك الذي كان يريناها فقال أ تؤمنون بذلك قالوا نعم نؤمن به والله قال أليس تعرفون أمير المؤمنين قالوا بلى كلنا نعرفه قال فرجع لهم جانب الستر وقال: أتعرفون هذا الجالس قالوا بأجمعهم هذا والله أمير المؤمنين ونشهد أنك ابنه وأنه كان يرينا مثل ذلك كثيرا. الخرائج والجرائح، الراوندى: 810/2، الباب السادس عشر في نوادر المعجزات. دخل أبو بكر على علي أمير المؤمنين عليه السلام: فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحدث إلينا في أمرك شيئا بعد أيام الولاية بالغدير وأنا أشهد أنك مولاي مقر لك بذلك وقد سلمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإمرة المؤمنين وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنك وصيه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه وأنت وارثه وميراثه صار إليك ولم يخبرنا أنك خليفته في أمته من بعده ولا جرم لى فيما بينى وبينك ولا ذنب لنا فيما بيننا وبين الله فقال له على عليه السلام إن أريتك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يخبرك بأنى أولى بالأمر الذى أنت فيه منك وأنت إن لم تعترزل عنه فقد خالفت قال إن رأيتك حتى يخبرنى ببعض هذا اكتفيت به قال: فنلتقى إذا صليت المغرب حتى أريكاه قال: فرجع إليه بعد المغرب فأخذ بيده فأخرجه إلى مسجد قبا فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس فى القبلة فقال له يا فلان وثبت على مولاك على وجلست مجلسه وهو مجلس النبوة لا يستحقه غيره لأنه وصيى ونبذت أمرى وخالفت ما قلت لك وتعرضت لسخط الله وسخطى فانزع هذا السربال الذى تسربلته بغير حق ولا أنت من أهله وإلا فمعدك النار قال فخرج مذعورا ليسلم الأمر إليه وانطلق أمير المؤمنين فحدث سلمان بما كان وخرج فقال له سلمان ليبدن هذا الحديث لصاحبه وليخبرنه بالخبر فضحك أمير المؤمنين وقال أما إنه سيخبره ويمنعه إن هم بأن يفعل ثم قال لا والله لا يذكران ذلك أبدا حتى يموتا قال: فلقى صاحبه فحدثه بالحديث كله وقال له ما أضعف رأيك وأخور قلبك أما تعلم أن ما أنت فيه الساعة من بعض سحر ابن أبي كبشة أنسيت سحر بنى هاشم فأقم على ما أنت عليه. الخرائج والجرائح، الراوندى: 807/2 \_\_ 808، الباب السادس عشر في نوادر المعجزات. وأنظر: بحار الأنوار، المجلسى: 323/43 \_\_ 330، كتاب تاريخ فاطمة والحسن والحسين، أبواب تاريخ الإمامين، باب 15 معجزاته صلوات الله عليه.

الأمر تكرر مع الأولياء الصالحين في حالات عديدة(1)، وكل ذلك دليل على وجود نوع من علقة الروح(2)، لأسباب ترتبط بقدسية المكان أو الزمان أو الظروف المحيطة.

---

1- راجع ما ورد عن رؤية الأولياء الصالحين والعلماء للأرواح المصادرة التالية: العلماء في عالم الرؤيا ومنامات العلماء والصالحين لمؤلفها فارس فقيه.

2- علقت به علقا: لزمته. لسان العرب، ابن منظور: 267 / 10، مادة «علق». الرابطة: العلقة والوصلة. تاج العروس، الزبيدي: 142 / 5.



## الفصل الثالث: النفخ في الصور

إشارة



## النفخ في الصور

## إشارة

يقول الباري عز وجل:

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (1) و(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (2).

نفهم من الآيتين الكريمتين أن هناك نفختين: الأولى، للإماتة، والثانية للإحياء (3)، ولم يأت في الآيات الواردة في هذا الشأن ما يمكننا من تفسير «الصور»

1- سورة النمل / 87.

2- سورة الزمر / 68.

3- عن ثوير بن أبي فاختة عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سئل عن النفختين كم بينهما قال: ما شاء الله، فقيل له: فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه، فقال: أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرئيل فيهبط إلى الأرض ومعه صور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض قال فإذا رأت الملائكة إسرئيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال فيهبط إسرئيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رآه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض فلا يبقى في الأرض ذوروح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذوروح إلا صعق ومات إلا إسرئيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله، قال: فيقول الله لإسرئيل يا إسرئيل مت فيموت إسرئيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) سورة الطور / 9-10، يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض، يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادى الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهورى يسمع أقطار السماوات والأرضين (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) سورة غافر / 16، فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار مجيبا لنفسه (لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ) سورة غافر / 16، وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم إنى أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ولا وزير لى وأنا خلقت خلقتى بيدي وأنا أمتهم بمشيتى وأنا أحييهم بقدرتى، قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذى يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلا حى وقام كما كان ويعود حملة العرش وتحضر الجنة والنار وتحشر الخلائق للحساب، قال: فرأيت على بن الحسين عليهما السلام يبكى عند ذلك بكاء شديدا. تفسير القمى، القمى: 2/ 252 \_\_ 253، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

لفظياً، أما معناها اللغوى فهو البوق الذى ينفخ فيه فيعطى صوتاً عالياً(1).

1- قال الإمام على بن الحسين عليهما السلام فى وصف الصور: للصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض. تفسير القمى، القمى: 252/2، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور. فى مجموعة أبى ورام: قيل الصور: هو القرن، وذلك أن إسرائيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السماوات والأرض. مجموعة ورام، ورام ابن أبى فراس: 1/292، نفخة الصور. قال الطوسى: الصور: قرن ينفخ فيه لاجتماع الصورة به. التبيان، الطوسى: 329/2، تفسير سورة البقرة.

بالنسبة للنفخة الأولى، فإنها وردت في آيتين في سورتي النمل (1) والزمر (2) السالفتي الذكر فقط، لكن القرآن الكريم عبر عنها في أماكن مختلفة بـ «الصيحة» و«الصاخة» وهي الصيحة القوية (3) و«النقر» (4):

(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) (5). (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) (13) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) (6) (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) (7) (فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9)

1- سورة النمل / 87.

2- سورة الزمر / 68.

3- قال ابن سيده: الصاخة صيحة تصخ الأذان، أى: تطعنها فتصمها لشدتها، ومنه سميت القيامة. لسان العرب، ابن منظور: 3 / 33، مادة «صخخ».

4- قال الطريحي: فى حديث أهل البيت عليهم السلام من جملة علومهم: «نقر فى القلوب ونقر فى الأسماع» أما النكت فى القلوب فإلهام وأما النقر فى الأسماع فأمر الملك. مجمع البحرين، الطريحي: 4/368، مادة «نكت».

5- سورة يس / 53.

6- سورة النازعات / 13 \_ 14.

7- سورة عبس / 33 \_ 34.



عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ(1).

(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) (2).

من هنا يمكن إدراك أن المعنى بـ«الصور» فى النفختين؛ هو البوق الذى كان يستخدم فى إعطاء الأوامر للجند، للاستعداد للحرب ثم خوضها(3).

ففى الأولى، ينفخ فى «الصور» أن اصمتوا! و«استعدوا للتحرك» ثم ينفخ ثانية أن «أنهضوا» و«ابدأوا الهجوم».

إذن فالصور، حقيقة واقعة، تشهد صيحتان الصيحة المميّنة، والصيحة التى تحيى ثانية(4)(5).

1- سورة المدثر/ 8 \_\_ 10.

2- سورة ق/ 41 \_\_ 42.

3- قال الطباطبائى: النفخ فى الصور: كناية عن إعلام الجماعة الكثيرين كالعسكر بما يجب عليهم أن يعملوا به جمعا كالحضور والارتحال وغير ذلك. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 399/15، تفسير سورة النمل.

4- أنظر: تفسير القمى، القمى: 252/2 \_\_ 253، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

5- قال الطباطبائى: ظاهر ما ورد فى كلامه تعالى فى معنى نفخ الصور أن النفخ نفختان نفخة للإماتة ونفخة للإحياء. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 293/17، تفسير سورة الزمر.

ورغم أن القرآن الكريم لم يقدم تفسيراً كاملاً لكلمة «الصيحة» (1) لكنه استخدمها في أكثر من ثمانية عشر حالة (2).

- 1- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) سورة ق/42، صيحة القائم من السماء. تفسير القمى، القمى: 327/2، تفسير سورة ق، درجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام فى المحشر. قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) سورة المؤمنون / 41، الصيحة: الصوت الشديد الذى يفزع منها. التبيان، الطوسى: 369/7، تفسير سورة المؤمنون. الصيحة: العذاب. الصيحة: الغارة إذا فوجئ الحى بها. لسان العرب، ابن منظور: 521/2، مادة «صيح».
- 2- إن آيات الصيحة التى وردت فى القرآن عددها 13، وكما يأتى: سورة هود / 67، ونصها: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ). سورة هود / 94، ونصها: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ). سورة الحجر / 73، ونصها: (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ). سورة الحجر / 83، ونصها: (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ). سورة المؤمنون / 41، ونصها: (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَثَاءً فَلِئْلَاقِيهِمْ لِلظَّالِمِينَ). سورة العنكبوت / 40، ونصها: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). سورة يس / 29، ونصها: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ). سورة يس / 49، ونصها: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ). سورة يس / 53، ونصها: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ). سورة ص / 15، ونصها: (وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ). سورة ق / 42، ونصها: (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ). سورة القمر / 31، ونصها: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ). سورة المنافقون / 4، ونصها: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ).

ولا مناص (1) من اتخاذ معناها الحقيقي المعروف. كما أن الباري عز وجل عبر عنها أحياناً بـ «النداء» (2)، وهو ما لا يكون بدون معنى محدد (3).

1- المناص: المهرب. المناص: الملجأ والمفر. لسان العرب، ابن منظور: 102/7، مادة «نوص».

2- سورة ق/41، ونصها: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ).

3- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) سورة ق/41، هو نداء البعث وكلمة الحياة. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 360/18 \_\_ 361، تفسير سورة ق. قال الشوكاني: وفي تفسير قوله تعالى: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) سورة ق/41، قيل: استمع النداء أو الصوت أو الصيحة: وهي صيحة القيامة، أعنى النفخة الثانية في الصور من إسرئيل. فتح القدير، الشوكاني: 81/5، تفسير سورة ق.

وحيث أن البارى عز وجل يتحدث عن سماع الناس للصيحة، وبما أن «السمع» يقوم به الأحياء فقط. وأن الله يخبرنا عن صعق (1) هؤلاء، فإننا ندرك أن المقصود بحياة هؤلاء هي مجرد سماع الصيحة، ولما كان من غير المنطقي القول بسماع الصيحة التي تبعث فيهم الحياة، بعد القول أنهم أحياء، إذن، فإن المقصود هو أن الصيحة أو النفخة ليست أكثر من كلمة إلهية تميت الناس ثم يحييهم، فالله تعالى يقول:

(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (2).

وعلى هذا فإن النفختين المذكورتين، هما كلمتان إلهيتان، الأولى تميت، والثانية يحيى. والأمر الجدير بالملاحظة هو أن البارى عز وجل عبر عن الإماتة بكلمة «صعق» وليس «الموت»، ربما لأن الموت، لفظة تطلق على خروج الروح من البدن، بينما حكم النفخ، يشمل كل الموجودات فى السموات والأرض، بما فى ذلك الملائكة والأرواح (3)، وفى قوله تعالى:

1- الصعق: المغشى عليه. صعق صعقا: غشى عليه من صوت يسمعه أو حس أو نحوه. وصعق صعقا: مات. كتاب العين، الفراهيدى: 1/129، مادة «صعق».

2- سورة غافر/ 68.

3- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) سورة الزمر/68، قيل معناه: يموت من شدة تلك الصيحة التى تخرج من الصور جميع من فى السموات والأرض. التبيان، الطوسى: 46/9، تفسير سورة الزمر.

(لَا يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) (1) الذى يصف فيه أصل الجنة، إشارة إلى هذا الأمر. وفى مكان آخر وصف البارى عز وجل الصعقة بـ«الموت»، وذلك فى الآية الكريمة:

(رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) (2) مع التأكيد بأن «مرتين» لا يقصد منها التكرار.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (3)، وهذا يعنى أن حكم البرزخ يشمل الجميع، وبناء على هذا، فإن المقصود بـ«من فى الأرض» (4) الذين يشملهم «الفرع» (5) و«الصعقة» (6)، ليس الذين هم على قيد الحياة على الأرض (7) بل

1- سورة الدخان/ 56.

2- سورة غافر/ 11.

3- سورة المؤمنون/ 100.

4- سورة النمل / 87.

5- الفرع: الذعر. الصحاح، الجوهري: 3 / 1258، مادة «فرع».

6- صعق الرجل كسمع صعقا بالفتح، ويحرك وصعقة وتصعقا بفتحهما، فهو صعق ككتف: إذا غشى عليه وذهب عقله من صوت يسمعه. تاج العروس، الزبيدي: 6/408.

7- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) سورة الزمر/ 68، أنه يصعق فيه جميع من فى الدنيا من الأحياء ومن فى البرزخ من الأموات وهؤلاء وإن لم يكونوا فى الدنيا فى البرزخ. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 23/19، تفسير سورة الطور.

المقصود به أولئك الذين قال الله تعالى عنهم

(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (1) (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ (113) قَالَ إِنَّ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (2).

(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) (3).

إذن فهؤلاء أهل الأرض، حتى لو كانوا في عالم البرزخ.

أما المقصود بـ«من في السماء» (4) فهم الملائكة وأرواح السعداء (5).

1- سورة الروم / 55 \_ 56.

2- سورة المؤمنون / 112 \_ 114.

3- سورة الأعراف / 40.

4- سورة الملك / 16.

5- قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) سورة الملك / 16، يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم. التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: 2/1330، تفسير سورة الملك. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ) سورة الملك / 16، المراد بمن في السماء: الملائكة المقيمون فيها الموكلون على حوادث الكون. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 19/358، تفسير سورة الملك.

فالله تعالى يقول:

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (1) و(لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ) (2) و(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ) (3) و(وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (4) و(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) (5) و(يُرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) (6)، (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) (7) وآيات أخرى كثيرة (8).

1- سورة الذاريات / 22.

2- سورة سبأ / 30.

3- سورة إبراهيم / 23.

4- سورة الأنعام / 2.

5- سورة فاطر / 10.

6- سورة المجادلة / 11.

7- سورة المعارج / 4.

8- هذه نبذة مما ورد من آيات القرآن الكريم في هذا الشأن: سورة العنكبوت / 22، ونصها: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ). سورة الشعراء / 206، ونصها: (ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ). سورة الزمر / 75، ونصها: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). سورة شورى / 5، ونصها: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

إذن فإن الآيات الدالة على وقوع الصيحة على أهل الأرض، تدل كلها على أنها تؤدي إلى انقلاب الأرض ودمارها على أهلها (1).

كما يتضح من الآية:

(مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) (2)، و(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (3).

خلاصة الأمر، أن الصيحة الأولى تطلق، فتقلب الدنيا بمن فيها، ويفنى أهلها، ثم ينفخ في الصور، فيموت جميع من في عالم البرزخ، ثم ينفخ ثانية،

1- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: (وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) سورة ص / 15، فيسير الله الجبال فتكون سرايا، وترج الأرض بأهلها رجا، وهي التي يقول الله: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) سورة النازعات/6-8، فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفاً بأهلها. جامع البيان، ابن جرير الطبري: 146/17، تفسير سورة الحج.

2- سورة يس / 49 \_\_ 50.

3- سورة الرحمن / 26.



فيبعث الناس جميعاً وتقوم القيامة(1).

وهناك نقطة مهمة وهى أن الآيتين الكريمتين (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) (2) و(وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (3) قد قرنتا موت كل الموجودات الحية، بالأجل المحدد، وهذا يعنى أنه لا يمكن لأى موت أن يقع بشكل اعتباطى(4)، إنما بأجل مكتوب.

وهذا ينطبق على الصيحة والنفخ أيضاً إذ لا يمكن أن يؤديا إلى الموت إلا بأجل معلوم(5).

1- مرتبان ذلك فى بداية الفصل الثالث النفخ فى الصور.

2- سورة الروم / 8.

3- سورة الأنعام / 2.

4- اعتبط فلان: مات فجأة من غير علة ولا مرض. كتاب العين، الفراهيدى: 20 / 2، مادة «عبط». قال الطريحي: يقال لكل من مات من غير علة: اعتبط. مجمع البحرين، الطريحي: 113 / 3، مادة «عبط».

5- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / 42، أى: يقبضها إليه وقت موتها، وانقضاء آجالها. مجمع البيان، الطبرسى: 403 / 8، تفسير سورة الزمر. قال الشوكانى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / 42، أى: يقبضها عند حضور آجالها ويخرجها من الأبدان. فتح القدير، الشوكانى: 465 / 4، تفسير سورة الزمر.

## الذين يستنون من حكم النفخ في الصور

وأما فيما يتعلق بعبارة (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (1) الواردة في آيتي النفخ (2)، فإنها تدل على استثناء البعض من حكم النفخ في الصور (3)، وهو ما يتضح من الآية

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (4).

1- سورة النمل / 87.

2- سورة النمل / 87، ونصها: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ). سورة الزمر / 68، ونصها: (فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ).

3- قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) سورة النمل / 87، إن الشهداء من جملة الخلق الذين لا يفزعون ذلك اليوم. وقيل في تفسير قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) سورة النمل / 87، يعني من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم. وقيل: إسرافيل. التبيان، الطوسي: 8 / 123 \_ 124، تفسير سورة النمل. عن أنس بن مالك قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) سورة الزمر / 68، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله عز وجل قال: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك... الحديث. أعلام الدين، الديلمي: 353، باب عدد أسماء الله تعالى وهي تسع وتسعون، الحديث الثامن.

4- سورة النمل / 87.

لكن ما طبيعة هذا الاستثناء وما أسبابه؟.

الآية التالية تجيب على السؤال:

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (1).

أن المقصود بالحسنة المقرونة بكلمة «أمن» والمضادة في معناها لـ «السيئة». هي الحسنة المطلقة (2)، وليست المشوبة بالسيئة، ولهذا لو كانت أعمال إنسان ما، خليط من الحسنات والسيئات، لما كان آمناً من الفزع يوم ينفخ في الصور، بسبب وجود السيئات في أعماله، والإنسان الوحيد الذي يكون آمناً من الفزع، هو صاحب الحسنات الخالصة الخالية من أية سيئة.

وأحياناً يطلق الله تعالى على السيئات اسم «الخبائث» (3)، فهو القائل (وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ) (4).

وكذلك (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) (5).

1- سورة النمل / 89 \_ 90.

2- أنظر: تفسير روح المعاني، الألوسى: 76/6، تفسير سورة النمل.

3- الخبائث: يريد بها الأفعال المذمومة والخصال الرديئة. لسان العرب، ابن منظور: 142/2، مادة «خبث».

4- سورة الأنفال / 37.

5- سورة النور / 26.

كما إنه اعتبر الكفر والنفاق فى خانة النجاسة والرجس (1) فقال عز وجل

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (2). و(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) (3)، بل إنه اعتبر بعض درجات الإيمان، من الشرك (4) حينما يقول:

1- الرجس: الشئ القذر. ترتيب إصلاح المنطق، ابن سكيت: 171، مادة «رجس». الرجس: القذر، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 200 / 2. قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) سورة التوبة / 125، أى: نفاقا وكفرا إلى نفاقهم، وكفرهم، لأنهم يشكون فى هذه السورة، كما شكوا فيما تقدمها من السور، فذلك هو الزيادة. وسمى الكفر رجسا على وجه الظم له، وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الأرجاس، وأضاف الزيادة إلى السورة، لأنهم يزدادون عندها رجسا. مجمع البيان فى تفسير القرآن، الطبرسى: 146 / 5، تفسير سورة التوبة.

2- سورة التوبة / 125.

3- سورة التوبة / 28.

4- عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) سورة يوسف / 106، قال: شرك طاعة وليس شرك عبادة، والمعاصى التى يرتكبون شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله فى الطاعة لغيره وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله. تفسير القمى، القمى: 1 / 358، تفسير سورة التوبة، رد شباب زليخا. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) سورة يوسف / 106، المراد بالشرك فى الآية بعض مراتبه الذى يجامع بعض مراتب الإيمان وهو المسمى باصطلاح فن الأخلاق بالشرك الخفى. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 11 / 275 \_\_ 276، تفسير سورة يوسف.

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (1).

إذن، فالذى نفسه طاهرة من الشرك، هو ذلك الذى لا يؤمن بغير الله، ولا تطمئن نفسه إلى غيره، فلا يرى لله شريكاً لا فى وجوده، ولا فى صفاته ولا فى أفعاله. هذا هو المقصود بالولاية (2).

#### 1- سورة يوسف / 106.

2- قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (دَعَوَاهُمْ فِيهَا رَبُّنَا بِاللَّهِمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة يوسف / 10، أول ما يكرم به الله سبحانه أوليائه — وهم الذين ليس فى قلوبهم إلا الله ولا مدبر لأمرهم غيره — أنه يطهر قلوبهم عن محبة غيره فلا يحبون إلا الله فلا يتعلقون بشيء إلا الله وفى الله سبحانه، فهم ينزهونه عن كل شريك يجذب قلوبهم إلى نفسه عن ذكر الله سبحانه، وعن أى شاغل يشغلهم عن ربهم. وهذا تنزيه منهم لربهم عن كل ما لا يليق بساحة قدسه من شريك فى الاسم أو فى المعنى أو نقص أو عدم، وتسبيح منهم له لا فى القول واللفظ فقط بل قولاً وفعلاً ولساناً وجناناً. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 17/10، تفسير سورة يوسف. وقال أيضاً فى كتابنا هذا فى الفصل الثالث ضمن بحث «الذين يستنون من حكم النفخ فى الصور»، الولاية: الذى نفسه طاهرة من الشرك، وذلك الذى لا يأمن بغير الله ولا تطمئن نفسه إلى غيره، فلا يرى لله شريكاً لا فى وجوده، ولا فى صفاته ولا فى أفعاله. وقال أيضاً فى كتابنا هذا فى الفصل الثالث ضمن بحث «الذين يستنون من حكم النفخ فى الصور»، العباد المخلصين: هم الذين لم تتلوث قلوبهم ونفوسهم بالشرك وهم يرون الله وحده فى كل شيء ولا يملكون من أمر نفعهم أو ضرهم أو حياتهم أو مماتهم شيئاً.

وهؤلاء هم الذين تقول عنهم الآية الكريمة:

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) (1).

لأنهم طهروا أنفسهم بالولاية (2) (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) (3)، والمقصود بالسلام هنا، هو الأمن (4) الذى مضى كحديث عنه.

1- سورة النحل / 32.

2- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) سورة النحل / 32، أى: طيبى الأعمال، طاهرى القلوب من دنس الشرك. مجمع البيان، الطبرسى: 6/153، تفسير سورة النحل. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) سورة النحل / 32، المراد بكون المتقين طيبين فى حال توفيتهم خلوصهم من خبث الظلم. يكون معنى الآية: ان المتقين هم الذين تتوفاهم الملائكة متعربين عن خبث الظلم الشرك والمعاصى. فالآية تصف المتقين بالتخلص عن التلبس بالظلم. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 12/236، تفسير سورة النحل.

3- سورة النحل / 32.

4- قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سورة النحل / 32، يحتمل أن يكون تبشيرا لهم بالجنة، لان السلام أمان. تفسير القرطبى، القرطبى: 10/101، تفسير سورة النحل.

على هذا، يظهر لنا أن «الحسنة» هي الولاية(1) والآية التالية تشير إلى ذلك (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)(2).

وفي تفسير القمي(3) للآية الكريمة (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا)(4) ورد عن أحد الأئمة قوله: والله إن الحسنة هي الولاية بعينها وأن السيئة هي إتباع أعداء الله(5). وفي الكافي ورد عن الإمام الصادق، نقلاً عن الإمام علي عليه السلام أن الحسنة

1- عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) سورة الشورى/23، قال: من تولى الأوصياء من آل محمد واتبع آثارهم فذلك يزيد ولاية معي من النبيين والمؤمنين الأولين. تفسير نور الثقلين، الحويزي: 342/4.

2- سورة الشورى / 23.

3- علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي: ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر وأكثر، وصنف كتباً وأضرب في وسط عمره. وله كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ... إلى آخره. رجال النجاشي، النجاشي: 260/ الرقم 680 على بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي.

4- سورة النمل / 89.

5- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) سورة النمل / 89، وقوله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) سورة النمل / 90، الحسنة والله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والسيئة والله عداوته. تفسير القمي، القمي: 131/2، تفسير سورة النمل.

هي معرفة الولاية وحبنا نحن أهل البيت وأن السيئة هي إنكار الولاية وبغض أهل البيت (1)، ثم تلا الآية (2) التي مر ذكرها.

مما تقدم يمكن أن ندرك معنى الآية الكريمة (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (3) إذ يبدو من ظاهر الآية، أن الذين تصيبهم الصعقة في النفخة الأولى هم أنفسهم الذين يشملهم «القيام» (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (4)(5)، بدليل الآية الكريمة: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) (6).

1- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ) (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) سورة النمل / 89 \_\_ 90، قَالَ: بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُعِلَتْ فِدَاكَ فَقَالَ: الْحَسَنَةُ مَعْرِفَةُ الْوَلَايَةِ وَحُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَالسَّيِّئَةُ إِنْكَارُ الْوَلَايَةِ وَبُغْضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ. الكافي، الكليني: 185/1، كتاب الحججة، باب معرفة الإمام والرد عليه / ح 14.

2- سورة النمل / 89.

3- سورة الزمر / 68.

4- سورة المطففين / 6.

5- أنظر: تفسير القمي، القمي: 252 / 2 \_\_ 253، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور. قال الطباطبائي: يصعق فيه جميع من في الدنيا من الأحياء ومن في البرزخ من الأموات وهؤلاء إن لم يكونوا في الدنيا ففي البرزخ. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 23 / 19، تفسير سورة الطور.

6- سورة يس / 53.



لكن الله تعالى يستثنى من هؤلاء المحضرين، عباده المخلصين، عندما يقول عز وجل:

(فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (1).

ثم يصف هؤلاء العباد المخلصين، بما جاء على لسان إبليس (2):

(فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (3).

وهكذا فإن الله تعالى يؤكد لنا، أن الشيطان لا يجد طريقاً إلى هؤلاء العباد، فلا يتمكن من إغوائهم. وهذا الإغواء، جاء بشكل «وعد» من الشيطان (4):

1- سورة الصافات/ 127 \_\_ 128.

2- أبلِس من رحمة الله، أى: يشس وندم. ومنه سمى إبليس، وكان اسمه عزازيل. لسان العرب، ابن منظور: 29/6، مادة «بلس». عن ابن عباس وقتادة وابن جرير والزجاج وابن الانبارى: كان إبليس من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن، وكان اسمه بالعبرانية عزازيل. وبالعربية الحارث، وكان رئيس ملائكة الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرها علماً، وكان يوسوس بين السماء والأرض، فيرى بذلك لنفسه شرفاً عظيماً وعظماً، فذلك الذى دعاه إلى الكبر فعصى وكفر، فمسخه الله شيطاناً رجيماً ملعوناً. كنية إبليس أبو مرة. مجمع البحرين، الطريحي: 1/ 239 \_\_ 240، مادة «بلس».

3- سورة ص / 82 \_\_ 83.

4- قال الطوسى: ثم استثنى من جملة من يغويهم «عباد الله المخلصين»، مع حرصه على إغواء الجميع من حيث أنه يشس منهم من حيث علم انهم لا يقبلون منه ولا ينقادون لإغوائه، وانه ليس له عليهم سلطان إلا بالإغواء، فإذا علم أن منهم من لا يقبل منه عرف ذلك عنه ليأسه منه. التبيان فى تفسير القرآن، الطوسى: 8 / 584 \_\_ 585، تفسير سورة ص.

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) إلى أن يقول: (تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(1).

وهنا نلاحظ أن الشيطان يرجع لوم أتباعه عليهم، لأن ذنوبهم تعود إلى شركهم بالله، فظلموا أنفسهم وإن الله أعد للظالمين عذاباً أليماً(2)(3).

#### 1- سورة إبراهيم / 22.

2- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإنسان / الآية 31: (يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

3- قال الطوسي: حكاية عن قول الشيطان لأوليائه انه يقول لهم: (إِنِّي كَفَرْتُ) سورة إبراهيم / 22، بشركم بالله ومتابعتكم لي قبل هذا اليوم. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: 290/6، تفسير سورة إبراهيم. قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) سورة إبراهيم / 22، أي: كفرت الآن بما كان من إشراككم إياي مع الله في الطاعة، أي: جحدت أن أكون شريكا لله تعالى فيما أشركتموني فيه من قبل هذا اليوم. مجمع البيان، الطبرسي: 72/6، تفسير سورة إبراهيم. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) سورة إبراهيم / 22، أي: إذا لم يكن لي عليكم سلطان بوجه من الوجوه كما يدل عليه وقوع النكرة في سياق النفي، والتأكيد بمن في قوله: (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) سورة إبراهيم / 22، فلا يعود إلى شيء من اللوم العائد إليكم من جهة الشرك والمعصية فلا يحق لكم أن تلووموني بل الواجب عليكم أن تلووموا أنفسكم لان لكم السلطان على عملكم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 48/12، تفسير سورة إبراهيم.

إذن فالعباد المخلصين هم الذين لم تتلوث (1) قلوبهم ونفوسهم بالشرك، وهم يرون الله وحده في كل شيء ولا يملكون من أمر نفعهم أو ضرهم أو حياتهم أو مماتهم شيئاً، وهذه هي الولاية (2).

هؤلاء العباد المخلصين، هم أولياء الله، وهم مستثنون من حكم الصعقة والفرع. ففي حين يموت كل من في الأرض والسماء بنفخة في الصور، يواصل هؤلاء حياتهم. يقول تعالى:

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ) (3) و(وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (4).

وهذا يعني أن السماوات بمن فيها، سيحلّ أجلها وستطوى (5). ومن هنا

1- التلوث: التلطيخ، يقال لآته في التراب ولوثة. لسان العرب، ابن منظور: 185/2، مادة «لوث».

2- تقدم بيان ذلك في بداية الفصل الثالث، الذين يستثنون من حكم النفخ في الصور.

3- سورة الأنبياء/ 104.

4- سورة الزمر / 67.

5- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ) سورة الأنبياء / 104، المراد بالطي هنا: هو الطي المعروف، وأن الله سبحانه يطوى السماء بقدرته. وقيل: إن طي السماء ذهابها عن الحس. مجمع البيان، الطبرسي: 119/7، تفسير سورة الأنبياء. وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ) سورة الأنبياء / 104، أي: نطويها فنعيدها إلى الهلاك والفناء فلا تكون شيئاً. تفسير القرطبي، القرطبي: 348/11، تفسير سورة الأنبياء.

ندرك أن الذين تستشبههم الصعقة والفرع، هم ليسوا في السماء، بل هم في ما وراء السماوات والأرض مما يعنى أنهم معنيون بالآية (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (1) أى أنهم من الـ «وجه»، وعندما تقول الآية (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) (2) فإن العباد المخلصين «أولياء الله» سيحيطون بالعالم أيضاً، وسيرون كل شيء، من خلال إحاطة «وجه الله» به.

وفى آية أخرى، وبعد أن يبين الله تعالى أن أهل الجنة فى السماء(3)، وأهل النار فى النار، يأتى إلى توضيحه بشكل آخر فيقول:

(وَيَبِينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) (4) وسيأتى تفصيل ذلك فى مكان آخر(5).

إذن يتضح لنا أن العباد المخلصين سيكونون فى مأمن من الشدائد والأهوال التى تقع بين النفختين (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا

1- سورة القصص / 88.

2- سورة البقرة / 115.

3- فى التبيان: قال أبو على: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة، لأن الجنة فى السماء. التبيان، الطوسى: 400/4، تفسير سورة الأعراف.

4- سورة الأعراف / 46.

5- أنظر: الفصل الرابع، يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا.

دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1).

والدك (2)، بمعنى التدمير، فعندما تقول دككت الشيء يعنى أنك دمرته وسويته مع الأرض (3).

يقول الباري تعالى:

(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ (6) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ) (4). و(يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا) (5) و(إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تَخْدَعُ كُلُّ أُمَّةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (6) و(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) (7) و(وَتَكُونُ الْجِبَالُ

1- سورة الحاقة / 13 \_ 15.

2- الدك: الدق. وقد دككت الشيء أدكة دكا: إذا ضربته وكسرتة حتى سويته بالأرض. الصحاح، الجوهري: 4 / 1583، مادة «دكك».

3- فى مجمع البيان فى تفسير قوله تعالى: (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) سورة الفجر/21، أى: كسر كل شىء على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، حتى زلزلت، فلم يبق عليها شىء. عن ابن عباس: دقت جبالها وأنشازها حتى استوت. مجمع البيان، الطبرسى: 10/353، تفسير سورة الفجر.

4- سورة النازعات / 6 \_ 7.

5- سورة المزمل / 14.

6- سورة الحج / 1 \_ 2.

7- سورة التكوير / 3.

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (1) وَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (2) وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (3) وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَشَرَتْ (4) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6).

إن ظاهر هذه الآيات يشير بشكل كبير إلى مقدمات «الساعة» و«القيامة»، وخراب الدنيا، وهلاك أهلها (7).

1- سورة القارعة/ 5.

2- سورة القيامة/ 7 \_ 9.

3- سورة التكوير/ 1.

4- سورة الإنفطار/ 2.

5- سورة التكوير/ 4.

6- سورة التكوير/ 6.

7- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) سورة الزمر / 68، وما في معناه من الآيات الدالة على خراب الدنيا، بتبدل الأرض والسماء وانتشار الكواكب وغير ذلك. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 196/20، تفسير سورة النازعات.

## الآخرة بعد الدنيا

النقطة التي يجب الانتباه لها، هي أن حقيقة «فناء الدنيا قبل قيام الساعة»<sup>(1)</sup>، يثبت لنا حقيقة أخرى، وهي أن القيامة. تأتي بعد الدنيا، كما هو الموت، الذي يثبت لنا بأن البرزخ يأتي بعد الدنيا، ولولا ذلك، لكننا اعتمدنا قاعدة «إحاطة عالم المثال<sup>(2)</sup>، بالعالم المادى<sup>(3)</sup>» أي الدنيا \_\_» لنقول أن «البعث والنشور» محيط بالدنيا والبرزخ أيضاً. وحتى، لو غضضنا الطرف عن قضية الإحاطة، فإن انقلاب الزمان، وفناء الأشياء، والحركات في الفترة الفاصلة بين النشأتين<sup>(4)</sup>، يوجب بطلان نسبة الزمان وانتفاء موضوع «بعد» و«قبل» الزمانيتين.

1- تقدم بيان خراب الدنيا وفنائها في الفصل الثالث، الذين يستشون من حكم الانفخ في الصور.

2- مر تعريف اصطلاح عالم المثال في الفصل الثاني، البرزخ.

3- قال الطباطبائي: العالم المادى: وهو العالم المشهود، أنزل مراتب الوجود وأخسها، ويتميز من غيره بتعلق الصور الموجودة فيه بالمادة وارتباطها بالقوة والاستعداد. هذا العالم، بما بين أجزائه من الارتباط الوجودى، واحد سيال في ذاته متحرك بجوهره. بداية الحكمة، الطباطبائي: 221، المرحلة الثانية عشر فيما يتعلق بالواجب تعالى، الفصل الرابع عشر في العالم المادى.

4- قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له: وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكِ دَارَ الْبَقَاءِ. نهج البلاغة، الشريف الرضى: 491، حكم أمير المؤمنين / الرقم 126. قال الراغب الأصفهاني: يعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 13. الدنيا هي النشأة الأولى. والآخرة النشأة الأخرى، وسميت الدنيا دنيا لدنوها. التبيان، الشيخ الطوسي: 4/417.

## الآيات الدالة على أحوال القيامة

هناك آيات تشبهه في سياقها العام، الآيات التي أسلفنا الحديث عنها، لكنها تشير إلى مضامينها بشكل مختلف. مثلاً (وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا) (1) إذ يتضح منها أن حركة الجبال وتبعثرها كالحجر والحصى، ثم تناثرها كالقطن المندوف (2)، لا- يعنى أنها تصبح سراباً (3) أبداً، كما يقول الله تعالى:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَدَىٰ أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (4).

فالرؤية، «وترى»، أما أن تقع في وقت الخطاب، أو في وقت النفخ (5)،

1- سورة النبأ/ 20.

2- ندف القطن من باب ضرب: ضربه بالمندف والمندفة. الصحاح، الجوهري: 1430/4، مادة «ندف». الندف: طرق القطن بالمندف. لسان العرب، ابن منظور: 325/9، مادة «ندف».

3- السراب: الذى يكون نصف النهار لاطناً بالأرض، لاصقاً بها، كأنه ماء جار. قال ابن السكيت: السراب الذى يجرى على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار. لسان العرب، ابن منظور: 465/1، مادة «سرب».

4- سورة النمل / 88.

5- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) سورة النمل / 88، أى: واقفة مكانها، لا تسير، ولا تتحرك فى مرأى العين، (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) سورة النمل / 88، أى: تسير سيرا حثيثا مثل سير السحاب. مجمع البيان، الطبرسى: 409/7، تفسير سورة النمل. قال ابن قتيبة فى تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ) سورة النمل / 88، هذا يكون إذا نفخ فى الصور تجمع الجبال وتسير، فهى لكثرتها تحسب جامدة، أى: واقفة وهى تمر، أى: تسير سير السحاب. زاد المسير، ابن الجوزى: 83/6، تفسير سورة النمل.



ومجىء هذه الآية (1)، بعد آية «النفخ» (2) إنما يدعم الاحتمال التالي، وعلى هذا فإن الآية السالف ذكرها (3)، تنطبق على زلزلة «الساعة» (4)، حينما (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى... (5).

لكن هذا المعنى، لا ينسجم مع عبارة (تَحَسَّ بِهَا جَامِدَةٌ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (6)، لأنها تعنى أن الجبال تظل على ما كانت عليه من استقامة وعظمة، كما تدل على ذلك أيضاً عبارة (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (7). التى تشير إلى أن هذه الجبال لا تتصدع بهذه السهولة. إذن فحركة الجبال، لا تتنافى وثبات الجبال ورسوخها، وتزلزلها يتم بشكل متزامن مع تزايد استحكامها، وعلى هذا، فإن سرابية حركة الجبال يمكن أن ينسجم مع بقائها واتقان صنعها واستحكامها.

1- سورة النمل / 87.

2- سورة النمل / 88، ونصها: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ).

3- سورة النمل / 88.

4- قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) سورة النمل / 88، بناء على كونه ناظرا إلى صفة زلزلة الساعة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 167/20، تفسير سورة النبأ.

5- سورة الحج / 2.

6- سورة النمل / 88.

7- سورة النمل / 88.

## الفصل الرابع: صفات يوم القيامة

إشارة



## صفات يوم القيامة

### إشارة

يقول الله جل وعلا:

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (1).

و(يَوْمَ تُؤْتُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) (2).

و(مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) (3).

و(يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ سَيِّئًا) (4).

و(وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (5).

و(وَالْأَمْثَرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (6).

---

1- سورة غافر / 16.

2- سورة غافر / 33.

3- سورة الشورى / 47.

4- سورة الدخان / 41.

5- سورة النساء / 42.

6- سورة الإنفطار / 19.

هذه الآيات، تصف يوم القيامة بصفات عديدة قد لا تختص بيوم القيامة فقط. فـ«الملك» و«الأمر» و«القدر» صفات دائمة لله تعالى، أما المخلوقات فهي مكشوفة له لا ملجأ لها منه لكن الله تعالى يقول:

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (1)، إذ يوضح أن كل السبل والعلاقات تتقطع آنذاك. وينعدم تأثير كل الارتباطات وتأثيرات الموجودات في نظام الوجود المادى وما يليه. فلا يعود هناك تأثير لشيء على شيء آخر فلا ينفع شيء شيئاً آخر، ولا يضر. وذلك بسبب الأسباب والارتباطات (2).

ويوم القيامة لا يختلف بشيء، فلا شيء يفنى إلا بفناء ذوات الموجودات وانقلاب ماهيتها (3)، وبما أن كلمات الله ثابتة لا تتغير، فلا شيء يتغير مما يرتبط

#### 1- سورة البقرة / 165 \_ 166.

2- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) سورة البقرة / 166، وظاهر الآية أن يحمل على عمومها، فكأنه قيل: قد زال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به، فلا ينتفعون بالأسباب على اختلافها من منزلة أو قرابة أو مودة أو حلف أو عهد، على ما كانوا ينتفعون بها فى الدنيا، وذلك نهاية فى الاياس. مجمع البيان، الطبرسى: 465/1، تفسير سورة البقرة.

3- ماهية الشيء: حقيقته. وربما فرق بينها وبين الحقيقة: أن الحقيقة لا تكون إلا للموجودات الخارجية، والماهية أعم من أن تكون موجودة فى الخارج أم لا. مجمع البحرين، الطريحي: 164/4، مادة «ماهى».

بها، بل إن الذى يزول هو ما يتعلق بالموجودات السرابية، إذ يزول كل شىء، إلا ارتباط الموجودات بالله تعالى، وبما أن تلك الارتباطات الأخرى كانت باطلة وسرابية من الأساس، فإن الذى يحدث هو انكشاف بطلانها، وليس فناؤها. أى انكشاف حقيقة أن لا وجود ولا تأثير لغير الله، فلا مالک غيره، ولا صاحب أمر.

وهذا هو قوله تعالى:

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (1) و(يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (2) و(لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (3).

وما وصلنا إليه سالفاً، من انكشاف بطلان الموجودات السرابية والأسباب الظاهرية، يرد فى قوله تعالى:

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ حَتَّى قَوْلِهِ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) (4).

وفى نهج البلاغة، نرى الإمام على عليه السلام يؤكد أن وحدانية الله تتكشف بعد فناء الدنيا، وينكشف أنه الواحد الذى لا شريك له، وهو الباقي الواحد بعد فناء

1- سورة الفاتحة / 4.

2- سورة الإنفطار / 19.

3- سورة غافر / 16.

4- سورة الأنعام / 93 \_\_ 94.

الدنيا، كما كان الواحد قبل خلقها فينعدم الزمن، وتنتفى الأزمان والسنون، ولا يبقى إلا الله الواحد القهار الذى ترجع إليه كل الأمور(1).

وفى «الاحتجاج» ورد أن هشام بن الحكم(2) سأل الإمام الصادق عليه السلام، عن الروح، هل تبنى بعد خروجها من قالبها «الجسد» أم أنها تبقى؟ فأجابه الإمام عليه السلام أن الروح تبقى حتى ينفخ فى الصور وعندها يبطل كل شىء، فلا يبقى حس ولا محسوس ثم يعود كل شىء إلى أصله الذى خلقه الله عليه، وهذا يتم بعد فترة أربعمئة عام لا يتم فيها خلق شىء، وهذه الفترة رهن الزمن الفاصل بين النفختين(3).

1- أنظر: نهج البلاغة، الشريف الرضى: 272 — 277، خطب أمير المؤمنين عليه السلام، خطبة 186 له عليه السلام فى التوحيد.  
2- هشام بن الحكم أبو محمد: مولى كنده، وانتقل من الكوفة إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة، وقيل فيها مات، كان يتجر فى الكرخ، داره عند قصر وضاح، كان يرى رأى الجهمية ثم استبصر، وروى عنهما «الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام»، فيه مدائح جلييلة، وكان ممن فتح الكلام فى الإمامة وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب. كان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكى، وكان القيم لمجالس نظره وكلامه، وكان نزوله بدرج الجنب من الكرخ. توفى بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة مستترا، وقيل فى خلافة المأمون. رجال ابن داود، ابن داود: 367 — 368، باب الهاء / الرقم 1643. هشام بن الحكم أبو محمد: مولى كنده، وكان نزيل بنى شيبان بالكوفة، وانتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة. ويقال إن فى هذه السنة مات، ومولده كان بالكوفة ومنشؤه واسط وتجارته بغداد، ثم انتقل إليها فى آخر عمره ونزل قصر وضاح. رجال العلامة الحلى: 178، الفصل السادس والعشرون فى الهاء، الباب الأول هشام/الرقم 1.

3- أنظر: الاحتجاج، الطبرسى: 350/2، احتجاج أبى عبدالله الصادق عليه السلام فى أنواع شتى من العلوم الدينية.

ويضيف الإمام عليه السلام على ذلك، كما ورد في تفسير القمي: ثم يقول الله عز وجل:

(لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) (1)؟.

فيجيب هو بالقول:

(لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (2) (3).

أما في «التوحيد» (4) فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام (5) أن الله تعالى يسأل: لمن الملك اليوم؟ فتجيب أرواح الأنبياء والمرسلين والحجج: لله الواحد القهار (6).

1- سورة غافر / 16.

2- سورة غافر / 16.

3- أنظر: تفسير القمي، القمي: 2/ 256 \_\_ 257، تفسير سورة المؤمن، كيفية موت أهل السماء والأرض.

4- التوحيد: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى بالري في (381). طبع بإيران في (1285) وطبع ثانياً في بمبئي في (1321) وله شروح كثيرة. الذريعة، آقا بزرك الطهراني: 4 / 482.

5- في التوحيد النص مروى عن الإمام الرضا عليه السلام، أما النص الذي أورده العلامة الطباطبائي، وهو يرويه عن أمير المؤمنين عليه السلام فهو عن الصدوق أيضاً وقد أورده في كتابه معاني الأخبار وليس التوحيد.

6- قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام في ألف ب ت ث أنه قال: الألف آء الله والباء بهجة الله والتاء تمام الأمر بقائم آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين... م ن فالميم ملك الله يوم لا مالك غيره ويقول عز وجل (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) سورة غافر / 16، ثم ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) سورة غافر / 16، فيقول جل جلاله: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) سورة غافر / 17، والنون نوال الله للمؤمنين ونكاله بالكافرين... الحديث. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: 43 \_\_ 44، باب معاني حروف المعجم / ح 1. وانظر: التوحيد، الشيخ الصدوق:

232 \_\_ 234، باب 32 تفسير حروف المعجم / ح 1.



وينقل القمى فى تفسيره حديثاً عن الإمام السجاد يقول فيه: إن الله تعالى ينادى حينذاك بصوت عال يملأ أرجاء السماوات والأرض: لمن الملك اليوم؟ ولأنه لا أحد يجيب، يقوم جل وعلا بمقام المجيب ويقول: لله الواحد القهار(1).

لو أمعنا النظر فى أحاديث الأئمة التى هى لغة واحدة ولاحظنا كيفية الجمع بين فناء السماوات والأرض، وبين زوال السنين واللحظات وثباتها، وبين فقدان الجواب على النداء الإلهى ووجوده، ثم تأملنا فى جواب البارى عز وجل على نفسه (لِلَّهِ الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ)، وأمعنا النظر فى كل صفة من صفاته (الْوَّاحِدِ) و(الْقَهَّارِ) وفهمنا أبعاد ذلك كله، لأمكننا الوصول إلى صحة الاستنباط(2) الذى توصلنا إليه فيما مضى.

- 
- 1- أنظر: تفسير القمى، القمى: 252/2 \_\_ 253، تفسير سورة الزمر، ماذا يعطى الله وليه فى الجنان، كيفية نفخ الصور.
  - 2- قال الشريف المرتضى: الاستنباط: استخراج الحكم من فحوى النصوص. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: 262/2، الحدود والحقايق، حرف الألف. قال الطبرسى: الاستنباط: الاستخراج. يقال لكل ما استخراج حتى يقع عليه رؤية العين، أو معرفة القلب: قد استنبط. مجمع البيان، الطبرسى: 141/3، تفسير سورة النساء.

## بطلان الأسباب في يوم القيامة

عندما تأخذ كل الأشياء، وجودها المستقل، فإن كل الثوابت ستعود إلى مجموعة تحققات سرايية ووهمية، وسينكشف بطلان الأسباب والمسببات (1)، وهذا هو معنى الكلام الإلهي:

(مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) (2) و(مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) (3) و(مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (28) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ) (4) و(يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا) (5) و(لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالًا) (6) و(وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ) (7) و(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ

1- قال الطباطبائي في تعليقه على قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُدُهُمْ جَمِيعًا)... إلى أن قال هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسَدَلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَا هُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) سورة يونس / 28 \_\_ 30، تسقط الأسباب عما كان يتوهم لها من الاستقلال في نشأة الدنيا، وينقطع البين وتزول روابط التأثير التي بين الأشياء وعند ذلك تنتشر كواكب الأسباب وتطمس نجوم كانت تهتدي به الأوهام في ظلماتها، ولا تبقى لدى ملك ملك مستقل به، ولا لدى سلطان وقوة ما يتعزز معه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 11 / 11، تفسير سورة هود.

2- سورة غافر / 33.

3- سورة الشورى / 47.

4- سورة الحاقة / 28 \_\_ 29.

5- سورة الدخان / 41.

6- سورة إبراهيم / 31.

7- سورة البقرة / 123.

اللَّهُ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (1).

فالآية الأخيرة تدل على أنهم كانوا مخدوعين بسراب الدنيا ولعبها، إذ يقول البارئ عز وجل أن الله يضل الكافرين بهذا السراب (2). وفي الآية الكريمة التالية، ما يشابه هذا المعنى:

(ثُمَّ تَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ (3) وَتَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَعْْبُدُونَ (4))

وكل ذلك يعود الكلام الإلهي:

(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (5) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (6)).

1- سورة غافر / 73 \_\_ 74.

2- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) سورة غافر / 74، أى: إضلاله تعالى للكافرين وهم الساترون للحق يشبه هذا الضلال وهو أنهم يرون الباطل حقاً فيقصدونه ثم يتبين لهم بعد ضلال سعيهم أنه لم يكن إلا باطلاً فى صورة حق وسراباً فى سيماء الحقيقة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 352/17، تفسير سورة المؤمن.

3- سورة يونس / 28.

4- سورة القصص / 63.

5- سورة يوسف / 40.

6- سورة الذاريات / 56.

## يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا

عندما تنتفى كل الأسباب والمسببات وما يترتب عليها من تأثيرات، فإن ينكشف كل «باطن» ليتحول إلى «ظاهر»، وعند ذاك يتحد الغيب (1) والشهادة (2)، لأن كل شيء، هو في حد ذاته، شهادة، أما الغيب فله معنى نسبي،

1- عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) سورة الأنعام / 73، فقال: الغيب: ما لم يكن، والشهادة ما قد كان. معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: 146، باب معنى الغيب والشهادة / ح 1. قال الطوسى: الغيب هو المعدوم. وقال الحسن، الغيب: السر. التبيان، الطوسى: 225 / 6، تفسير سورة الرعد. وقال أيضاً: (عَالِمُ الْغَيْبِ) سورة الحشر / 22، ما لا يقع عليه حس من المعدوم أو الموجود الذى لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها. قال الحسن: الغيب ما أخفاه العباد. التبيان، الطوسى: 9 / 573، تفسير سورة الحشر. قال الطباطبائى: الغيب: هو ما كان خارجاً عن حد الشيء غير داخل فيه، بالنسبة إليه غير مشهود لإدراكه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 307 / 11، تفسير سورة الرعد.

2- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) سورة الحشر / 22. «الشهادة»: عالم بما يصح عليه الإدراك بالحواس. الشهادة: ما أعلنه «العباد». التبيان، الطوسى: 573 / 9، تفسير سورة الحشر. قال الطباطبائى، الشهادة: هو ما كان من الأشياء داخلًا فى حد الشيء غير خارج عنه، بالنسبة إليه مشهود لإدراكه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 307 / 11، تفسير سورة الرعد.

ففقدان الشيء، إنما يتم بالنسبة إلى شيء آخر، وتلاشي (1) شيء يتم بالنسبة إلى آخر أيضاً، ولا فرق في ذلك، إن كان عدم الإدراك يتم من قبل الحس (2) أم بسبب آخر.

مع انتفاء الأسباب، ترفع كل الحجب التي تخفي الأشياء عن بعضها، وهذا هو معنى قوله تعالى:

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) (3) و(بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) (4) و(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (5) وفي هذا السياق أيضاً تأتي الآيات:

(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (6) و(أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا

1- تلاشي الشيء: اضمحل. تاج العروس، الزبيدي: 326/10.

2- الحس: من أحسست بالشيء. حس بالشيء، يحس حسا وحسا وحسيسا وأحس به وأحسه: شعر به. يقال حست بالشيء: إذا علمته وعرفته. لسان العرب، ابن منظور: 49/6، مادة «حس».

3- سورة غافر / 16.

4- سورة إبراهيم / 21.

5- سورة ق / 22.

6- سورة الطارق / 9.

فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (1) وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (2).

وقد يمكن تفسير الآيات الواردة حول بروز الأرض، على أساس الآيات السالفة الذكر.

ورد في «الكافي»، نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام الذي يقول حول الآية (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) (3) أن المراد بالقلب السليم كَقَالَ الْقُطْبُ الرَّاؤِدِيُّ فِي لُبِّ اللَّبَابِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ: مَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ فَقَالَ: دِينَ بِلَا شَكٍّ وَهَوَى وَعَمَلٌ بِلَا سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ.

مستدرک الوسائل، المحدث النوری: 1 / 113، مقدمة العبادات، باب 12 بطلان العبادة المقصود بها الرياء / ح 11.

قال الطباطبائي: القلب السليم: هو النفس السالمة من وصمة الظلم وهو الشرك والمعصية.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 15 / 289، تفسير سورة الشعراء.

(4) عن حفص بن غياث النخعي القاضى قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ما الزهد في الدنيا فقال: قد حد الله عز وجل ذلك في كتابه فقال: (لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) سورة الحديد / 23.

كتاب الأمالي، الصدوق: 616، المجلس التسعون / ح 3.

قال المازندراني: الزهد: جعل القلب حيا بمشاهدة أحوال الآخرة وعدم الغفلة عنها.

شرح أصول الكافي، المازندراني: 1 / 231.

1- سورة العاديات / 9 \_\_ 11.

2- سورة الشعراء / 88 \_\_ 89.

3- سورة الشعراء / 88.

4- ، هو ذلك الذى يلتقى الله تعالى دون ان يكون فيه مكان لغيره، وما يعنيه الأنبياء والأولياء بالزهد

تخلو القلوب من أى مشاغل غير الآخرة(1).

وطبيعى أن القول الإلهى (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (2) لا يتعارض مع ما بيناه آنفاً.

فهذه الآية تنفى عن غير المؤمنين، التكريم الذى يخص المؤمنين والواقع أن هذه الآية، تصديق للقانون الإلهى (لَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (3)، وبما أن غير المؤمنين، وضعوا فى حياتهم حجاباً بينهم وبين خالقهم، ولا بد أن يجدد مصداق ذلك يوم القيامة(4)، وهذا ما يتضح من الآية (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) (5).

1- أنظر: الكافى، الكلينى: 2 / 16، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص / ح 5.

2- سورة المطففين / 15.

3- سورة يس / 54.

4- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) سورة المطففين/15، المراد بكونهم محجوبين عن ربهم يوم القيامة حرمانهم من كرامة القرب والمنزلة، ومن قال: إن المراد كونهم محجوبين عن رحمة ربهم. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 20 / 234.

5- سورة القلم / 42 \_\_ 43.

## «القيامة» محيطة بالدنيا والبرزخ

إن انتفاء الأسباب وزوال الحجب(1)، وانكشاف البواطن المحيطة بالظواهر، كلها تدل على أن القيامة محيطة بالدنيا(2)، ومحيطه بما فيها هي بالذات، وما سيأتي بعدها. فالباطن يضم الظاهر، الذي هو حاضر فيه، لكن عكس ذلك غير صحيح، وهذا هو مفاد القول الإلهي... (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) (3) و(وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) (4) و(فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ

1- الحجب: كل شيء منع شيئاً من شيء فقد حجبه حجباً. كتاب العين، الفراهيدي: 3 / 86، مادة «حجب». قال حسين الشاكري: الحجب: هي التي تمنع النفس من التحلي ثم التجلي إلى عالم الملكوت ومصاف الأولياء والصالحين. الكشكول المبوب، حسين الشاكري: 215. الحجاب: المنع من الوصول، يقال حجبه حجباً وحجاباً، وحجاب الجوف ما يحجب عن الفؤاد، وقوله تعالى: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) سورة الأعراف/46، ليس يعنى به ما يحجب البصر، وإنما يعنى ما يمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار وأذية أهل النار إلى أهل الجنة. مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: 108، كتاب الحاء.

2- فى سؤال سأل جاثلق أمير المؤمنين عليه السلام قال: أين الآخرة من الدنيا قال عليه السلام: الدنيا فى الآخرة والآخرة محيطة بالدنيا إذ كانت النقلة من الحياة إلى الموت ظاهرة وكانت الآخرة هى دار الحيوان لو كانوا يعلمون وذلك أن الدنيا نقلة والآخرة حياة ومقام. إرشاد القلوب، الديلمي: 2/309، فضائله من طريق أهل البيت عليهم السلام .

3- سورة الإسراء / 51.

4- سورة سبأ / 51.



كَفَرُوا (1) و(وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) (2) و(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ) (3).

وفى هذا السياق أيضاً (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ) (4).

فالـ«سبق» بالنسبة إلى شيء معين، يعنى أنه يودى إلى «الحيلولة» (5)، فمثلاً عندما تقول «سبقت إلى مكان كذا» يعنى أن هناك شيء آخر، يمكن أن يصل إلى هذا المكان، وأنت أصبحت حائلاً بينه وبين المكان عندما سبقتك إليه، إذن كلمة الله سبقت فحالت بينهم وبين الأجل المسمى الذى هو (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (6) كل هذا يدل على أن القيامة محيطة بهؤلاء، ولولا الحائل الإلهى الذى حال بينهم وبين «الأجل»، لشملمهم جميعاً بالحكم القطعى (7)

1- سورة الملك / 27.

2- سورة النحل / 77.

3- سورة آل عمران / 30.

4- سورة الشورى / 14.

5- الحول: كل شيء حال بين اثنين، يقال هذا حوال بينهم، أى: حائل بينهما كالحاجز والحجاز. قال الليث: يقال حال الشيء بين الشيئين يحول حولا وتحويلا، أى: حجز. لسان العرب، ابن منظور: 11 / 187، مادة «حول».

6- سورة البقرة / 36.

7- الحكم القطعى: وهو الحكم الذى تحقق القطع فيه من طرفى الثبوت والدلالة. فأما أنه قطعى الثبوت، فلأنه قرآن وهو متواتر، وأما القطع فى الدلالة، فلأن الألفاظ ونسبتها ليست لها إلا دلالة واحدة فى لسان العرب. معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال: 131، حرف الحاء، الحكم القطعى.

للقِيامة(1). والآيات التالية تأتي في نفس السياق:

(كَانَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيرَةً أَوْ ضِعْفًا) (2) و (كَانَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) (3) و (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (4) و (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ) (5).

1- قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) سورة يونس/19، بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة (لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ) سورة يونس/19، عاجلاً فيما فيه يَخْتَلِفُونَ ولتَمَيِّزَ الْمُحَقَّقَ مِنَ الْمَبْطُلِ، وَلَكِنَّ الْحِكْمَةَ أَوْجِبَتْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الدَّارَ لِلتَّكْلِيفِ وَالِاخْتِبَارِ، وتلك للثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني: 507/1، تفسير سورة يونس. وقال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَدَّدٍ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ) سورة الشورى/14، معناه: ولولا وعد الله تعالى وإخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم وتأخر العذاب عنهم في الحال لفصل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي استحقوه عاجلاً. مجمع البيان، الطبرسي: 42/9، تفسير سورة الشورى.

2- سورة النازعات / 46.

3- سورة الأحقاف / 35.

4- سورة المؤمنون / 112 \_\_ 114.

5- سورة الروم / 56.

## ظهور الباري عز وجل في ذلك اليوم

إن انكشاف الباطن، وانتفاء الظاهر الذي تحدثنا عنه، يؤدي إلى أن يظهر الباري عز وجل في ذلك اليوم(1)، فالحجب ترفع، والحق يكشف، ويصل الجميع إلى غاية الغايات، ويبلغون في سعيهم منتهى النهايات، وهذا هو البيان الإلهي:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (2). (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) (3). (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (4). (وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ) (5).

(وَالِيَهُ الْمَصِيرُ) (6). (وَالَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) (7). (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) (8).

1- قال البحراني: أما الظاهر فليس من أجل أنه ظهر على الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسلم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها، كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي، يخبر عن الفلج والغلبة، وهكذا ظهور الله على الأشياء. البرهان في تفسير القرآن، البحراني: 465/2، تفسير سورة الأنعام.

2- سورة النازعات / 42 \_\_ 44.

3- سورة النجم / 42.

4- سورة الانشقاق / 6.

5- سورة البقرة / 28.

6- سورة المائدة / 18.

7- سورة الشورى / 53.

8- سورة الملك / 25 \_\_ 26.

و(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّهَا عِلْمٌ عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّهَا عِلْمٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (1).

إن هؤلاء السائلين، تصوروا أن القيامة أمر زمني تمتد جذوره في زمانهم، فسألوا: متى ذلك؟! فأراد الله صرف اهتمامهم إلى موضوع آخر يمكن لهم إدراكه، ولما أصروا في سؤالهم، أجابهم جل وعلا بأن علم القيامة عنده.

ولا يمكن أن يكشف ليس بسبب معلوماتنا الناقصة، بل لمصلحة خفية (2)، ولهذا فإن الله تعالى أتبع الجواب بعبارة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (3).

### 1- سورة الأعراف / 187.

2- قال الطوسي: وفي قوله أول الآية: (قُلْ إِنَّهَا عِلْمٌ عِنْدَ رَبِّي) سورة الأعراف / 187، يعني: علم وقت قيامها. وقوله في آخرها (قُلْ إِنَّهَا عِلْمٌ عِنْدَ اللَّهِ) سورة الأعراف / 187، معناه: علم كيفيتها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه إلا الله. التبيان، الطوسي: 48/5، تفسير سورة الأعراف. وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (قُلْ إِنَّهَا عِلْمٌ عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) سورة الأعراف / 187، فإنه أمر من الله لنبيه محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يجيب سائله عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذي يعلم الغيب، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره. جامع البيان، ابن جرير الطبري: 185/9، تفسير سورة الأعراف.

### 3- سورة الأعراف / 187.

## تبدد الظلمة يوم القيامة

عندما ترفع حجب الدرجات والمستويات والخفايا يوم القيامة، ولا يبقى شىء خافياً على آخر، سيمتلئ الفضاء بالنور. ذلك أن حقائق الأمور قد تجلت (1)، وهذا هو قوله تعالى (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا) (2) و(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) (3) (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) (4) و(وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) (5) و(وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) (6) و(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) (7).

وقد ورد في تفسير القمي، حديث عن الإمام السجاد عليه السلام، حول (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) (8)، يقول فيه أن المقصود بـ(غَيْرِ الْأَرْضِ)، هي أرض لا

1- أمر جلي: واضح. وتقول أجل لنا هذا الأمر، أي: أوضحه. كتاب العين، الفراهيدي: 180/6، مادة «جلو». جلا الأمر وجلاه وجلى عنه: كشفه وأظهره. لسان العرب، ابن منظور: 150/14، مادة «جلا».

2- سورة النبأ / 19.

3- سورة إبراهيم / 48.

4- سورة الزمر / 69.

5- سورة العنكبوت / 64.

6- سورة الإنشقاق / 3 \_ 4.

7- سورة الزلزلة / 2.

8- سورة إبراهيم / 48.

يرتكب عليها ذنب، أرض ظاهرة مكشوفة، لا يشاهد عليها أى نبات أو جبل، كما خلقها الله تعالى مستوية أول مرة، أما عرشه فيكون على الماء، كما كان أول مرة، قائماً على العظمة والقدرة الإلهية(1).

وليس هناك تناقض بين ما فهمناه عن نورانية الموجودات يوم القيامة، والآيات التي تتحدث عن حرمان الكفار من النور، مثل (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (2) و(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) (3) و(وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (4).

بينما قال الله تعالى عن المؤمنين:

(يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) (5) و(لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (6) و(كَمَنْ

1- عن الإمام على بن الحسين عليه السلام: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) سورة الطور/ 9 \_ 10، يعنى تبسط وتبدل الأرض غير الأرض، يعنى: بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلاً بعظمته وقدرته... الحديد. تفسير القمى، القمى: 252/2، تفسير سورة الزمر، ماذا يعطى الله وليه فى الجنان، كيفية نفخ الصور.

2- سورة النور / 40.

3- سورة الحديد / 13.

4- سورة طه / 124.

5- سورة الحديد / 12.

6- سورة الحديد / 19.

مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا (1) و(أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَاتِ) (2).

إن الظلمات التي يعانها الكفار يوم القيامة، هي نفس الظلمات التي اشتروها في حياتهم، فتجلت لهم يوم القيامة. وفي ذلك نعرف أن كلا الظلمة والنور موجودان يوم القيامة، فالمؤمنون ينعمون بالنور، بينما يحرم المشركون منه. وعلى نفس السياق، فقد مر الحديث آنفاً عن رفع الحجب بين الإنسان وخالقه (3).

وفي القرآن الكريم آيات أخرى في نفس:

فَأَلْقُوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَى إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (4) و(فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) (5).

وبهذا الصدد توجد روايات تفيد بأن المشركين يكذبون يوم القيامة (6)، وهذا

1- سورة الأنعام / 122.

2- سورة البقرة / 257.

3- أنظر: الفصل الرابع، ظهور الباري عز وجل في ذلك اليوم.

4- سورة النحل / 28.

5- سورة المجادلة / 18.

6- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) سورة يس / 65، إذا جمع الله الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئا فتشهد عليهم الملائكة فيقولون يا رب ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئا، وهو قوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) سورة المجادلة / 18، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم. تفسير القمي، القمي: 2/ 216، تفسير سورة يس، قصة أبي سعيد مع الرضا عليه السلام. قال ابن طاووس في قوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) سورة الأنعام / 24، يدل على تعجبه منهم كيف أنكروا أنهم أشركوا. الطرائف، ابن طاووس: 2/ 318، بيان أقوال الطائفة المجبرة وردها.

ما يعتبر، ظهوراً للمعصية التي قاموا بها في حياتهم، وبالتالي فإن ذلك لا يتنافى مع مقولة أن الكذب غير ممكن يوم القيامة. ذلك أن كل عمل يقوم به الإنسان في حياته، سواء كان طاعة أم معصية، لا بد وأن ينكشف يوم القيامة (1). والله تعالى يقول (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (2).

1- قال عبد الكريم الخطيب: ينكشف يوم القيامة للخلقة بأجمعهم، حين يجمعهم في صعيد واحد، ويوصل لكل نفس ما ينبغي إيصاله إليها من الخير والشر، واللذة والألم، حتى مثقال الذرة، ويوصل كل نفس إلى غاياتها التي تشهد هي أنها أولى بها. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: 8 / 693، تفسير سورة الكهف. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ)، سورة الزلزلة/6، إراءتهم أعمالهم: إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسم الأعمال. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 20 / 343، تفسير سورة الزلزلة.

2- سورة النساء / 42.





## الفصل الخامس: بعث الإنسان للمساءلة

إشارة



لما كان المعاد، هو عودة الأشياء، بكل وجودها، إلى مصدرها الأول، وحيث أن هذه العودة، أمر ضروري، كما مر ذكره (1)، فإنها يجب أن تتم بكل وجود الأشياء، بما يتضمنه هذا الوجود من مراتب ودرجات واتجاهات مختلفة. وعلى هذا فإن التحاق الجسم بـ«النفس» عند المعاد، أمر ضروري. فالنشأة الأولى (الدنيا) تتبدل إلى النشأة الأخرى، التي فيها آخر مراحل الكمال والحياة، وفيها يعود البدن إلى «النفس»، فتعود إليه الحياة والنورانية (2).

1- أنظر: المعاد في المقدمة لهذا السفر الجليل.

2- قال صدر المتألهين: المعاد: هو بعينه بدن الإنسان المشخص الذي مات بأجزائه بعينها لا مثله، بحيث لو رآه أحد يقول أنه بعينه فلان الذي كان في الدنيا. المبدأ والمعاد، صدر المتألهين الشيرازي: 490، المقالة الثانية في المعاد الجسماني، فصل في تفصيل الأقوال في المعاد. قال المجلسي: المعاد الجسماني: عبارة عن عود النفس إلى بدن، هو ذلك البدن بحسب الشرع والعرف. بحار الأنوار، المجلسي: 50/7، كتاب العدل والمعاد، باب 3 إثبات الحشر وكيفية وكفر من أنكره. قال كاشف الغطاء: المعاد الجسماني: بأنه تعالى يعيد الأبدان بعد الخراب ويرجع هيئتها الأولى بعد ان صارت إلى التراب ويحل بها الأرواح على نحو ما كانت ويضمها إليها بعدما انفصلت وبانت فكان الناس نيام انتبهوا فإذا هم قيام ينظرون إلى عالم جديد لا يحيط به التوصيف والتحديد. كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء: 5/1، في أصول العقائد.

وفى حديث الإمام الصادق عليه السلام إلى الزنديق (1) المعروف — كما ورد فى «الاحتجاج» — إشارة لهذا الموضوع إذ يقول له أن الروح تسكن فى قالبها، فروح المحسن والمطيع تسكن فى نور وراحة، بينما تسكن روح المذنب فى الظلمة والشقاء. أما الجسم فيعود تراباً كما خلق أول مرة، وما تأكله الحيوانات المفترسة والحشرات يتحول إلى فضلات تظل فى التراب أيضاً. ولن يخفى على الله، ولو مثقال ذرة فى ظلمات الأرض، فهو الذى لا تخفى عليه خافية، مهما صغرت حجماً ووزناً. ويظل تراب الموجودات ذات الروح، بين باقى التراب، كالذهب المدفون فى الأرض. وعندما يحين وقت البعث، تمطر السماء، مطراً للبعث، بعدما تربت الأرض وتهتز، فيتميز تراب البشر عن باقى التراب، فيطفو وكأنه الذهب المغسول، ثم يتجمع التراب، كل فى قلبه، وينتقل، بإذن ربه، إلى حيث الأرواح، بإذن الله المصور تعود الأجسام إلى شكلها السابق، وتحلّ فيها الأرواح. فيكتمل الأمر، وتعود الأجسام وكأن شيئاً لم يتغير منها (2).

1- عن على بن منصور، قال: قال لى هشام بن الحكم: كان بمصر زنديق... كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْمَلِكِ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَأَمَّنَ الزَّنْدِيقَ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَّمَهُ هِشَامٌ فَكَانَ مُعَلِّمَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ مِصْرَ الْإِيمَانَ وَحَسَنَتْ طَهَارَتُهُ حَتَّى رَضِيَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. الكافى، الكليني: 1/72 — 74، كتاب التوحيد، باب حدوث العالم وإثبات المحدث/ ح 1.

2- أنظر: الاحتجاج، الطبرسى: 2/350، احتجاج أبى عبدالله الصادق عليه السلام فى أنواع شتى من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

وهذه الصورة يمكن ملاحظتها في التمثيل القرآني للبعث، بأنه كإحياء الأرض (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) (1) و(وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (2).

إذ نلاحظ هنا أن الإنسان المادى (أى البدن) (3) عندما يصل إلى الغاية التى حددها الله تعالى، يطرأ عليه التبدل والتغيير، وهذا هو قول الله:

(وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) (4).

فالآية الكريمة تؤكد أن الذى يقدر على إضرام النار فى الشجر الأخضر (5) —

1- سورة ق / 11.

2- سورة الحج / 5 — 7.

3- البدن من الجسد ما سوى الشوى والرأس. كتاب العين، الفراهيدى: 8 / 51، مادة «بدن». قال الطريحي: البدن: ما سوى الرأس والأطراف. مجمع البحرين، الطريحي: 166 / 1، مادة «بدن».

4- سورة يس 78 — 80.

5- قال القمى فى تفسير قوله: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) سورة يس / 80، وهو المرخ والعفار ويكون فى ناحية بلاد الغرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر ثم أخذوا عودا فحركوه فيه فيستوقدون منه النار. تفسير القمى، القمى: 218 / 2، تفسير سورة يس، قصة أبى سعيد مع الرضا عليه السلام. وقال النحاس فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) سورة يس / 80، هو المرخ والعفار تستعمل الأعراب منه الزنود. معانى القرآن، النحاس: 520 / 5 — 521، تفسير سورة يس.

رغم التضاد الموجود — لهوقادر أيضاً على إحياء العظام وهي رميم(1). وبنفس المضمون تأتي الآية الكريمة (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) (2). و(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا) (3).

1- قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) سورة يس / 80، أى: إذا تكن النار الحارة فى الشجر الأخضر الرطب يستخرجها فعرفكم أنه على إعادة ما بلى أقدر. تفسير الصافى، الفيض الكاشانى: 163 / 3 — 164، تفسير سورة النحل. قال ابن جرير الطبرى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (80) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِعَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) سورة يس / 80 — 81، يقول: الذى أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التى قد رمت، وإعادتها بشرا سويا، وخلقها جديدا، كما بدأها أول مرة. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: 39 / 23، تفسير سورة يس.

2- سورة الواقعة / 60 — 61.

3- سورة الإنسان / 28.

والمقصود في «تبديل الأمثال»، هو الخلق المتكرر، حيث ورد في الآية (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) (1) و(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (2).

والمقصود بـ«الأمثال» (3) هو ذلك المصطلح المستخدم في العلوم العقلية (4)، أي

1- سورة ق / 15.

2- سورة الرحمن / 29.

3- المثال: صورة الشيء الذي تمثل صفاته، والقالب أو النموذج الذي يقر على مثله. المثال عند إفلاطون: صورة مجردة، وحقيقة معقولة، أزلية ثابتة، قائمة بذاتها، لا تتغير، ولا تدرثر، ولا تفسد. المعجم الفلسفي، صليبا: 2/335، باب الميم، المثال. المثال: هو الفكرة المجردة التي تكون نموذجا تأتي على غراره أفراد النوع الواحد. الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، صلاواتي: 3140 / 7، حرف الميم «مثال».

4- قال ابن خلدون: العلوم الحكمية الفلسفية: وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركة البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون: 1 / 435، الفصل الرابع في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد. قال جميل صليبا: قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين: الأول — قسم العلوم العقلية: وهي طبيعية للإنسان من حيث هو ذو فكر، وتسمى بالعلوم الحكمية، وتشتمل على أربعة علوم: المنطق، والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي. المعجم الفلسفي، جميل صليبا: 100 / 2، باب العين، العلم.



«الاتحاد النوعي» (1) والاختلاف الشخصي. باعتبار أن مثل الشيء، هو غير الشيء نفسه (2) ولهذا لا يمكن الاستدلال بالآية (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ اتِّحَادُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (3).

للدرد على منكرى الحشر (4)، لأن «خلق مثلها» لا يعني إعادتها ثانية. إذن

1- الاتحاد: في الجنس يسمى المجانسة، وفي النوع مماثله، وفي الخاصة مشاكلة، وفي الكيف مشابهة، وفي الكم مساواه، وفي الأطراف مطابقة، وفي الإضافة مناسبة، وفي وضع الأجزاء موازنه. التعريفات، الجرجاني: 13 \_\_ 14، باب الألف، الإتحاد. الاتحاد: هو صيرورة الشئين المختلفين شيئاً واحداً. وله عدة درجات: أدناها درجة الأشتراك البسيط في أمور عرضية، وأعلاها درجة الأتحاد الصوفي. وليس المقصود بالاتحاد أن يصير الشيء شيئاً آخر، ولا- إن يزول أحد الشئين ويبقى الآخر، وإنما المقصود به أن يكون بين الشئين علاقة يشتركان فيها مع احتفاظ كل منهما بهويته. مثال ذلك: الاتحاد بطريق التركيب، وهو ان ينضم شيء الى آخر، فيحصل منهما شيء ثالث. لذلك قال ابن سينا: «الاتحاد هو حصول جسم واحد بالعدد من اجتماع اجسام كثيرة». (رسالة الحدود). وكل اتحاد يوجب بقاء الذوات الداخلة فيه متميزة الوجود بعضها عن بعض، كاتحاد النفس بالبدن، فهو اتحاد جوهري لا يمنع عقولنا من تصور حدوده تصوراً واضحاً ومتميزاً. المعجم الفلسفي، صليبا: 34/1 \_\_ 35، باب الألف، الاتحاد.

2- قال العيني في العمدة: مثل الشيء غيره. عمدة القاري، العين: 93/10، باب الدعاء عند الجمرتين.

3- سورة يس / 81.

4- قال الزحيلي، منكرى الحشر القائلين: لا فائدة في التكليف إذ لا مرجع بعد الهلاك والزوال. التفسير المنير، الزحيلي: 20/182، تفسير سورة العنكبوت. قال السبزواري: منكرى الحشر والتشر وهم الدهريون الذين قالوا وما يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ. الجديد في تفسير القرآن المجيد، السبزواري: 17/6، تفسير سورة يس. قال الفخر الرازي: منكرى الحشر يقولون لا فائدة في التكليف فإنها مشاق في الحال ولا فائدة لها في المآل إذ لا مآل ولا مرجع بعد الهلاك والزوال. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: 25/23، تفسير سورة العنكبوت.

فالمقصود بـ«يخلق مثلهم» (1) أوبـ«تبديل أمثالهم» هي التغييرات التي تجرى عليهم دون أن تخرج من إطار وجودهم الأصلي. وفي هذا السياق، نجد الكلام الإلهي أحياناً، يستبدل «مثل» بـ«عين» كما في قوله:

(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) (2).

إذن فالمقصود بـ«مثل الشيء»، هو الشيء نفسه (3) وهذا الاستخدام هو نوع من الاستعارات (4) اللغوية (5).

1- سورة يس / 81.

2- سورة الأحقاف / 33.

3- المثل: شبه الشيء في المثل والقدرة ونحوه حتى في المعنى. كتاب العين، الفراهيدي: 228/8، مادة «مثل». قال الزركشي: المراد مثل الشيء: ذاته وحقيقته. البرهان، الزركشي: 310/4، الكاف.

4- الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة يسمى استعارة تصريحية وتحقيقية. التعريفات، الجرجاني: 19، مادة «الاستعارة».

5- من الاستعارات اللغوية: أ \_\_ الاستعارة التخيلية: ان يستعمل مصدر الفعل في معنى غير ذلك المصدر على سبيل التشبيه ثم يتبع فعله له في النسبة إلى غيره. أيضاً: هي إضافة لازم المشبه به إلى المشبه. ب \_\_ الاستعارة بالكناية: وهي إطلاق لفظ المشبه وإرادة معناه المجازي، وهو لازم المشبه به. ج \_\_ الاستعارة المكنية: هي تشبيه الشيء على الشيء في القلب. د \_\_ الاستعارة الترشيحية: هي إثبات ملائم المشبه به للمشبه. التعريفات، الجرجاني: 19، باب الألف.

وخلاصة الأمر، أن جميع الآيات السالفة الذكر (1) تؤكد أن الأجسام فى حالة تغير دائم من حال إلى حال، حتى تصل إلى يوم القيامة وتلتحق بالأرواح ثانية. يقول الله تعالى:

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ) (2) و(أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ) (3) حيث استخدم «ما» للتدليل على الأجسام (4)، وكذلك (فَاتَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) (13) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) (5).

- 
- 1- سورة ق / 11. سورة الحج / 6 \_\_ 7. سورة يس / 78 \_\_ 79. سورة الواقعة / 61. سورة الإنسان / 28. سورة ق / 15. سورة الرحمن / 27. سورة يس / 81. سورة الأحقاف / 33. سورة الشورى / 11.
- 2- سورة الانفطار / 4.
- 3- سورة العاديات / 9.
- 4- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ) سورة العاديات / 9، والمراد بما فى القبور الأبدان. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 20 / 347.
- 5- سورة النازعات / 13 \_\_ 14.

## سير الأرواح إلى خالقها

على الرغم مما تحدثنا عنه، فإن الروح تتحرك نحو خالقها(1)، والله تعالى يقول:

(مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (2).

إذن فالروح، كالملائكة، تعرج إلى الله وكذا الأمر(3) في قوله تعالى:

(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (4).

1- قال مكارم الشيرازي: ولا فرق في توجيه معنى «اللقاء» سواء كان لقاء يوم القيامة والوصول إلى عرصة حاكمة الله المطلقة، أو بمعنى لقاء جزاء الله من عقاب أو ثواب، أو بمعنى لقاء ذاته المقدسة عن طريق الشهود الباطني. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازي: 56/20، تفسير سورة الإنشقاق.

2- سورة المعارج / 3 \_ 4.

3- قال ابن أبي الحديد: وفي قوله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) سورة المعارج / 4، قالوا: اليوم هو إشارة إلى الدنيا وفيها يكون عروج الملائكة والروح إليه واختلافهم بالأمر من عنده إلى خلقه وإلى رسله قالوا وليس قول بعض المفسرين أنه عنى يوم القيامة بمستحسن لأن يوم القيامة لا يكون للملائكة والروح عروج إليه سبحانه لانتقطاع التكليف. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 195/10، اختلاف الأقوال في عمر الدنيا. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) سورة المعارج / 4، بعروج الملائكة والروح إليه يومئذ رجوعهم إليه تعالى عند رجوع الكل. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 8/20.

4- سورة غافر / 15.

وفى آية أخرى يتحدث تعالى عن أهل السعادة، وأهل الشقاء فيقول:

(وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا) (1)

و(وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (2).

وعن أهل الجنة يقول:

(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) (3)، أما عن أهل جهنم فيقول تعالى: (مَا أُوهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) (4)، وقد قال جل وعلا أن أهل جهنم هم حطبها، وبهم يزداد سعيرها، وانطفأؤها يعنى احتراق أهلها جميعاً (5).

1- سورة الأحقاف / 19.

2- سورة الإسراء / 21.

3- سورة البقرة / 25.

4- سورة الإسراء / 97.

5- عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) سورة الإسراء / 97، يقول: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطبها، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهج، فذلك خبوها، فإذا بدلوا خلقاً جديداً عاودتهم. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: 15 / 210، تفسير سورة الإسراء / الآية 97.

## الفصل السادس: الصراط

إشارة



## الصراط

يقول الله سبحانه وتعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ) (1) و(احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ) (2).

فى هذه الآيات، يخبرنا البارى عز وجل، أنه يهدى الظالمين وأزواجهم — أى شياطينهم — إلى جهنم. والمقصود بـ«أزواجهم» هو الشياطين(3)، وهو ما يفهم من

1- سورة النساء / 168 \_\_ 169.

2- سورة الصافات / 22 \_\_ 25.

3- قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) سورة الصافات / 22، يعنى قراءهم من الشياطين. تفسير القرطبي، القرطبي: 9 / 385، تفسير سورة إبراهيم. قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ)... الآية) سورة الصافات/22، الظاهر: إن المراد به (أزواجهم): قراءهم من الشياطين. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 17 / 130 \_\_ 131، تفسير سورة الصافات.



(فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا) (1).

إذن، وكما تشير هذه الآيات، فإن الصراط هو طريق يقع على جهنم أو في داخلها (2)، ذلك أن الباري عز وجل يخبرنا هنا عن الـ«ورود» إليها والـ«نجاة» منها. وفي آية أخرى يخبرنا القرآن عن «الامتلاء الحتمي» لجهنم:

(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (3).

1- سورة مريم / 68 \_\_ 72.

2- قال الشيخ المفيد: الصراط: جسر بين الجنة والنار تثبت عليه أقدام المؤمنين وتزل عنه أقدام الكفار إلى النار. أوائل المقالات، الشيخ المفيد: 79، القول في الحساب وولاته والصراط والميزان. قال المازندراني: الصراط جسر ممدود على جهنم والأشقياء يتساقطون منه والسعداء يمرون عليه. شرح أصول الكافي، المازندراني: 10 / 472. قال الطباطبائي: الصراط: انه جسر ممدود على النار يؤمر بالعبور عليها البر والفاجر فيجوزه الأبرار ويسقط فيها الفجار. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 14 / 94، تفسير سورة مريم. وقال الطباطبائي في كتابنا هذا في الفصل السادس، بحث الصراط: الصراط: انه يقع على جهنم او في داخلها.

3- سورة السجدة / 13.

وهذا الطريق الذى يقام على طول جهنم، هو ممر لكل الخلق، الصالح منهم والمسيئ، إذ ينجى الله المتقين منهم، ويترك الظالمين إلى سعير النار. والملفت أن كلمة «الظلم» تتكرر عدة مرات وكذلك «الطغيان» (1)، مثل:

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) (2) وهو الإفراط فى الظلم والاستكبار (3) (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ) (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) (4) وَإِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (5).

1- قال ابن سيده: طغى يطغى طغيا ويطغو طغيانا: جاوز القدر وارتفع وغلا فى الكفر. لسان العرب، ابن منظور: 7/15، مادة «طغى». طغى كرضى طغيا وطيغانا بالضم والكسر: جاوز القدر وارتفع وغلا فى الكفر وأسرف فى المعاصى والظلم. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: 4/356.

2- سورة الفجر / 11.

3- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) سورة الفجر / 11، معناه: إن هؤلاء الذين ذكرناهم تجاوزوا فى الظلم الحد فى البلاد، وخرجوا عن حد القلة وفسر ذلك بقوله: (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ) سورة الفجر / 12، يعنى: أكثروا فى البلاد الفساد. التبيان، الطوسى: 10/343، تفسير سورة الفجر. قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) سورة الفجر / 11، يعنى عادا وشمودا وفرعون «طغوا»، أى: تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر فى الظلم والعدوان. تفسير القرطبي، القرطبي: 20/49، تفسير سورة الفجر.

4- سورة الفجر / 12 \_ 14.

5- سورة النبأ / 21.

إن الظلم والتفريط بحق الناس، والتفريط بحق النفس أو في حق الله تعالى، إنما يحدث باتباع الشيطان وهوى النفس، وتمتد جذور ذلك في تعلق الإنسان بالدنيا وانخداعه بزینتها وبالاهام التي تشكل بمجموعها ما يسمى بالتمدن(1)، وهي أوهام لاحقیقة لها، ولعل ذلك ما یسألون عنه كما فی (وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) مَا لَكُمْ لَا تَتَّصِرُونَ (25) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) (2).

وحول تفسير «أنهم مسؤولون»(3) روى عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) بأن العبد لا يخطو يوم القيامة خطوة قبل أن يسأل عن أربعة أشياء: عن شبابه كيف عاشه، وعن عمره كيف قضاه، وعن ماله كيف جمعه وكيف صرفه، وعن حبنا نحن أهل البيت(4).

ويورد «القمي» في تفسيره رواية عن الإمام الصادق عليه السلام (5) يقول فيها أن الذي هم عنه «مسؤولون»(6) هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام (7).

- 
- 1- التمدن: هو اجتماع الإنسان مع بني نوعه للتعاون والتشاور في تحصيل الملائم والحاجات. شرح أصول الكافي، المازندراني: 1 / 245، كتاب العقل والجهل.
  - 2- سورة الصافات / 24 \_\_ 26.
  - 3- سورة الصافات / 24.
  - 4- أنظر: الخصال، الشيخ الصدوق: 1 / 253، لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع / ح 125.
  - 5- تفسير الآية لعلی بن إبراهيم القمي صاحب التفسير.
  - 6- سورة الصافات / 24.
  - 7- أنظر: تفسير القمي، القمي: 2/222، سورة الصافات، خبر عمران الكواكب. و2/440، تفسير سورة التكاثر.

وفى حديث شريف، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (1): إن الناس كلهم يدخلون النار، ثم يبدأون بالخروج منها حسب أعمالهم فأول من يخرج، يكون خروجه كضوء البرق، والثاني يخرج كما تهب الريح، والثالث كركض الحصان، والأخير كالسير على الأقدام (2).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: إنَّ النار تقول للمؤمن يوم القيامة «أعبر بسرعة، فنورك يكاد يخمد لهيبى» (3). وعندما يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن آية (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) (4).

يقول عندما يدخل الصالحون الجنة، تسأل مجموعة، مجموعة أخرى: ألم يعدنا ربنا بأن ندخل النار جميعاً؟ فتجيب المجموعة الأخرى، لقد دخلتم لكن النار كانت قد بردت (5).

- 1- الحديث مروى عن الإمام الصادق عليه السلام .
- 2- أنظر: تفسير القمى، القمى: 29 / 1، تفسير سورة الفاتحة.
- 3- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا مر المؤمن على الصراط فيقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سورة الفاتحة / 1، طفئت لهب النيران وتقول جز يامؤمن فإن نورك قد أطفأ لهيبى. جامع الأخبار، الشعيرى: 42 \_ 43، الفصل الثانى والعشرون.
- 4- سورة مريم / 71.
- 5- عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئِلَ عَنْ (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) سورة مريم / 71، فَقَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ نَرِدَ النَّارَ فَيَقَالَ لَهُمْ قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ. بحار الأنوار، المجلسى: 250 / 8، كتاب العدل والمعاد، باب 24 النار أعادنا الله وسائر المؤمنين من لهبها.



## الفصل السابع: الميزان

إشارة



## الميزان

يقول البارى عز وجل:

(وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) (1).

فى هذه الآيات يبين الله تعالى أن «الوزن» هو من الحقائق الثابتة يوم القيامة (2)، ولعل المقصود بالجمع (الموازين) فى عبارة (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) (3)، و(وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) (4) هو عدد المرات التى يتم فيها الوزن، كما توضح هذه الآيات أن ثقل الوزن هو فى الحسنات، وخفة الوزن فى السيئات، رغم أن ظاهر

1- سورة الأعراف / 8 \_ 9.

2- قال الثعالبي فى تفسير قوله عز وجل: (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) سورة الأعراف / 8، التقدير والوزن الحق ثابت أو ظاهر، يومئذ، أى: يوم القيامة. تفسير الثعالبي، الثعالبي: 9/3، تفسير سورة الأعراف.

3- سورة الأعراف/ 8.

4- سورة الأعراف / 9.



الأمر يفترض أن يكون عكس ذلك (1)، كما يبدو من قوله تعالى:

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (2) و(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) (3) و(ثُمَّ رَدَدْنَا أَسْفَلَ سَافِلِينَ) (4).

إن ثقل وزن الأعمال الصالحة، وخفة وزن السيئة، كما بينها الباري عز وجل، يعود إلى بقاء الحسنات والأعمال الصالحة، وفناء الأعمال السيئة (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) (5).

1- قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / 9، أى: ثقلت سيئاته على حسناته. تفسير ابن كثير، بن كثير: 3 / 267، تفسير سورة الأنبياء. قال الطباطبائي: أما قوله: (وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / 8، و(وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / 9، فإنما يعنى الحسنات توزن الحسنات والسيئات، فالحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 8 / 17، تفسير سورة الأعراف. قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) سورة الأعراف / 8، ان الميزان الذى يذكره إما أن يثقل وهو رجحان الحسنات أو يخف وهو رجحان السيئات. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: 8 / 143، تفسير سورة الأعراف.

2- سورة فاطر / 10.

3- سورة المجادلة / 11.

4- سورة التين / 5.

5- سورة الرعد / 17.

وفى آية أخرى يقول الله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) (1) إذ وصف الموازين بالقسط، وبين الفرق في الوزن بين الحسنات والسيئات (2).

ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلق بـ (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) (3) قوله أن المقصود بذلك الحسنات. فالحسنات والسيئات يجرى وزنها، فتكون الأولى هي الثقل في الميزان أما الثانية «فوزنها قليل» (4).

أما في «الاحتجاج» فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بذلك، هو زيادة الحسنات أو قلتها (5).

#### 1- سورة الأنبياء / 47.

2- قال الطبري في تفسير قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا... الآية) سورة الأنبياء / 47، ونضع الموازين العدل وهو القسط، وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ... إلى آخر) سورة الأنبياء / 47، يعنى بالوزن: القسط بينهم بالحق في الأعمال والحسنات والسيئات فمن أحاطة حسناته بسيئاته ثقلت موازينه. ومن أحاطة سيئاته بحسناته فقد خفة موازينه. تفسير الطبري، الطبري: 33 / 17، تفسير سورة النبأ.

#### 3- سورة المؤمنون / 102.

4- أنظر: التوحيد، الصدوق: 268، باب 36 الرد على الثنوية والزندقة / قطعة من حديث 5.

5- الاحتجاج، الطبرسي: 1/244، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلا عليه بأى من القرآن ونصه: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / 8 \_ 9، فهو قلة الحساب وكثرته.

مما مضى يتضح معنى الآية التالية:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) (1)، أى أن الأعمال إذا حبطت، فلن يظل مبرر لإقامة ميزان العدل الإلهي، وهذا الأمر يوضح لنا حقيقة مهمة وهى أن ميزان العدل يوم القيامة، يختص بالأعمال التى لم تحبط فقط (2)، ومن هنا فإن الآية الواردة آنفاً (3)، لا تتنافى مع هذه الآية (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وَجْوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِنَا تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) (4).

إن هذا المبحث يساعدنا على إدراك معنى الروايات الواردة فى هذا الشأن. فقد رود فى الاحتجاج، أنه عندما سئل، الإمام الصادق عليه السلام من قبل الزنديق المشهور:

1- سورة الكهف / 105.

2- قال الفيض الكاشانى فى تفسير قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) سورة الكهف / 105، بكفرهم فلا يثابون عليها، (فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) سورة الكهف / 105، فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها. التفسير الصافى، الفيض الكاشانى: 3 / 267، تفسير سورة الكهف.

3- سورة الأنبياء / 47.

4- سورة المؤمنون / 102 \_\_ 106.

هل توزن الأعمال؟ أجابه الإمام بالنفي، وبرر ذلك أن الأعمال ليست أجسام مادية، كما أن الذي يحتاج إلى وزن الأشياء، إنما هو الذي لا يعرف عددها أو وزنها، أما البارى عز وجل، فلا تخفى عليه خافية. فسأله الزنديق: إذن ما معنى «الميزان»؟، أجابه الإمام: يعنى العدل، فسأله الزنديق مرة أخرى: إذن فما معنى عبارة (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) (1) الواردة فى القرآن؟ أجابه الإمام: يعنى الذى يرجح عمله (2).

وفى «التوحيد»، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بـ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ) (3)، إنما هو ميزان العدل الذى به يجرى تقييم أعمال كل العباد، وبه يأخذ لكل ذى حق حقه، ويجازى الظالم والغاصب (4).

وفى «الكافى» ورد أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (5) فأجاب أن الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء (6).

1- سورة المؤمنون / 102.

2- أنظر: الاحتجاج، الطبرسى: 2 / 351، احتجاج أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى أنواع شتى من العلوم الدينية.

3- سورة الأنبياء / 47.

4- ( التوحيد، الصدوق: 268، باب 36 الرد على الثنوية والزنادقة / قطعة من حديث 5، وفيه النص: «قال الإمام على عليه السلام فى تفسير قوله تبارك وتعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) سورة الأنبياء / 47، فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين».

5- سورة الأنبياء / 47.

6- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ / 47، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. الكافى، الكلينى: 1 / 419، كتاب الحجّة، باب فيه نكت وتنف من التنزيل فى الولاية / ح 36.

وفيما تقدم من بحث، نجد الدليل على كلام الإمام عليه السلام .

ويروى صاحب الكافي(1) عن الإمام السجاد عليه السلام أن ميزان العدل الإلهي لا يقام للمشركين ولا تفتح صحائف أعمالهم، بل يرمون في جهنم جميعاً، ويؤكد الإمام أيضاً، أن ميزان العدل الإلهي لا يقام وصحائف الأعمال لا تفتح إلا للمسلمين(2).

---

1- هو: محمد بن يعقوب الكليني، وقد مرت ترجمته.

2- أنظر: الكافي، الكليني: 8 / 75، كتاب الروضة، كلام على بن الحسين عليه السلام / ح 29.

## الفصل الثامن: صحيفة الأعمال

إشارة



## صحيفة الأعمال

يقول الله تعالى:

(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) (1).

يبين الله تعالى في هاتين الآيتين، أن «طائر» الإنسان، هو عمله الذى قام به فى حياته (2)، وهو مثبت وملزم للإنسان، ولذلك يعبر عنه القرآن الكريم بـ«فى عنقه» (3). فجميع أعمال الإنسان، سواء السيئ منها أو الحسن، يجرى تسجيلها، دون أن يشعر بذلك فى الدنيا، ذلك أن حواس الإنسان (4) تحس بما هو ظاهر

1- سورة الإسراء / 13 \_\_\_ 14.

2- فى التبيان: قال ابن عباس، ومجاهد وقتادة فى معنى «طائره»، عمله من خير أو شر. التبيان، الطوسى: 6 / 455، تفسير سورة الإسراء. فى المجمع: قيل عن الحسن، طائره: يمينه وشؤمه، وهو ما يتطير منه. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: 6 / 230، تفسير سورة الإسراء.

3- سورة الإسراء / 13.

4- قال الراغب الأصفهاني فى الحاسة: القوة التى بها تدرك الأعراض الحسية، والحواس المشاعر الخمس. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 116، كتاب الحاء وما يتصل بها، مادة «حس». قال الطريحي: الحواس: جمع حاسة كدواب جمع دابة، وهى المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وهذه الحواس الظاهرة. أما الحواس الباطنة فهى: الخيال، والوهم، والحس المشترك والحافظة، والمتصرفة. مجمع البحرين، الطريحي: 1 / 511، باب الحاء، مادة «حسس».



ومكشوف من الأحداث والحركات والأعمال، أما باطن الأمور، فيدركها من خلال الآثار والعلامات الدالة عليها(1).

1- عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَا تَدْرِكُ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ بِالْحَوَاسِّ وَالْقَلْبِ، وَالْحَوَاسُّ إِذْرَاكُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ، إِذْرَاكًا بِالْمُدَاخَلَةِ وَإِذْرَاكًا بِالْمُمَاسَّةِ وَإِذْرَاكًا بِالْمُدَاخَلَةِ وَلَا مُمَاسَّةَ، فَأَمَّا إِذْرَاكُ الَّذِي بِالْمُدَاخَلَةِ فَالْأَصْوَاتُ وَالْمَشَامُ وَالطُّعُومُ وَأَمَّا إِذْرَاكُ بِالْمُمَاسَّةِ فَمَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ كَالِ مِنَ التَّرْبِيعِ وَالتَّثْلِيثِ وَمَعْرِفَةُ اللَّيْنِ وَالخَشِنِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَأَمَّا إِذْرَاكُ بِلا مُمَاسَّةٍ وَلَا مُدَاخَلَةٍ فَالْبَصَرُ فَإِنَّهُ يُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِلا مُمَاسَّةٍ وَلَا مُدَاخَلَةٍ فِي حَيْزِ غَيْرِهِ وَلَا فِي حَيْزِهِ وَإِذْرَاكُ الْبَصَرِ لَهُ سَبِيلٌ وَسَبَبٌ فَسَبِيلُهُ الْهُوَاءُ وَسَبَبُهُ الضِّيَاءُ فَإِذَا كَانَ السَّبِيلُ مُتَّصِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْئِيِّ وَالسَّبَبُ قَائِمٌ أَدْرَكَ مَا يُلَاقِي مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْيَاءِ خَاصٍ إِذَا حُمِلَ الْبَصَرُ عَلَى مَا لَا سَبِيلَ لَهُ فِيهِ رَجَعُ رَاجِعًا فَحَكَى مَا وَرَاءَهُ كَالنَّاطِرِ فِي الْمِرْآةِ لَا يَنْفُذُ بَصَرَهُ فِي الْمِرْآةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ رَجَعُ رَاجِعًا فَيَحْكِى مَا وَرَاءَهُ وَكَذَلِكَ النَّاطِرُ فِي الْمَاءِ الصَّافِي يَرْجَعُ رَاجِعًا فَيَحْكِى مَا وَرَاءَهُ إِذَا لَا سَبِيلَ لَهُ فِي انْفِذِ بَصَرِهِ فَأَمَّا الْقَلْبُ فَإِنَّهُ سَلْطَانُهُ عَلَى الْهُوَاءِ فَهُوَ يُدْرِكُ جَمِيعَ مَا فِي الْهُوَاءِ وَيَتَوَهَّمُهُ إِذَا حُمِلَ الْقَلْبُ عَلَى مَا لَيْسَ فِي الْهُوَاءِ مَوْجُودًا رَجَعُ رَاجِعًا فَحَكَى مَا فِي الْهُوَاءِ فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَحْمِلَ قَلْبَهُ عَلَى مَا لَيْسَ مَوْجُودًا فِي الْهُوَاءِ مِنْ أَمْرِ التَّوْحِيدِ جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَهَّمْ إِلَّا مَا فِي الْهُوَاءِ مَوْجُودٌ كَمَا قُلْنَا فِي أَمْرِ الْبَصَرِ تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يُشَبَّهَ خَلْقُهُ. الكافي، الكليني: 99 / 1 \_\_ 100، كتاب التوحيد / ح 12.

أما فى النشأة الأخرى (الآخرة) (1) فإن بواطن الأ-مور وخفاياها، تتكشف جميعها حيث (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) (2) ومن هنا وصف القرآن، الطائر، بالكتاب الذى يفتحه الإنسان ويقرأ ما فى داخله (3).

يقول الله تعالى:

(أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) (4).

1- قال الطوسى، الآخرة: النشأة الأخرى. التبيان، الشيخ الطوسى: 417 / 4. قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) سورة النجم / 47، أى: الخلق الثانى للبعث يوم القيامة، يعنى عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء. مجمع البيان، الشيخ الطبرسى: 304 / 9، تفسير سورة النجم.

2- سورة إبراهيم / 21.

3- عن ابن عباس فى تفسير قوله: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) سورة الإسراء / 13، قال: هو عمله الذى عمل، أحصى عليه فاخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل فقرأه منشورًا. الدر المنثور، السيوطى: 167 / 4، تفسير سورة الإسراء. قال الطباطبائى: فى تفسير قوله تعالى: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) سورة الإسراء / 13، إشارة إلى إن كتاب الأعمال بحقائقها مستور عن إدراك الإنسان محجوب وراء حجاب الغفلة وإنما يخرج الله سبحانه للإنسان يوم القيامة فيطلععه على تفاصيله. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 13 / 55 \_\_ 56، تفسير سورة الإسراء.

4- سورة المجادلة / 6.

كما يقول:

(بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) (1).

وهنا نلاحظ استخدام «أبدا» و«أحصاه». وهى تخص أعمال الإنسان، لأن صحيفة الأعمال، لا تعنى أنها قائمة تدرج فيها الأعمال، بل أن الأعمال تتجلى أمامهم بذاتها وحققتها(2).

## 1- سورة الأنعام / 28.

2- فى التبيان: قيل فى تفسير قوله تعالى: (بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) سورة الأنعام / 28، معناه بل بدا من أعمالهم ما كانوا يخفونه، فأظهره الله وشهدت به جوارحهم. التبيان، الطوسى: 4/111، تفسير سورة الأنعام. وقال ابن عجيبة فى تفسير قوله تعالى: (بَلْ بَدَأَ لَهُمْ) سورة الأنعام / 28، أى: ظهر لهم يوم القيامة فى صحائفهم ما كانوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ فى دار الدنيا من عيوبهم وقبائح أعمالهم. البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة: 2/110، تفسير سورة الأنعام. وقال السدى فى تفسير قوله تعالى: (بَلْ بَدَأَ لَهُمْ) سورة الأنعام / 28، بدت لهم أعمالهم فى الآخرة. وعنه أيضا فى قوله تعالى: (مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) سورة الأنعام / 28، بدت أعمالهم فى الآخرة التى أخفوها فى الدنيا. تفسير القرآن العظيم، ابن أبى حاتم: 4/1279. وقال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ) سورة الزلزلة / 6، وإراءتهم أعمالهم إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسم الأعمال. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 20/343، تفسير سورة الزلزلة.

وفى هذه الآية يقول الله سبحانه وتعالى:

(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (1).

كما يقول تعالى:

(وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (2) وآيات أخرى تؤدي نفس المعنى مثل:

(يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى) (3) و(يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (4).

لقد أسلفنا الحديث عن حقيقة أن يوم البعث والنشور محيط بجميع مراتب الوجود ودرجاته.

وكما أن الأعمال تتجلى، فإن حقيقتها تتجلى أيضاً.

يقول الله تعالى:

(وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (5)

1- سورة الزلزلة / 6 \_\_ 8.

2- سورة الأحقاف / 19.

3- سورة الفجر / 23.

4- سورة القيامة / 13.

5- سورة الجاثية / 28.

و«الكتاب» المذكور في هذه الآية، هو ذلك المتضمن أعمالهم(1).

كما يقول أيضاً:

(هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(2).

وهذا الكتاب هو (الكتاب الممكنون)(3) الذي سجل فيه ما حدث وما يحدث وما سيحدث(4).

1- قال الفيض الكاشاني في معنى قوله تعالى: (كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) سورة الجاثية/28، صحيفة أعمالها. التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: 1162/2، تفسير سورة الجاثية. وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) سورة الجاثية/28، ترى أنت وغيرك من الرائيين كل أمة من الأمم جالسة على الجثو، جلسة الخاضع الخائف كل أمة منهم تدعى إلى كتابها الخاص بها وهي صحيفة الأعمال. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 176/18 \_\_ 177، تفسير سورة الجاثية.

2- سورة الجاثية/29.

3- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الواقعة / الآية 78، ونصها: (فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ).

4- قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) سورة الجاثية / 29، هو أم الكتاب فيه أعمال بني آدم. جامع البيان، ابن جرير الطبري: 203/25، تفسير سورة الجاثية. وقال الزركشي في تفسير قوله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) سورة الجاثية / 29، المراد جميع الكتب التي اقتضت فيها أعمالهم. البرهان، الزركشي: 7/2، النوع الثاني والثلاثون.

وقد ورد في الأخبار، أن نسخاً تأخذ من هذا الكتاب، ومنه أيضاً تؤخذ الأعمال، وهو كتاب يضم حقيقة الأعمال، وهو الحجة والمرجع لباقي الكتب(1) ولعله هو المذكور في الآية الشريفة:

(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ) (2).

ورد في «الكافي»(3) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ضمن أحد أحاديثه حول اللوح المحفوظ، أن اللوح هو الكتاب المكنون الذي تؤخذ عنه باقي النسخ(4).

والاستنساخ هنا، يعنى نقل الشيء من مصدره الأصلي، وهذا معنى الكلام الإلهي:

(إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (5).

- 
- 1- أنظر: تفسير القمي، القمي: 2 / 379 - 380، تفسير سورة القلم. بحار الأنوار، المجلسي: 366 / 54 - 367، كتاب السماء والعالم، باب 4 القلم واللوحة المحفوظ والكتاب المبين والإمام المبين وأم الكتاب / ح 3.
  - 2- سورة الزمر / 69.
  - 3- أورد هذا المعنى على بن ابراهيم القمي باسناده عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبدالرحيم القصير عن أبي عبدالله عليه السلام .
  - 4- أنظر: تفسير القمي، القمي: 2 / 379 - 380، تفسير سورة القلم. بحار الأنوار، المجلسي: 366 / 54 - 367، كتاب السماء والعالم، باب 4 القلم واللوحة المحفوظ والكتاب المبين والإمام المبين وأم الكتاب / ح 3.
  - 5- سورة الجاثية / 29.

كما ينقل «العياشي» (1) في تفسيره، عن الإمام الصادق عليه السلام أن كتاب الإنسان (صحيفة أعماله)، تعطى له يوم القيامة فيقال له: اقرأ! وهنا يسأل الراوي، الإمام عليه السلام: وهل يتذكر الإنسان كل ما هو موجود في صحيفته، فيجيب الإمام: الله يذكره بها، فيتذكر كل رمشة عين أو خطوة قدم، أو قول أو عمل، وكأنه قام بها في تلك اللحظة، ولهذا يقول الإنسان حينذاك:

(يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) (2)(3).

وفي نفس التفسير (4) رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، تحمل مضموناً مقارباً لما جاء في الرواية الآتفة الذكر (5).

والجدير بالملاحظة هنا أن الإمام يفسر في هذه الرواية، مفردة «القراءة» بمعنى «التذكر» (6). الموضوع الآخر هو أن الله تعالى يقول:

1- مرت ترجمته.

2- سورة الكهف / 49.

3- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: 328/2، تفسير سورة الكهف/ ح 34.

4- أى: تفسير العياشي.

5- عن خالد بن نجیح عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ) سورة الإسراء/ 14، قال: يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: (يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) سورة الكهف/ 49. تفسير العياشي، العياشي: 328/2، تفسير سورة الكهف / ح 35.

6- الذكر: الحفظ للشيء، تذكره، وهو منى على ذكر. كتاب العين، الفراهيدي: 346/5، مادة «ذكر».

(نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) (1) وهذا يعني أن ما يحصى على الإنسان ويسجل في كتابه، هي أعماله وأفعاله التي يرتكبها، إضافة إلى الآثار المترتبة على هذه الأعمال، وفي النتيجة، فإن المحاسبة تكون على جميع ذلك (2)، وعلى أساس هذا المفهوم يتوضح لنا معنى الآية:

(يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (3).

ويورد «القمي» (4) في تفسيره، رواية عن الإمام الباقر عليه السلام، حول كلمتي «قدم» و«أخر» الواردين في الآية السابقة (5)، أن المقصود بها هي ما فعل بنفسه من خير وشر، وكذلك، ما ترتب على فعله فيما بعد، من آثار إيجابية أو سلبية، وأن

1- سورة يس / 12.

2- قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) سورة يس / 12، أي: من الأعمال، وفي قوله تعالى (وَآثَارَهُمْ) سورة يس / 12، قولان أحدهما نكتب أعمالهم التي باثروها بأنفسهم وآثارهم التي آثروها من بعدهم فنجز بهم على ذلك أيضا إن خيرا فخير وإن شرا فشر. تفسير ابن كثير، ابن كثير: 572/3، تفسير سورة يس. قال الطباطبائي: في تفسير قوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) سورة يس / 12، والمعنى كل شيء أحصيناه إحصاء أو كل شيء كتبناه كتابا. والمعنى الجزاء موافق لإعمالهم لأنهم كانوا على حال كذا وكذا وقد حفظناها عليهم فجزيناهم بها جزاء وفاقا. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 169/20، تفسير سورة النبأ.

3- سورة القيامة / 13.

4- على بن ابراهيم القمي صاحب التفسير، مرت ترجمته.

5- سورة القيامة / 13.



الحساب يتم عليها جميعها، فإن كان قد سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها، فيحصل هو على أجر، بمقدار ما يحصل عليه المتبع لتلك السنة الحسنة(1).

بعد آية (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) (2) يتبعها الباري عز وجل بقوله:

(وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (3) وهنا يتضح أن اللوح المحفوظ (الذي عبر عنه القرآن هنا بالإمام المبين) هو أيضا مرجع وحكم في محاسبة العباد، كما في صحائف أعمالهم(4). كما يتضح أن المقصود بـ«الكتاب» في آية (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) (5) هو نفسه اللوح المحفوظ، لأن الكتاب وصف هنا بالإمامة، أى التبعية، وفي الآية السالفة(6)، وصفه القرآن بهذه الصفة، حيث منه تؤخذ الأعمال... إذن فالإثنان، لها معنى واحد.

1- أنظر: تفسير القمى، القمى: 397 / 2 \_\_ 398، تفسير سورة القيامة.

2- سورة يس / 12.

3- سورة يس / 12.

4- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) سورة يس / 12، قيل: معناه وكل شىء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: 245 / 10، تفسير سورة يس. وقال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) سورة يس / 12، المراد وكل شىء حفظناه حال كونه مكتوبا، أى: فى اللوح المحفوظ أو فى صحائف الأعمال. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 169 / 20، تفسير سورة النبأ.

5- سورة الجاثية / 29.

6- سورة الجاثية / 29.

وفضلاً عن توضيح العديد من صفات هذا الكتاب، فإن القرآن وضح لنا حقيقة مهمة وهي أن العباد يأخذون كتابهم بطريقتين، تبعاً لصنف العباد، فقد جاء:

(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرءُ وَإِنَّا كِتَابِيهِ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ... إلى قوله .. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ) (1).

فالمقصود باليمين والشمال هنا كما يبدو، طرفا الإنسان من حيث تفاوتهما في القوة، على أساس حقيقة أن اليد اليمنى أقوى من اليسرى، أو طرفا السعادة والشقاء. والمؤكد أن المقصود ليس اليدان (اليمين واليسار)، كما تصوره بعض الرواة والمحدثين (2) الذين يأخذون بظاهر الآية (3)، ذلك أن الله تعالى لم يقل «أوتى

1- سورة الحاقة / 18 \_\_ 26.

2- الراوى: هو الذى ينقل الحديث بإسناده، سواءً أكان رجلاً أم امرأة. علوم الحديث، صبحى صالح: 107، الباب الثانى التصنيف فى علوم الحديث، الفصل الأول. يقال للرجل الصادق الظن محدث، بفتح الدال مشددة. الصحاح، الجوهري: 1/279، مادة «حدث». ورجال حدث وحدث وحدث وحدث، بمعنى واحد: كثير الحديث، حسن السياق له كل هذا على النسب ونحوه. لسان العرب، ابن منظور: 2/133، مادة «حدث».

3- الظاهرية: أتباع أبى سليمان داود بن على الأصبهاني، وكان أول من أنتحل الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأى والقياس. والظاهرية، دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه، وجهز لا سرّ تحته، كله برهان لا مسامحة فيه. وكل من ادعى أن للديانة سرّاً وباطناً، فهى دعاوى ومخارق. وقالوا: لم يكتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشريعة كلمة فما فوقها. موسوعة الفرق والجماعات، الحفنى: 471، باب الظاء، الظاهرية.

كتابه ليمينه أو شماله» بل قال: بيمينه وبشماله. والباء هنا سببية تفيد الوساطة، ولعل الآية الشريفة التالية خير دليل على ما نقول (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11)، إذ ورد فيها «وراء ظهره» بدل «بشماله» وهذا دليل على أن المقصود هو ليس اليد اليسرى، إذ لا يمكن أن يعنى تعبير «وراء ظهره» ذلك.

والدليل الآخر، هو الآية الشريفة:

(يَوْمَ دَعُّوا كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فَتِيلًا (71) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (2)، إذ نلاحظ أن القول الإلهي جاء «بإمامهم» وليس «الإمامهم» بينما تستخدم آيات أخرى «اللام» بدل «الباء» عندما لا يراد معنى الوساطة، فمثلاً (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا (3) ولم يقل الله تعالى: «بكتابها». وخلاصة الأمر أن «الدعوة بالإمام» هي غير «الدعوة إلى الكتاب» (4).

1- سورة الانشقاق / 7 \_ 11.

2- سورة الإسراء / 71 \_ 72.

3- سورة الجاثية / 28.

4- قال الطوسى: اختلفوا فى الإمام الذى يدعون به يوم القيامة، فقال مجاهد وقتادة: إمامه: نبيه. وقال ابن عباس: إمامه كتاب علمه. وروى أيضاً أن إمامهم: كتابهم الذى انزل الله إليهم فيه الحلال والحرام والفرائض والأحكام. التبيان، الطوسى: 6 / 504، تفسير سورة الإسراء. وقال أيضاً: فى تفسير قول الله عز وجل: (كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا) سورة الجاثية/28، معناه إلى كتابها الذى كان يستنسخ لها ويثبت فيه أعمالها. التبيان، الطوسى: 9 / 261 \_ 262، تفسير سورة الجاثية.

وبعد أن يدعو الله تعالى (كُلُّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ) (1)، يأتي على تفاصيل ذلك فيقول تعالى أن مجموعة من هؤلاء يؤتون كتابهم بيمينهم، إذن، فهذا اليمين، هو ذاته الإمام الحق الذي يدعى به هؤلاء (2) (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ) (3) وبدل أن يقول الله بأن المجموعة الأخرى تؤتى كتابها بشمالها، جاء القول الإلهي:

(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (4).

ومن تغيير السياق هذا، ندرك أن إعطاء الكتاب بواسطة اليمين، يوم القيامة، يعنى ذلك النور المضيء (5)، فالله يقول:

1- سورة الإسراء / 71.

2- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) سورة الإسراء / 71، أن اليمين هو الإمام الحق. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 128 / 19، تفسير سورة الواقعة.

3- سورة الإسراء / 71.

4- سورة الإسراء / 72.

5- قال الطوسي: في تفسير قوله تعالى: (نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) سورة الحديد / 12، قال ابن عباس: معناه يسعى نور كتابهم الذي فيه البشرى. التبيان، الطوسي: 51 / 10، تفسير سورة التحريم.

(يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) (1) و(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (2).

وهنا يتبين أن النور، هو ذلك الإمام، والمقصود بمناداة الناس به، هو التحاق كل مجموعة بإمامها (3).

والحديث في هذا الموضوع يطول كثيراً، ولا مجال له في هذا البحث، لكن الخلاصة هي أن المقصود بـ«اليمين» و«الشمال»، يمكن أن يكون السعادة والشقاء، وليس اليد اليمنى واليسرى (4).

1- سورة الحديد / 12.

2- سورة الحديد / 19.

3- قال البلخي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ) سورة الإسراء / 71، بما كانوا يعبدونه، ويجعلونه إماماً لهم. قال أبو عبيد: بما كانوا يأتون به في الدنيا. التبيان، الطوسي: 6 / 503 \_\_ 504، تفسير سورة الإسراء.

4- قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) سورة الواقعة / 8 \_\_ 9، أصحاب اليمين والشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 5/ 178، تفسير سورة الواقعة. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) سورة الواقعة / 8، فأصحاب الميمنة أصحاب السعادة واليمن مقابل أصحاب المشأمة أصحاب الشقاء والشؤم. قال أيضاً في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) سورة الواقعة / 9، المشأمة مصدر كالشؤم مقابل اليمين، والميمنة والمشأمة السعادة والشقاء. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 19/ 116، تفسير سورة الواقعة.

ولعل في سورة الواقعة ما يدل على ما نقول:

(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) (1) و(وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ) (2)، ومرة أخرى يتحدث عنهم القرآن الكريم بعبارات أخرى (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) (8) و(وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) (3).

ثم تأتي الآيات الشريفة لتوضح ذلك أكثر (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ) (4).

إذ جاء «المكذبين الضالين» بدل «أصحاب الشمال». ومن هنا ندرك أن أصحاب الشمال هم أهل الشقاء، والمكذبون للحق، والضالون.

ويبدو أن هذه الآية فيها إشارة إلى (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ... أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) (5) إذ هي إشارة إلى الذين كذبوا وضلوا واختاروا الشقاء لأنفسهم (6).

1- سورة الواقعة / 27.

2- سورة الواقعة / 41.

3- سورة الواقعة / 8 \_\_ 9.

4- سورة الواقعة / 90 \_\_ 94.

5- سورة المؤمنون / 103 \_\_ 106.

6- قال فتح الله الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) سورة المؤمنون/106، استعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاوة. وهي: سوء العاقبة والمضرة اللاحقة. ولما كانت سيئاتهم التي شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوة توسعا. زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: 467/4، تفسير سورة المؤمنون. قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) سورة المؤمنون / 106، أي: استولت علينا وملكتنا شقاوتنا التي اقتضاها سوء استعدادنا كما يومىء إلى ذلك إضافتها إلى أنفسهم. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسي: 266/9، تفسير سورة المؤمنون. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) سورة المؤمنون / 106، أن الشقوة غلبت فأشغلت المحل وكانت الشقوة شقوة أنفسهم، أي شقوة لازمة لسوء اختيارهم وسيئات أعمالهم لأنهم فرضوا أنفسهم خالية عن السعادة والشقوة لذاتها فانساب الشقوة إلى أنفسهم وارتباطها بهم إنما هي من جهة سوء اختيارهم وسيئات أعمالهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 70/15، تفسير سورة المؤمنون.

لقد قلنا فيما مضى أن هذه الآية (1) تخص أهل الشقاء من أتباع الأديان الضالين أو الناكثين لعهد أئمة الحق. أما الكفار المنكرين لله تعالى والأديان، فلا تشملهم هذه الآية. لأن الله لا يضع لهؤلاء ميزاناً أو قيمة، لذلك، لا يوجد لهؤلاء كتاب، ولا حساب، بل يأخذون طريقهم إلى العذاب مباشرة (2).

#### 1- سورة المؤمنون / 106.

2- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) سورة الكهف / 105، أي: لا قيمة لهم عندنا، ولا كرامة، ولا نعتد بهم، بل نستخف بهم، ونعاقبهم. مجمع البيان، الطبرسي: 6 / 392، تفسير سورة الكهف. قال القرطبي في تفسير قول الله عز وجل: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) سورة الكهف / 105، أنهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار. تفسير القرطبي، القرطبي: 11 / 66، تفسير سورة الكهف.

والخلاصة، أن أصحاب الشمال هم أهل الشقاء والضالون — ولهذا فإنهم يقولون — كما ينقل عنهم البارى عز وجل —:

(مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ) (1) إذ أن ذلك (المال والسلطان) حرفهم عن الحق، رغم اعترافهم وإقرارهم به.

إذن، فكل من الفريقين يدعى بإمامه، فيلتحق به، وبواسطته يؤتى كتابه. والالتحاق بالإمام هو ما ذكرته الروايات بـ«السعادة» و«الشقاء» الذاتيين، والذي سيأتى الحديث عنه فيما بعد.

إن أهل الشقاء، يتلقون كتابهم بشمالهم، ومن خلف ظهورهم، لأن أئمتهم أمامهم، لكن وجوههم منقلبة إلى الوراء (2).

والله تعالى يقول حول فرعون: (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) (3) كما يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ

1- سورة الحاقة / 28 \_ 29.

2- قال المشهدى: فى تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) سورة النساء / 47، قيل: نكسها إلى ورائها فى الدنيا أو فى الآخرة. تفسير كنز الدقائق، المشهدى: 470 / 2، تفسير سورة النساء. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) سورة الانشقاق / 10، ولعلمهم إنما يؤتون كتبهم من وراء ظهورهم لرد وجوههم على أدبارهم كما قال تعالى: (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) سورة النساء / 47. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 243 / 20، تفسير سورة الانشقاق.

3- سورة هود / 98.



أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا (1) وكذلك يقول: (قِيلَ ازْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) (2).

وقد ذكرنا فيما مضى أن النور هو الإمام الحق (3).

إن الإنسان، بوجوده المادى الدينوى، وبشكله الذى خلقه الله تعالى، يكون وجهه إلى الإمام، وله ظهر وطرف أيمن وأيسر. وعندما يختار الإنسان طريق الشقاء والضلال، ويتبع هواه ورغباته، فهو فى الواقع، يشيح (4) بوجهه عن الحق، وعندما يقف بين يدي ربه، يوم القيامة ويبدأ الحساب، يحشر هذا الإنسان، ووجهه إلى الورا، وكالأعمى، فلا يرى شيئاً، وهو مذهولاً لا يدري إلى أين يسير، وماذا يفعل، وماذا سيواجه.

إن الإمام الحق، والذين يدعون بواسطته، يملك إشرافاً وهيمنة (5) قاهرة على

1- سورة النساء / 47.

2- سورة الحديد / 13.

3- أنظر: الفصل الثامن، صحيفة الأعمال.

4- أشاح بوجهه: أعرض. الصحاح، الجوهري: 379/1، مادة «شيح». إذا نحى الرجل وجهه عن وهج أصابه أو عن أذى، قيل: قد أشاح بوجهه. لسان العرب، ابن منظور، 2/501، مادة «شيح».

5- فى لسان العرب: المهيمن: هو الرقيب، يقال هيمن يهيمن هيمنة: إذا كان رقيباً على الشىء. لسان العرب، ابن منظور: 437/13، مادة «همن». قال الزبيدي: هيمن على كذا: صار رقيباً عليه وحافظاً. تاج العروس، الزبيدي: 367/9.

الإمام الباطل ومجموعة، والله تعالى يقول:

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (1) حيث تطلق الآية اسم «الإمام» على الكتاب الذي يضم كل الأمور، بما في ذلك الشقاء والسعادة، والسيء والصالح (2)، والله جل وعلا يقول أيضاً:

(هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسَخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (3)، وعلى أساس هذه الآية، فإن «الإمام» الذي هو «الكتاب» (4)، يتولى القضاء بحق كلا الفريقين، الأشقياء والسعداء، وهو الشاهد عليهم جميعاً (5).

1- سورة يس / 12.

2- عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) سورة الإسراء / 71، قال: الإمام: ما عمل وأملى، فكتب عليه. جامع البيان، ابن جرير الطبري: 15 / 158، تفسير سورة الإسراء / ح 16990. قال ابن كثير في تفسير قول الله عز وجل: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) سورة الإسراء / 71، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر. تفسير ابن كثير، ابن كثير: 3 / 574، تفسير سورة يس.

3- سورة الجاثية / 29.

4- عن أبي عبد الله عليه السلام: في قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ) سورة الحاقة / 19 \_\_ 20، الكتاب: الإمام. تفسير العياشي، العياشي: 2 / 302، تفسير سورة الإسراء / ح 115.

5- قال الطبرسي في تفسير قول الباري عز وجل: (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) سورة المؤمنون / 62، عند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق، أي: يشهد لكم وعليكم بالحق، كتبه الملائكة بأمرنا. مجمع البيان، الطبرسي: 7 / 198، تفسير سورة المؤمنون.

وهذا لا يتنافى مع ما قلناه سابقاً حول الفرق بين «الدعوة إلى الكتاب» و«الدعوة بالإمام».

ذلك أن الله تعالى لم يصف صحائف الأعمال بـ«الإمامة»، بل وصفها بالاقتران والتابعية، فقال:

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزَمْنَاهُ طَائِرَةٌ﴾ (1) بينما وصف «اللوحة المحفوظة» فقط بالإمامة، باعتبار أن الأعمال تؤخذ منه. إذ أن صحيفة الأعمال، تؤخذ من هذا اللوح.

ويجب التذكير هنا أن الله تعالى، فسر الإمامة، بـ«الولاية» (2) في العديد من الآيات (3)، لكن استخدم «الولاية» فقط، عندما تحدث عن ذاته جل شأنه، لأن الإمامة تتضمن وحدة النوع (4) بين الإمام والمأموم.

#### 1- سورة الإسراء / 13.

2- قال الطباطبائي: الإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن هي: ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إليهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد ارائة الطريق الذي هو شأن النبي والطريق وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 272 / 1، تفسير سورة البقرة.

3- ( ) نذكر لكم آيات فيها كلمة (الإمامة) والتي إشارة إلى الولاية: سورة البقرة / 124، ونصها: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). سورة الفرقان / 74، ونصها: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا).

4- النوع: أسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص. التعريفات، الجرجاني: 135، باب النون، النوع. النوع في اللغة: الصنف من كل شيء. والنوع في اصطلاح المناطقة: هو الكلى المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ما هو، كالإنسان لزيد، وعمر، ويكر. وقيل: إنه المعنى المشترك بين كثيرين متفقين بالحقيقة، ويندرج تحت كلى أعم منه، وهو الجنس كالحيوان، فإنه جنس الإنسان. المعجم الفلسفي، صليبا: 511 / 2، باب النون، النوع.

وخلاصة الأمر أن الإمام الحق، هو ولي المؤمنين، والإمام الباطل، ولي الكافرين(1).

ويدرك هذه الحقائق، سنحل عقدة الكثير من معاني الأحاديث التي تقول أن أصحاب الولاية، يتولون القضاء بين الناس يوم القيامة(2).

1- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ) سورة الإسراء/71، المراد بإمام كل إنسان من يأتون به في سبيل الحق والباطل. وقال أيضا: أن المراد بإمام كل إنسان في الآية من ائتموا به سواء كان إمام حق أو إمام باطل. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 13/ 165 \_ 166، تفسير سورة الإسراء.

2- عَنْ سَعْدَانَ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّاسُ فِي الطَّوَافِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: يَا سَمَاعَةُ إِنِّي أَبُ هَذَا الْخَلْقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّمْنَا عَلَى اللَّهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابْنَا إِلَى ذَلِكَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ إِسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. الكافي، الكليني: 8/ 162، حديث الناس يوم القيامة /ح 14. عن أبي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامة يأمر الله عز وجل فأفعد أنا وعلى على الصراط ويقال لنا أدخلوا الجنة من آمن بي وأحبكم وأدخلوا النار من كفر بي وأبغضكم وفي لفظ ألقوا في النار من أبغضكم وأدخلوا الجنة من أحبكم. المناقب، ابن شهر آشوب: 2/ 158، باب ما تفرد من مناقبه أمير المؤمنين عليه السلام، فصل في أنه جواز الصراط وقسيم الجنة والنار.

يقول الله تبارك وتعالى (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (1) و«السابقون المقربون» هم أولئك العباد «المخلصون» الذين تحدثنا عنهم ضمن موضوع النفخ في الصور، و«الإحضر» و«الميزان».

فأمثال هؤلاء يستثنون من إعطائهم كتابهم، كما يستثنون من الفرع وغيره.

وعلى هذا، فإن حكم «إعطاء الكتاب وصحيفة الأعمال» يجرى على الذين يرتكبون سيئات، أو حسنات، ويستثنى منه فريقان، الأول: العباد المخلصون والثاني: المعاندون والمنكرون الذين سلف الحديث عنهم.

يقول الله تعالى:

(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) (2) وهذا يشمل الذين عملوا حسنات وسيئات وأما «المخلصون» الذين بلغوا في حسناتهم مراتب عليا، وكذلك الذين حبطت أعمالهم، كمكذبي الأنبياء ومنكري يوم القيامة. فهم لا يتعرضون للحساب ولا يعطون كتابهم يوم القيامة.

واستمراراً لنفس الآية السابقة نقرأ (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) (3).

1- سورة الواقعة / 7 \_ 11.

2- سورة الإسراء / 13.

3- سورة الإسراء / 13.

ويحتمل أن يكون هذا الكتاب، هو غير «الطائر» الذى يعلق فى عنق الإنسان (المقترن به) (1) ولو كان هذا الكتاب هو نفسه «الطائر»، لجاءت الآية: ونخرجه كتاباً بينما النص جاء (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) (2).

وسباق الآية هذا يتفق مع آيات أخرى مثل:

(وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) (3).

وبعدها الآية:

(اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) (4).

فمن هذه الآية، يتضح لنا أن «الكتاب» و«طريقة قراءته» يختلفان عما هو معروف فى الحياة الدنيا.

يقول الله تعالى:

(يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (5).

---

1- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) سورة الإسراء / 13، أن المراد بالطائر هو كتاب الأعمال دون كتاب القضاء كما يدل عليه قوله: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) سورة الإسراء/ 14. الميزان فى تفسير الميزان، الطباطبائى: 374/15، تفسير سورة النمل.

2- سورة الإسراء/ 13.

3- سورة التكوير/ 10.

4- سورة الإسراء/ 14.

5- سورة القيامة / 13.

وهذه الآية تتحدث عن تفاصيل أعمال الإنسان التي ارتكبها في حياته، والتي يذكر بها يوم القيامة(1).

أما الآية (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)(2) فتتحدث عن وضع الإنسان بشكل إجمالي وعام، وتبين أن التفاصيل يعرفها الإنسان بنفسه(3). وقد تحدثنا فيما مضى عن كيفية قراءة الإنسان لكتابه(4)... والله أعلم.

1- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) سورة القيامة / 13، أى: يخبر بجميع ما عمله، وما تركه من الطاعات والمعاصى. التبيان، الطوسى: 10 / 194، تفسير سورة القيامة. قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى: (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) سورة القيامة / 13، أى: يخبر الإنسان يوم القيامة بأول عمله وآخره، فيجازى به. مجمع البيان، الطبرسى: 10 / 195، تفسير سورة القيامة.

2- سورة القيامة / 14.

3- فى المجمع: قيل فى تفسير قوله تعالى: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) سورة القيامة / 14، إن المعنى بل الإنسان على نفسه عين بصيرة. مجمع البيان، الطبرسى: 10 / 192، تفسير سورة القيامة. فى غريب القرآن: يقال فى تفسير قوله تعالى: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) سورة القيامة / 14، معناه الإنسان بصير فى نفسه. تفسير غريب القرآن، الطريحي: 228.

4- أنظر: الفصل الثامن، صحيفة الأعمال.

## الفصل التاسع: الشهداء في يوم البعث

إشارة





## الشهداء فى يوم البعث

## إشارة

يقول البارى عزوجل عن الشهداء:

(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (1).

وفى آيات أخرى عديدة (2)، أطلق القرآن الكريم صفة الشهداء (بمعنى الشاهدين) (3) على عدة مجموعات، باعتبارهم يشهدون على الأعمال فى يوم

## 1- سورة الزمر/ 69.

2- وردت كلمة «شهداء» فى كثير من آيات القرآن الكريم تشير إلى أن هناك من يشهدون على الناس وعلى الأعمال نازل بعض منها للاستشهاد: سورة آل عمران / 140، ونصها: (إِن يَمَسُّكُمْ كُفْرٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). سورة الحج / 78، ونصها: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ).

3- الشاهد: هو فى اللغة عبارة عن الحاضر، وفى اصطلاح القوم عبارة عما كان حاضراً فى قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الوجد، فهو شاهد الوجد، وإن كان الغالب عليه الحق، فهو شاهد الحق. التعريفات، الجرجاني: 72، باب الشين، الشاهد.

## القيامة(1).

إن الشهادة على الشيء، هي إدراكه عن طريق الحضور والرؤية، وهذه هي مرحلة استلام الشهادة والحصول عليها، أما المرحلة الثانية، فهي تأييد وقوع ذلك الشيء وتسمى مرحلة «أداء الشهادة»(2). وواضح أن الشهادة على الأعمال، في يوم القيامة.

لا يقتصر على ظواهر الأمور والحوادث والأعمال، بل هي شهادة على بواطنها وخفاياها، من حيث الطاعة والمعصية، أو السعادة والشقاء، ذلك أن الحكم يستند إلى تأييد الشهداء، والذي يقضى هو «أحكم الحاكمين»(3).

1- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) سورة البقرة / 143، فيه ثلاثة أقوال: الأول: إن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة. الثاني: إن المعنى لتكونوا حجة على الناس، فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا، مؤيدا للدين إليكم، وسمى الشاهد شاهداً لأنه يبين ولذلك يقال للشهادة بينة. الثالث: إنهم يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين لهم، بأنهم قد بلغوا، وجازوا لأعلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهم بذلك. مجمع البيان، الطبرسي: 1 / 418، تفسير سورة البقرة.

2- الشهادة: هي إخبار المرء بما رأى، أو إقراره بما علم عن يقين. يطلق لفظ الشهادة على فعل الشاهد، فتقول: شهد على كذا شهادة، أى: أخبر به خبرا قاطعا. المعجم الفلسفي، صليبا: 1 / 709، باب الشين، مادة «الشهادة».

3- سورة هود / 45.

من هنا فإن الشهادة تأتي على حقائق الأمور وبواطنها(1).

إن الإدراك الكامل لحقائق الأمور، أمر لا يبلغه، إلا الذين يطلعون على جذور الأمور ومنشأها، وكذلك يطلعون على النيات والخفايا والدوافع. ومن هنا، فإن الشهادة في يوم القيامة تمثل تكريماً وتجليلاً لمقام الشاهد(2).

(لَا تَكَلِّمْ نَفْسٍ إِلَّا بِأُذُنِهِ) (3).

كما أنها محصورة بأولئك الذين حظوا في الدنيا بمنزلة تؤهلهم للاطلاع على الخفايا والنوايا. يقول البارئ جل وعلا (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (4) والصواب، هو عكس الخطأ(5).

1- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة الزخرف / 86، الشهادة: هي تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادة أو شقاء، ورد وقبول، وانقياد وتمرد، وأداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد الله من كل شيء، حتى من أعضاء الإنسان. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 1/321، تفسير سورة البقرة.

2- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة الزخرف / 86، أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمة، إذ ليست إلا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 1 / 321، تفسير سورة البقرة.

3- سورة هود / 105.

4- سورة النبأ / 38.

5- قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ صَوَابًا) سورة النبأ / 38، والصواب موافقة الغرض الحكمي. ونقيضه الخطأ، وهو مخالفة الغرض الحكمي. التبيان، الطوسي: 249 / 10، تفسير سورة النبأ.

كما يقول تعالى (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (1).

إذن فالشهادة في ذلك اليوم لا تقوم إلا للذين نزهت أعمالهم من كل خطأ وزلل.

من جانب آخر، فإننا لو أمعنا النظر في قدرة حواس الإنسان (2) وقواه الظاهرية، لرأيناها عاجزة عن إدراك بواطن الأمور والأعمال، حتى لو تعاملت معها بشكل مباشر، فضلاً عن الغائبين. والبعيد عن دائرة إدراكها.

لأن الاطلاع على خفايا الغير، وهم في غياب عن الشاهد، أمر مستحيل إذا افترضنا أن «اطلاعه» يتم بالحواس الظاهرية المعروفة.

لكن هذا الأمر سيكون قابلاً للإقناع، إن إدراك الشاهد لبواطن الأمور والأعمال، يتم بقوة، هي ما وراء قدرة الحواس الظاهرية، قوة يمكنها الاطلاع على النوايا والخفايا، للغائب والحاضر على حد سواء.

1- سورة الزخرف/ 86.

2- قال الراغب الأصفهاني: الحاسة: القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية، والحواس: المشاعر الخمس. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 116، مادة «حس». قال الطريحي: الحواس: جمع حاسة كدواب جمع دابة، وهي المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وهذه الحواس الظاهرة. مجمع البحرين، الطريحي: 511 / 1، مادة «حسس».

هذه القوة هي فى الواقع نور غير مادى، لا- يحتاج إلى ما يحتاجه النور العادى، من مستلزمات الحال والزمان والمكان، بل هو نور يمكن بواسطته رؤية باطن الإنسان ونواياه، وتمييز «الطيب» من «الخبيث»، و«الطاهر» من «غير الطاهر».

يقول الله تعالى:

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) (1) وكذلك:

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سَجِينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ لِلمُكذِّبِينَ) (2).

وقد أشرنا فى الفصل السابق إلى أن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، يؤتون كتابهم كل بواسطة إمامه (3). يقول الله تعالى:

(وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (4).

1- سورة المطففين / 18 \_\_ 21.

2- سورة المطففين / 7 \_\_ 10.

3- إشارة إلى قوله تعالى من سورة الإسراء/ الآية 71، ونصها: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَانًا). ومن سورة الحاقة/ الآية 25، ونصها: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ).

4- سورة التوبة / 105.

وهذه الآية، لا تخص في خطابها فريق المنافقين، بل تخاطب الناس جميعاً. ومن هنا فإن أعمال المؤمنين أيضاً ستخضع لـ «الرؤية» من قبل الله تعالى ورسوله والمؤمنين.

كما أن «المؤمنين» الذين وضعتهم الآية إلى جانب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كناظرين للأعمال، هم بالتأكيد فريق خاص من المؤمنين، يتميزون عن غيرهم. كما نفهم من هذه الآية، أن «رؤية» أعمال الناس من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، إنما تتم على أساس ما ينبيئ الله تعالى الناس، بما كانوا يعملون.

ينقل علي بن إبراهيم القمي (1) في تفسيره؛ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، مفادها أن حسنات العباد وسيناتهم تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل صباح، ولهذا يحذر الإمام عليه السلام العباد من ارتكاب المعاصي ويدعوهم إلى الخجل من أن تعرض معاصيهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (2).

أما «العياشي» (3) فينقل رواية عن الصادق عليه السلام حول آية (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (4).

1- مرت ترجمته.

2- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا، فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح. تفسير القمي، القمي: 1 / 304، تفسير سورة التوبة، خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبوك، توبة أبي لبابة.

3- مرت ترجمته.

4- سورة التوبة / 105.

يقول فيها أن المقصود بـ«والمؤمنون»، هم الأئمة(1).

وهناك روايات عديدة أخرى وردت في كتب التفسير والحديث حول هذا الموضوع(2).

وخلاصة الأمر، أن مرحلتى التلقى والحصول على الشهادة وأداءها، والجزاء على أساسها، كل ذلك يتم استناداً إلى الأعمال ذاتها، وهذه الأعمال هى التى تنطق وتتحدث عن نفسها.

يقول تبارك وتعالى:

(وَجِىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) (3).

1- قال أبو عبدالله عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ) سورة التوبة / 105، هم الأئمة. تفسير العياشى، العياشى: 109 / 2، تفسير سورة البراءة ح / 125.

2- عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام أن أبا الخطاب كان يقول: إن رسول صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال أمتة كل خميس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو هكذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال الأمة كل صباح أبراها وفجارها فاحذروا، وهو قول الله: (فَسَ يَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) سورة التوبة / 105. تفسير العياشى، العياشى: 109 / 2، تفسير سورة البراءة ح / 122. عن الصادقين عليهما السلام عن الله تعالى وقد قال الله عز وجل: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَ يَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) سورة التوبة / 105، يعنى: الأئمة عليهم السلام. أوائل المقالات، المفيد: 79، القول فى الحساب وولاته والصراط والميزان.

3- سورة الزمر / 69\_\_ 70.



## مراتب الشهداء

الشهداء، مجموعات مختلفة، ومراتب عدة، فالمرتبة الأولى يحتلها الألياء والمقربون، مثل الأنبياء والصالحون(1).

والله تعالى يقول:

(وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) (2).

ولعل الفصل بين النبيين والشهداء هنا، هو لتكريم مقام الأنبياء.

كما يقول جل وعلا (وَيَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (3).

فالأمة هنا، هي مجموعة من الناس، وعندما يقرن الحديث عن أمة، بنبي أو زمان أو مكان، فإنها تتميز عن الأمم الأخرى.

وبما أن «الأمة» في الآية السابقة لم تقرن بشيء آخر، فإنها تعنى هنا، جميع الأمم، وتشمل في خطابها، ولي وشهيد كل أمة من الأمم.

---

1- قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أفضل الخلق يوم يجمع الله الرسل، وإن من أفضل الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إن أفضل كل أمة بعد نبيها وصي نبيها... ثم إن أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء... الحديث. تفسير فرات، فرات الكوفي: 112، تفسير سورة النساء / قطعة من الحديث 113.

2- سورة الزمر / 69.

3- سورة النحل / 84.

رغم أنه قد يوجد داخل أمة كل نبي عدد من الأولياء(1)، فالله تعالى يقول:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (2).

وعلى أساس ما قلناه سابقاً حول معنى الشهيد، يتضح لنا أن هذا المقام (الشهادة) لا يمنح لكل أفراد أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بل إن المقصود بذلك، بعض أفراد الأمة، رغم أن ظاهر الآية، يخاطب كل أفرادها. ولعل السبب هو أن هذه المجموعة الخاصة تنبثق من هذه الأمة.

هذا الأسلوب في الحديث، أمر طبيعي ومتداول، فالله تعالى يقول في آية أخرى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (3) إلا أن وصف «الأشداء» لا يشمل كل من هو مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رغم أن ظاهر الآية هكذا.

---

1- قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) سورة النحل / 89، وهم الأنبياء شهداء على أممهم يوم القيامة. في كل زمان شهيد وإن لم يكن نبيا. وفي كلمة شهيد قولان: أحدهما — أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء. الثاني — أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه. تفسير القرطبي، القرطبي: 164/10، تفسير سورة النحل.

2- سورة البقرة / 143.

3- سورة الفتح / 29.

إذ من المؤكد أن المقصود بذلك، بعض أتباع النبي، خاصة وأن هناك إجماع بأن بعض الذين كانوا مع النبي، هم من المنافقين والفاستقين، ولا يمكن لصفة «الأشداء» أن تنطبق عليهم. وهناك حالات مشابهة عديدة، يوجه فيها الخطاب إلى العموم بينما المقصود، هو مجموعة خاصة منهم.

على هذا، فإن شهداء الأمة، مجموعة خاصة، تشهد على الناس، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو بدوره شاهد على أفرادها. أى أن هذه المجموعة، تمثل حالة وسطية بين الأمة ونبيها، كما ورد في الآية السالفة الذكر(1).

وفي آية أخرى يقول عز وجل:

(... هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ...) (2).

فهذه الآية أكثر صراحة في توضيح أن شهداء الأمة، هم مجموعة خاصة. وفي عبارة «هو سماكم المسلمين» (3) إشارة إلى دعاء إبراهيم عليه السلام (4) وابنه

1- سورة البقرة / 143.

2- سورة الحج / 78.

3- سورة الحج / 78.

4- إبراهيم الخليل عليه السلام أبو الضيفان إبراهيم، وقيل: إبراهيم، أو إبراهيم، أو إبراهيم بن تارح، وقيل: تارح بن ناحور بن سروج، وقيل: ساروغ بن رعو، وقيل: أرعو، وقيل: راغو بن فالج، وقيل: فالغ بن عابر بن شالح، وقيل: شالح بن أرفخشذ، وقيل: أرفكشاذ بن سالم ابن نبي الله نوح عليه السلام، الملقب بخليل الله، وأمه أميلة، وقيل: عوشاء، وقيل: بونا بنت كريت بن كرتي. هو أبو الأنبياء، وأحد الأنبياء أولى العزم، أصحاب الشرائع العامة، وجدّ العبرانيين والعرب المستعربة من ابنه إسماعيل عليه السلام. ولد في غار بقرية كوثي، وقيل: كوثر من أرض بابل، وقيل: ولد بغدان آرام من قرى الكوفة، وقيل: بمدينة أور من بلاد الكلدانيين، وقيل: بالسوس، وقيل: ولادته في برزة شرقى دمشق سنة (1996) قبل ميلاد المسيح عليه السلام. أنزل الله عليه عشرين صحيفة تعرف بصحف إبراهيم عليه السلام. عرف بين قومه بالحلم ورقة القلب والبر مع الآخرين، ووهبه الله العلم والحكمة والهداية والبركة والرحمة، وجعل النبوة والإمامة في ذريته ونسله عدا الظالمين منهم. والأنبياء الذين جاءوا من بعده كانوا ينسبون أديانهم إلى دينه. توفي بفلسطين في أواخر القرن العشرين، أو أوائل القرن الحادى والعشرين قبل ميلاد المسيح، فدفنه ولداه إسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام بمغارة المكفيلة في حقل عفرون، وقيل: دفن في قرية أربع أو المربعة قرب بيت المقدس عند زوجته سارة. أعلام القرآن، الشبستري: 22 \_\_ 25، إبراهيم الخليل عليه السلام.

إسماعيل(1) عليه السلام عند بناء الكعبة: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً

1- نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام: هو إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح بن ناحور بن سروج، ويتصل نسبه بنبي الله نوح عليه السلام، وأمه هاجر المصرية، ويعرف بالذبيح، واسمه بالعبرية يشمعييل أو إسموئيل أو إصموئيل. أحد الأنبياء الذين بعثهم الله إلى الناس لإرشادهم وهدايتهم إلى الحق والصواب، وكان عظيم الشأن، راسخ الإيمان، ومعروفاً بالصبر والصدق والحلم. يعد أول من تكلم بالعربية الفصحى وكتب بها، وأول من ركب الخيل. توفى بمكة، وقيل: بفلسطين، وقبره بمكة قرب قبر أمه هاجر، عند حجر إسماعيل. أعلام القرآن، الشبستري: 96 \_\_ 98، نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1).

وبما أن دعاء إبراهيم، هو بحق إسماعيل وأبنائه، وعموماً أهل مكة، فإنما يشمل بالنهاية، قريش، لكن سياق ومضمون الدعاء يدل على أن المقصود ليس قريش كلها. بل مجموعة خاصة، هي تلك التي تتمتع بالطهارة والهداية والوفاء بالعهد الإلهي، وباقي العهود، والإيمان بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وما ورد فى الآية الشريفة السالفة الذكر (2)، هو ذلك التفسير الوارد فى الأخبار المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام .

ففى «الكافى» وتفسير العياشى ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن أهل البيت هم أمة وسط، وهم شهداء الله على العباد وحججه فى الأرض والسماء (3).

1- سورة البقرة / 128 \_\_ 129.

2- سورة البقرة / 143.

3- عَنْ بُرَيْدِ الْعِجَلِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة / 143، قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ... الحديث. الكافى، الكليني: 1 / 191، كتاب الحجّة، باب فى أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه/ح4. عن بريد بن معاوية العجلي عن أبى جعفر عليه السلام قال، قلت له: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة / 143. قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحجته فى أرضه. تفسير العياشى، العياشى: 1 / 62، تفسير سورة البقرة / ح 110.

وفى «شواهد التنزيل» ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بـ (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (1) هم «نحن»، أى أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهد عليهم، وهم بدورهم شهداء الله على العباد وحجته فى الأرض وأنهم الذين قال عنهم الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (2)(3).

ويروى عن الإمام الباقر قوله أن الشهداء على الناس، لا يمكن إلا أن يكونوا الأئمة والأنبياء (صلوات الله عليهم اجمعين)، أما أفراد الأمة الآخرين فلا يمكن أن يكونوا شاهدين، من قبل الله تعالى، لأن بين أفراد الأمة من لا تقبل شهادتهم فى الدنيا، وفى أبسط الأشياء (4)، وفى تفسير العياشى، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود بآية: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (5) ليس كل أهل

1- سورة البقرة / 143.

2- سورة البقرة / 143.

3- أنظر: شواهد التنزيل، الحسكافى: 1/119، تفسير سورة البقرة / ح 129.

4- عن حمران عن أبيه أعين عنه (الإمام الباقر) عليه السلام إنما أنزل الله: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة / 143، قال: ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول فأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته فى الدنيا على حزمة بقل. مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب: 4/179، باب فى إمامة أبى جعفر الباقر عليه السلام

5- سورة البقرة / 143.

القبلة (المسلمين)، لأن هناك من هؤلاء، من لا تقبل شهادته حتى على «صاع من التمر» ويتساءل: كيف يمكن أن تقبل شهادة مثل هؤلاء، على أعمال العباد، يوم القيامة؟ ويستطرد الإمام عليه السلام أن المقصود بهذه الآية (1)، هم الأئمة الذين استجيب بحقهم دعاء إبراهيم عليه السلام، وهم الأمة الوسط و(خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (2)(3). وهناك أحاديث عديدة بهذا الشأن (4).

وهكذا يتوضح معنى الآية الكريمة: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (5)، وحيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون شاهداً على

1- سورة البقرة / 143.

2- سورة آل عمران / 110.

3- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: 63 / 1، تفسير سورة البقرة / ح 114.

4- عَنْ بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) سورة البقرة / 143، قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسَطَةُ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ، قُلْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) سورة الحج / 78، قَالَ: إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً... الحديث. الكافي، الكليني: 190 / 1، كتاب الحج، باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه / ح 2. عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة / 143، قال: نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه. إرشاد القلوب، الديلمي: 298 / 2، في فضائله من طريق أهل البيت.

5- سورة النساء / 41.

أفراد الأمة مباشرة، بل يشهد على شهداء الأمة (1)، فإن المقصود بـ (وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (2) هم شهداء الأمم، وليس أفراد الأمة أنفسهم، وهؤلاء الشهداء هم الذين يشهد عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (3). وهناك آية أخرى، أكثر صراحة في توضيح هذه الحقيقة:

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) (4) وتأتي صراحتها في أنها عبرت عن استقدام شهداء الأمم للشهادة يوم القيامة بكلمة «نبعث»، أما عند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالقرآن يستخدم كلمة (وَجِئْنَا بِكَ) (5). كما يستخدم القرآن الكريم عبارة «من أنفسهم» عند الحديث عن

1- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... الآية) سورة البقرة/143، فكون الأمة شهيدة هو أن فيهم من يشهد على الناس ويشهد الرسول عليهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 321 / 1، تفسير سورة البقرة.

2- سورة النساء / 41.

3- قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) سورة النساء / 41، وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام. تفسير العياشي، العياشي: 1/242، تفسير سورة النساء/ح132. قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) سورة النساء/41، إن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمشهود عليهم سائر الأنبياء. التفسير الكبير، الفخر الرازي: 116/31، تفسير سورة البروج.

4- سورة النحل / 89.

5- سورة النحل / 89.



شهداء الأمم. وهذه الآيات تدل كلها على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهد على الشهداء، وليس على كل أفراد الأمة. كما أنه شاهد على شهداء الأمم الأخرى أيضاً (1).

يقول القمى (2) حول عبارة «شهِدًا عَلَى هَوْلَاءَ» (3)، أن المقصود بـ«هَوْلَاءَ» هم الأئمة — ورسول الله شهيد على الأئمة، وهؤلاء بدورهم شهداء على أفراد الأمة (4).

ويورد صاحب «الاحتجاج» (5) حديثاً عن الإمام على عليه السلام حول أحوال

1- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) سورة النحل/ 89، يعنى من الأئمة، ثم قال لنبىه صلى الله عليه وآله وسلم (وَجِئْنَا بِكَ) سورة النحل/ 89 يا محمد (شَهِيدًا عَلَى هَوْلَاءَ) سورة النحل/ 89، يعنى على الأئمة فرسول الله شهيد على الأئمة وهم شهداء على الناس. تفسير القمى، القمى: 388 / 1، تفسير سورة النحل. قال الطباطبائى: إن بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين الناس الذين هم عامة من بعث إليهم من زمانه إلى يوم القيامة شهداء يشهدون على أعمالهم وإن الرسول إنما هو شهيد على هؤلاء الشهداء. وقال أيضاً: المراد بهؤلاء فى قوله: (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَوْلَاءَ) سورة النحل/ 89، الشهداء دون عامة الناس فالشهداء شهداء على الناس والنبى صلى الله عليه وآله وسلم شهيد على الشهداء. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 323 / 12 — 324، تفسير سورة النحل.

2- مرت ترجمته.

3- سورة النحل / 89.

4- أنظر: تفسير القمى، القمى: 388 / 1، تفسير سورة النحل.

5- قال الحر العاملى: أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى: عالم فاضل فقيه محدث ثقة، له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج، حسن كثير الفوائد. قال ابن شهر اشوب فى معالم العلماء: شيخى أحمد ابن أبى طالب الطبرسى، له الكافى فى الفقه حسن، والاحتجاج، ومفاخر الطالبيية، وتاريخ الأئمة عليهم السلام، وفضائل الزهراء عليها السلام. أمل الآمل، الحر العاملى: 17 / 2، باب الألف / الرقم 36.

أهل المحشر فيقول أن الأنبياء يبعثون في ذلك اليوم ويسألون عن أداء الرسالة التي حملوا بها، فيجيبون بأنهم بلغوا الرسالة الإلهية لأممهم وأدوا مسؤوليتهم. ثم يأتي دور الأمم، فتسأل عن رسالات الأنبياء، فتنكر إبلاغ الرسالة، كما ورد في الآية الكريمة (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) (1)، فتقول الأمم (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) (2)، وهنا يطلب الأنبياء، رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم للشهادة، فيشهد على صدق جوابهم، وكذب ادعاء المنكرين من الأمم، فيقول لكل أمة: نعم، فقد جاءكم بشير ونذير وبلغكم رسالة الله.

(وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (3).

أى أن الله قادر على أن يجعل جوارحكم تنطق فتشهد على أن الأنبياء بلغوكم رسالات الله.

وهكذا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون شاهداً على الأنبياء، والله تعالى يخاطبه بالقول (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (4)(5).

1- سورة الأعراف / 6.

2- سورة المائدة / 19.

3- سورة البقرة / 284.

4- سورة النساء / 41.

5- أنظر: الاحتجاج، الطبرسي: 242/1 \_\_ 243، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأى من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

ينقل العياشى فى تفسيره، حديثاً عن أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه يوم القيامة، فيقول إن جميع الخلائق يجمعون فى مكان واحد، ليجرى سؤالهم عن أعمالهم، لن يستطيع أحد الكلام إلا من يأذن له الله تعالى ليقول صواباً(1)، ثم يبعث الله الأنبياء ليسألهم أيضاً، وهذا هو معنى الآية (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (2).

إذن فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشاهد على الشهداء، وهؤلاء هم الأنبياء(3). وقد أسلفنا الحديث، عن إنكار الأمم، لرسالات الأنبياء(4).

وهناك مجموعة أخرى من الشهداء، هى الملائكة(5) الذين يسجلون الأعمال، والله تعالى يقول:

(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُقِيضُونَ فِيهِ) (6).

- 
- 1- إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النبأ / الآية 38، ونصها: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا).
  - 2- سورة النساء / 41.
  - 3- أنظر: تفسير العياشى، العياشى: 242/1، تفسير سورة النساء / ح 132.
  - 4- أنظر: الفصل الثامن من كتابنا هذا الذى بين أيدينا، بحث صحيفة الأعمال.
  - 5- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) سورة ق / 21، شهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها، وشاهده منها وكتبه عليها. مجمع البيان، الطبرسى: 243/9، تفسير سورة ق.
  - 6- سورة يونس / 61.

وكذلك يقول:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذِ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (1).

كما يقول أيضاً (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ) (2).

وآيات أخرى تشير إلى شهادة الملائكة، وأعضاء الإنسان وجوارحه (3).

يقول الله تعالى في هذا الموضوع: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (4).

1- سورة ق / 16 \_\_ 21.

2- سورة الانفطار / 10 \_\_ 12.

3- الآيات التي ذكرت شهادة الملائكة والجوارح وأعضاء الإنسان عديدة، نورد منها ما يلي: سورة النساء / 166، ونصها: (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا). سورة النور / 24، ونصها: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). سورة فصلت / 22، ونصها: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ).

4- سورة يس / 65.

وأيضاً:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لَوْلَا جُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (1) وسياق هذه الآيات، يدل على أنها تخص أهل النار. ولهذا فإن شهادة الأعضاء والجوارح إنما تخص أهل النار فقط دون أهل الجنة.

إن موضوع شهادة أعضاء أهل النار وجوارحهم على ذنوبهم يمكن أن تكون دليلاً وشاهداً آخر على أن الكافرين، هم أيضاً مكلفون بفروع الدين وأحكامه، كما أن جلود أهل النار هي التي تشهد عليهم، ولهذا فإنهم يسألونها عن سبب شهادتها. ذلك أن الجلود أقرب إلى عالم المادة(2)، أما الأسماع والإبصار، فهي

1- سورة فصلت/ 19 \_ 23.

2- المادة في اللغة: كل شيء يكون مدداً لغيره، ومادة الشيء أصوله وعناصره التي يتركب منها حسية كانت أو معنوية كمادة البناء، ومادة البحث. المادة: هي الجسم الطبيعي الذي تتناوله على حاله أو نحوله إلى شيء آخر. المعجم الفلسفي، جميل صليبا: 2/ 306، باب الميم، المادة. المادة اصطلاحاً فهي: قال الجرجاني: مادة الشيء: هي التي يحصل الشيء معها بالقوة، وقيل: المادة الزيادة المتصلة. التعريفات، الجرجاني: 110، باب الميم.

أبعد عن عالم المادة، وأقرب إلى الفهم والإدراك(1).

إن آية: (قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (2) إنما هي جواب الجوارح والأعضاء لأصحابها، ولم تستخدم الآية كلمة «شهادة»(3)، بل كلمة «نطق»(4)، وهذا تم بأمر من الله.

1- الإدراك: هو يدل أولاً على حصول صورة الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً، جزئياً أو كلياً، حاضراً أو غائباً، حاصلًا في ذات المدرك أو آلته. قال ابن سينا إدراك الشيء: هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهدها ما به يدرك، فأما أن تكون تلك الحقيقة نفس حقيقة الشيء الخارج عن المدرك إذا أدرك. أو تكون مثال حقيقته مرتسما في ذات المدرك غير مباين له. المعجم الفلسفي، جميل صليبا: 1/53، باب الألف، الإدراك.

2- سورة فصلت / 21.

3- الشهادة: خبر قاطع. الصحاح، الجوهري: 2 / 494، مادة «شهد». قال بعضهم الشهادة في الأصل: إدراك الشيء من جهة سمع أو رؤية، فالشهادة تقتضى العلم بالمشهود. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 291، حرف الشين / الرقم 1164 الفرق بين الشاهد والحاضر. الشهادة: الإخبار بما شاهده. لسان العرب، ابن منظور: 3 / 240، مادة «شهد».

4- النطق: إرادة اللسان في الفم بالكلام. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 542، حرف النون / الرقم 2181 الفرق بين النطق والكلام. نطق ينطق نطقاً ومنطقاً ونطقاً: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني. القاموس المحيط، الفيروز آبادي: 3 / 285، مادة «نطق». قال الراغب: النطق في التعارف: الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان. تاج العروس، الزبيدي: 77 / 7.

ولهذا فإن لوم الجوارح ومعاتبتها على شهادتها، كوجود مستقل، حر التصرف، أمر لا معنى له. لأن نطق كل ناطق، وحديث كل محدث، إنما هو من الله تعالى، وليس هناك أى موجود، يتمتع بالاستقلالية عن قدرة الله وإرادته(1)، ولهذا، فإن سياق الآية يستمر (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (2).

أى أنه بداية وختام كل الأشياء، وإيرادته وأمره تتم كل الظواهر، وهو العالم بكل شىء، ولا يغيب عنه شىء.

وبما أن أخفاء أى أمر، يتم بوسيلة ما، وكذلك كشفه أو الإطلاع عليه(3)، فإن باقى الآية يأتى:

1- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) سورة فصلت / 21، أى: مما ينطق. والمعنى. أعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق. مجمع البيان، الطبرسى: 17/9، تفسير سورة فصلت.

2- سورة فصلت / 21.

3- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) سورة فصلت / 21، إخبار منه تعالى وخطاب لخلقه بأنه الذى خلقهم فى الابتداء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة فصلت / 21، فى الآخرة إلى حيث لا يملك احد النهى والأمر سواه. تفسير التبيان، الطوسى: 118/9، تفسير سورة فصلت. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة فصلت/21، إن وجودكم يبتدى منه تعالى وينتهى إليه تعالى فعندما تظهرون من كتم العدم — وهو خلقكم أول مرة — يعطيكم الوجود ويملككم الصفات والأفعال فتنسب إليكم ثم ترجعون وتنتهون اليه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 380/17، تفسير سورة فصلت.

(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) (1) أى أنكم لم تستطيعوا إخفاء ذنوبكم التى ارتكبتموها بجوارحكم (2)، لا لأنكم لم تحسبوا للجوارح حسابها، ولم تحذروا شهادتها، بل لأنكم اعتقدتم أن الأشياء مستقلة عن الله تعالى، وأن الله غير مطلع عليها. بينما الحقيقة هى أن أعضاء الإنسان وجوارحه، هى كمين (3) إلهى، وأداة لمراقبة العباد. وأن اعتقادكم الخاطئ جعلكم تتصورون أن الله غافل عن كثير مما تعملون هذا الخطأ، هو الغفلة بعينها، عن حقيقة أن الله عالم بكل شىء، وشاهد على كل ما يفعل الإنسان (4) (وَذَلِكُمْ

1- سورة فصلت / 22.

2- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: 310 / 7، كتاب العدل والمعاد، باب 16 تطاير الكتب.

3- كمن له يكمن كمونا وكمن: استخفى. كل شىء استتر بشىء فقد كمن فيه كمونا. لسان العرب، ابن منظور: 359 / 13، مادة «كمن».

4- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) سورة فصلت / 22. وصف لهؤلاء الكفار بأنهم ظنوا انه تعالى يخفى عليه أسرارهم ولا يعلمها. تفسير التبيان، الطوسى: 9 / 119، تفسير سورة فصلت. قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) (22) (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) سورة فصلت / 22 \_ 23، أى: هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذى أتلّفكم وأرداكم عند ربكم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة فصلت / 23، أى: فى مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 4 / 104، تفسير سورة فصلت. قال عبد الكريم الخطيب فى تفسير قوله تعالى: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة فصلت / 23، أى: هذا الظن الذى ظننتموه بربكم من أنه قد يعلم ما تبدون، ولا يعلم ما تكتمون، هذا الظن هو الذى أفسد عليكم معتقدكم فى ربكم، فلم تروه سبحانه إلا على ما ترون به بعض أصحاب الجاه والسلطان، ممن لهم جنود وعيون، يرون القليل، ولا يرون الكثير، فكان إيمانكم بالله هو هذا الإيمان الفاتر الفاسد. التفسير القرآنى للقرآن، عبد الكريم الخطيب: 12 / 1307 \_ 1308، تفسير سورة فصلت. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / 22، وفى قوله: (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ) سورة فصلت / 22. المعنى وما كنتم تستخفون فى الدنيا عند المعاصى من شهادة أعضائكم التى تستعملونها فى معصية الله ولم يكن ذلك لظنكم أنها لا إدراك فيها لعملكم بل لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، أى: لم تستهينوا عند المعصية بشهادة أعضائكم وإنما استهنتم بشهادتنا. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: 17 / 383، تفسير سورة فصلت.



ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْذَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (1).

وهنا يجب الانتباه إلى أمرين هامين، الأول: أن المبدأ العام القائل أن العلم والقدرة وكل كمالات الوسائط هي نفسها علم الله تعالى وقدرته وكمالاته (2)، له

### 1- سورة فصلت / 23.

2- عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَدَّ بِلَ الْعَالِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَيْفَ عِلْمِ اللَّهِ قَالَ: عَلِمَ وَشَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى وَأَمَضَى فَأَمَضَى مَا قَضَى وَقَضَى مَا قَدَّرَ وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ فَعِلْمِهِ كَانَتْ الْمَشِيئَةُ وَبِمَشِيئَتِهِ كَانَتْ الْإِرَادَةُ وَبِإِرَادَتِهِ كَانَتْ التَّقْدِيرُ وَبِتَّقْدِيرِهِ كَانَتْ الْقَضَاءُ وَبِقَضَائِهِ كَانَتْ الْإِمْضَاءُ وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْبَدَاءُ فِيمَا عَلِمَ مَتَى شَاءَ وَفِيمَا أَرَادَ لِتَقْدِيرِ الْأَشْيَاءِ فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ فَلَا بَدَاءَ فَالْعِلْمُ فِي الْمَعْلُومِ قَبْلَ كَوْنِهِ وَالْمَشِيئَةُ فِي الْمُنْشَأِ قَبْلَ عَيْنِهِ وَالْإِرَادَةُ فِي الْمُرَادِ قَبْلَ قِيَامِهِ وَالتَّقْدِيرُ لِهَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ قَبْلَ تَقْصِيهِ يَلِهَا وَتَوْصِيهِ يَلِهَا عَيَانًا وَوَقْتًا وَالْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ هُوَ الْمُبْرَمُ مِنَ الْمَفْعُولَاتِ ذَوَاتِ الْأَجْسَامِ الْمُدْرَكَاتِ بِالْحَوَاسِّ مِنْ ذَوِي لَوْنٍ وَرِيحٍ وَوَزْنٍ وَكَيْلٍ وَمَا دَبَّ وَدَرَجَ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَطَيْرٍ وَسِدِّ بَاعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ الْبَدَاءُ مِمَّا لَا عَيْنَ لَهُ فَإِذَا وَقَعَ الْعَيْنُ الْمَفْهُومُ الْمُدْرَكَ فَلَا بَدَاءَ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَبِالْعِلْمِ عَلِمَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَبِالْمَشِيئَةِ عَرَفَ صِفَاتِهَا وَحُدُودَهَا وَأَنْشَأَهَا قَبْلَ إِظْهَارِهَا وَبِالْإِرَادَةِ مَيَّرَ أَنْفُسَهَا فِي أَلْوَانِهَا وَصِفَاتِهَا وَبِالتَّقْدِيرِ قَدَّرَ أَقْوَانَهَا وَعَرَفَ أَوْلَهَا وَآخِرَهَا وَبِالْقَضَاءِ أَبَانَ لِلنَّاسِ أَمَاكِنَهَا وَدَلَّاهُمْ عَلَيْهَا وَبِالْإِمْضَاءِ شَرَحَ عِلَلَهَا وَأَبَانَ أَمْرَهَا وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. الكافي، الكليني: 148 / 1 \_\_ 149، كتاب التوحيد، باب البداء / ح 16.

فى القرآن، القرآن له فروع عديدة، وقد وردت له إشارات عدة فى القرآن، فمثلاً يقول البارى عز وجل حول العلم:

(لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ) (1).

كما يقول تعالى:

(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (2).

وكذلك يقول:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) (3).

---

1- سورة سبأ / 3.

2- سورة الزخرف / 80.

3- سورة ق / 16 \_ 17.

وآيات أخرى عديدة في هذا المعنى(1).

مما سلف، يتبين أن علم الباري تعالى وإطلاعه على كل الأمور، يتحقق بتسجيلها في اللوح المحفوظ(2)، ثم يواجه بها العباد كوقائع (وهذه إشارة إلى مبدأ أن سائر كمالات الوسائط، هي فرع من كمالات الحق تعالى)(3).

وعلى أساس ما قلنا، يتوضح معنى الآية (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(4).

1- هنالك آيات تشير إلى علم الله نذكر منها: سورة آل عمران / 5، ونصها: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ). سورة إبراهيم / 38، ونصها: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ). سورة غافر / 16، ونصها: (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ).

2- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) سورة البروج/21-22، اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش وطرف على جبهة إسرافيل، فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فينظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل عليه السلام . تفسير القمي، القمي: 414/2 \_ 415، تفسير سورة البروج. قال الجرجاني: اللوح المحفوظ: لوح القدر، أى: لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول (لوح العقل الأول) ويتعلق بأسبابها. التعريفات، الجرجاني: 109، حرف اللام، اللوح.

3- أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: 105/90.

4- سورة التوبة / 94.

أما الأمر الثاني: فهو أن الآيات السالفة الذكر (1)، تفيد بأن الحياة، حقيقة جارية في تمام الموجودات، لأنه بغير ذلك، لا يمكن إطلاق اسم «الشهادة» على إنطاق الأعضاء والجوارح. لأن الحديث عن شيء يعتبر شهادة فيما لو صدر عن المتحدث بشكل حقيقي، وهذا لا يتم إلا بتمتع المتحدث بالحياة. ومن جانب آخر، فإن الأحياء الذين يدلون يوم القيامة بالشهادة على حوادث وأعمال وقعت في الحياة الدنيا، لا يمكن أن يدلوا بالشهادة، إلا أن يكونوا يتمتعون بالحياة أيضاً عند وقوع تلك الأعمال، بحيث يتمكنون من إدراكها، إذن فكل ما يشهد يوم القيامة، لابد وأن يكون حياً في الدنيا. ويستوى في ذلك السمع، والبصر، والزمان، والمكان. وهكذا يمكن، مما تقدم، أن ندرك معنى الآية الكريمة:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُسِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (2)،

- 
- 1- سورة الانفطار / 10 \_\_ 12، ونصها: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ). سورة يس / 65، ونصها: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). سورة فصلت / 20 \_\_ 23، ونصها: (حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لَوْلَا جُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ).
- 2- سورة الأحقاف / 5 \_\_ 6.

وكذلك الآية التي تصف آلهة الكفار(1):

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (2).

وهناك الكثير من الأحاديث والأخبار والروايات حول المفاهيم الآتفة الذكر، ففي «الكافي» ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن الأعضاء والجوارح، تشهد على مستحقي العذاب الإلهي فقط (ولا تشهد على المؤمنين)، أما المؤمن فإنه يتلقى كتابه يمينه(3).

وهذه إشارة من الإمام عليه السلام إلى الآية الواردة بعد آيات الشهادة:

(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) (4).

وفي تفسير «القمي» و«من لا يحضره الفقيه» ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حول تفسير آية (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) (5) قوله أن المقصود بـ«جلود»، هي الفروج والأفخاذ(6).

1- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) سورة الأحقاف / 6، يعني إن هذه الأوثان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها، ويكفروا بعبادة الكفار. مجمع البيان، الطبرسي: 139/9، تفسير سورة الأحقاف.

2- سورة النحل / 21.

3- أنظر: الكافي، الكليني: 32/2، كتاب الإيمان والكفر/ح 1.

4- سورة فصلت / 25.

5- سورة فصلت / 20.

6- ورد نص الحديث في الكافي وقريب منه في من لا يحضره الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أما في تفسير القمي فهو في تفسير الآية 22 من سورة فصلت، وليس في تفسير الآية 20 من سورة فصلت. قَالَ أَبِي عَبْدَ اللَّهِ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / 22، يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ وَالْأَفْخَاذَ. الكافي، الكليني: 36/2، كتاب الإيمان والكفر/باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها/قطعة من حديث 1. قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / 22، يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 2 / 626، باب الفروض على الجوارح/قطعة من حديث 3215. قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / 22، وَالْجُلُودُ: الْفُرُوجَ. تفسير القمي، القمي: 2 / 264، تفسير سورة السجدة، شهادة الجوارح يوم القيامة.

وفى تفسير القمى ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة، يعطى كل إنسان صحيفة أعماله، فيطلعون عليها، وينكرون ما فيها من أعمال ارتكبوها.

بعد ذلك تشهد عليهم الملائكة، فيقسم العاصون بأنهم لم يرتكبوا أي من هذه الأعمال: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) (1)، وعندها يختم الله على أفواههم فتشهد أعضاؤهم وجوارحهم على ما ارتكبوا (2).

#### 1- سورة المجادلة / 18.

2- قال الإمام الصادق عليه السلام: فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) سورة المجادلة/18، وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدين بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرم الله ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله ثم أنطق الله ألسنتهم وقالوا هم (لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ) سورة فصلت/ 21 \_ 22، أى: من الله أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْنَا سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَارَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَالْجُلُودُ الْفُرُوجُ. تفسير القمى، القمى: 264/2، تفسير سورة السجدة، شهادة الجوارح يوم القيامة.

ومن الشهداء أيضاً، الزمان والمكان (1)، وهما الأيام المقدسة (2) والأشهر

- 
- 1- قال الطبرسى: فى بعض الأخبار: المكان والزمان يشهدان على الرجل بأعماله. مجمع البيان، الطبرسى: 89/3، تفسير سورة النساء.
- 2- قال أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث طويل منه:... أما خياره من الليالى فليالى الجمع، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وليلتا العيد. وأما خياره من الأيام فأيام الجمع، والأعياد... الحديث. تفسير الإمام، الإمام العسكرى: 662، فى من لا يستجاب دعاؤه / قطعة من حديث 374. قال قتادة فى تفسير قوله تعالى: (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) سورة البروج/3، الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة. التبيان، الطوسى: 316/10، تفسير سورة البروج. وفى مجمع البيان: الشاهد: الأيام والليالى. مجمع البيان، الطبرسى: 10/316، تفسير سورة البروج.

الشريفة (1)، والأعياد (2) وأيام الجمعة والمناطق المقدسة (3) والمساجد وغيرها. يقول الله تعالى:

(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (4).

إن المباحث السابقة تبين لنا كيفية شهادة الأيام، وكذلك توضح معنى الآية الكريمة السالفة الذكر (5).

كما يتبين لنا أن كلمة «من» في عبارة «ويتخذ منكم شهداء» هي «من» ابتدائية وليست تبعيضية، و«الشهداء» في هذه الآية، هي الأيام.

1- قال أمير المؤمنين عليه السلام في الأشهر من حديث له: ... أما خياره من الشهور فرجب، وشعبان، وشهر رمضان... الحديث. تفسير الإمام، الإمام العسكري: 662، في من لا يستجاب دعاؤه / قطعة من حديث 374.

2- العيد: كل يوم مجمع، من عاد يعود إليه. كتاب العين، الفراهيدي: 219 / 2، مادة «عود». قال ابن الأعرابي: سمي العيد عيداً: لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد. لسان العرب، بن منظور: 319 / 3، مادة «عود».

3- قال أمير المؤمنين عليه السلام: فأما خياره من البقاع فمكة، والمدينة، وبيت المقدس. تفسير الإمام، الإمام العسكري: 661، في من لا يستجاب دعاؤه / قطعة من حديث 374.

4- سورة آل عمران / 140.

5- سورة آل عمران / 140.



وعن شهادة الأماكن والأزمنة أيضاً يقول الله تعالى:

(ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُبْتِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (1)، وقد أسلفنا الحديث عن المعاني التي تتضمنها هذه الآية، وكيف تشهد الصخور والسموات والأرض.

كما يقول تبارك وتعالى:

(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) (2).

وفي «الكافي» ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما يحل النهار، فإنه \_\_ أي النهار \_\_ يقول للإنسان: يا ابن آدم \_\_ أعمل خيراً لأشهد لك أمام الله يوم القيامة، فأنا لم آتک من قبل، ولن آتیک بعد اليوم.

وعندما يحل الليل، فاته \_\_ أي الليل \_\_ يخاطب الإنسان بنفس الخطاب (3).

1- سورة لقمان / 15 \_\_ 16.

2- سورة الزلزلة / 2 \_\_ 5.

3- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ النَّهَارَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا ابْنَ آدَمَ اْعْمَلْ فِي يَوْمِكَ هَذَا خَيْرًا أَنَّهُ هَدَى لَكَ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنِّي لَمْ آتِكَ فِيهَا مَضَى وَلَا آتِيكَ فِيهَا بَقِيَ وَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. الكافي، الكليني: 455 / 2، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل / ح 12.

وقد نقل مضمون هذا الحديث ابن طاووس (1) في كتابه «محاسبة النفس» عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام (2).

وفي «علل الشرائع» ينقل الشيخ الصدوق (3) قولاً عن الإمام الصادق عليه السلام

1- علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن طاووس، العلوي، الفاطمي، الشهير بابن طاووس (رضى الدين، أبو القاسم) فقيه، محدث، مؤرخ، أديب، مشارك في بعض العلوم. من تصانيفه الكثيرة: إسعاد ثمره الفؤاد على سعادة الدنيا والمعاد، والأسرار في ساعات الليل والنهار، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، والنفيس الواضح من الكتاب الجليس الناصح. معجم المؤلفين، كحالة: 248 / 7، علي بن طاووس.

2- عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليهما السلام قال إن الليل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلا الثقلين يا ابن آدم إني خلق جديد إني علي ما في شهيد فخذ مني فإني لو قد طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا ثم لم تزد في حسنة ولم تستعب في من سيئة وكذلك يقول النهار إذا أدبر الليل. محاسبة النفس، ابن طاووس: 14 \_\_ 15، الباب الثاني فيما ذكره من الروايات التي تقتضي الاحتياط بالمحاسبة في الليل والنهار للسلامة من الأخطار.

3- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظة ووجه الطائفة المستحفظة، رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام. ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف ونال بذلك عظيم الفضل والفخر فعمت بركته الأنام وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، له نحو من ثلاثمائة مصنف. قال ابن إدريس في حقه: انه كان ثقة جليل القدر بصيراً بالأخبار ناقدًا للآثار عالماً بالرجال وهو أستاذ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. وقال العلامة في ترجمته: شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، ورد بغداد سنة 355هـ. وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقدًا للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات بالري سنة 381هـ. إحدى وثمانين وثلاثمائة. وقبره رحمه الله في بلدة الري قرب عبد العظيم الحسنی مزار معروف في بقعة عالية في روضة موقفة. الكنى والألقاب، القمي: 1 / 221 \_\_ 222، ابن بابويه.

رداً على سؤال حول إقامة النوافل (1) في مكان واحد، أم توزيعها على أماكن عدة. فيجيب الإمام بأن الأفضل توزيعها على عدة أماكن لأن هذه الأماكن ستشهد له عند الله يوم القيامة (2).

ومن الشهداء أيضاً، القرآن الكريم (3)، وكذلك الأعمال والعبادات الشخصية (4).

1- النفل: التطوع. النفل والنافلة: ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه. النفل والنافلة: عطية التطوع من حيث لا يجب، ومنه نافلة الصلاة. لسان العرب، ابن منظور: 671 / 11 \_ 672، مادة «نفل».

2- عن عبدالله بن علي الزراد قال: سألت أبو كهمس أبا عبد الله عليه السلام فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟ قال: لا بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة. علل الشرائع، الصدوق: 343 / 2، باب 46 العلة التي من أجلها يستحب تقريق النوافل في البقاع / ح 1.

3- من الأقوال التي فسرت قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ) سورة هود / 17، قيل: الشاهد القرآن، ويتلوه: يكون بعده تالياً شاهداً. معاني القرآن، النحاس: 337 / 3. في تفسير القرطبي، قيل: الشاهد القرآن في نظمه وبلاغته. تفسير القرطبي، القرطبي: 17 / 9، تفسير سورة هود.

4- قال الأندلسي في تفسير قوله تعالى: (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة / 143، قيل: معناه بأعمالكم يوم القيامة. المحرر الوجيز، الأندلسي: 219 / 1، تفسير سورة البقرة. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شَٰهَدًا عَلَىٰ النَّاسِ) سورة البقرة / 143، شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل في المعركة. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 173 / 1، تفسير سورة البقرة.

إن كل ما قلناه عن شهادة الشهداء (الشهود) يمكن إثباته بالبرهان<sup>(1)</sup>، ذلك أن كل علاقة تتولد بين الأشياء والأعمال، سيتولد مثلها بين الشيء وذات الفاعل.

1- البرهان: بيان الحجة وإيضاحها. كتاب العين، الفراهيدي: 49 / 4، مادة «بره». البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء وهي الضروريات، أو بواسطة وهي النظريات. يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان لمي، ومن المعلول إلى العلة برهان إتي. التعريفات، الجرجاني: 31، باب الباء، البرهان. قال جميل صليبا، البرهان: الحد الأوسط في هذا القياس لا بد من أن يكون علة نسبة الأكبر إلى الأصغر. فإذا أعطاك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن فقد سمي برهان الإن، وإذا أعطاك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن والوجود معا سمي برهان اللم. المعجم الفلسفي، صليبا: 206 / 1، باب الباء، البرهان. قال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا في إثبات الشهادة بالبرهان: أن كل علاقة تتولد بين الأشياء والأعمال، سيتولد مثلها بين الشيء وذات الفاعل. لأن وجود الأعمال قائم بذواتها. إذن فبقاء الذات، سيبقى ما يصدر عنها. وبقاء ما يصدر عنها، ستدوم العلاقة المتولدة بينها وبين الأشياء. وبقاء هذه العلاقة، ستبقى الأشياء أيضاً، لأن العلاقة، وجود رابط، لا يتحقق إلا بوجود طرفين. أنظر: الفصل التاسع الشهداء في يوم البعث، مراتب الشهداء.

لأن وجود الأعمال قائم بذواتها. إذن فبقاء الذات، سيبقى ما يصدر عنها. وبقاء ما يصدر عنها، ستدوم العلاقة المتولدة بينها وبين الأشياء. وبقاء هذه العلاقة، ستبقى الأشياء أيضاً، لأن العلاقة، وجود رابط، لا يتحقق إلا بوجود طرفين.

من جانب آخر، فإنه بالحياة ستتحيا جميع الذوات (الأعمال والعلاقات والأشياء). وبحضورها أمام الله تعالى، بشكل كامل وبتمام الذوات(1)، ستشهد بكل ما لديها.

---

1- عرفهم من ذات نفسه، كأنه يعنى به سريرته المضمرة. كتاب العين، الفراهيدى: 208/8، مادة «ذو». ذات الشيء: نفسه وحقيقته. مجمع البحرين، الطريحي: 108/2، مادة «ذو، ذات». قال الحسينى فى الذات: يطلق على مجموع المقومات التى تحدد مفهوم الشيء، وهو ما يخص الشيء ويميزه. معجم مصطلحات المنطق، جعفر الحسينى: 148، الذات.

## المصادر

1. القرآن الكريم.
2. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / 1403هـ \_ نشر المرتضى \_ مشهد المقدسة.
3. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) / الطبعة الأولى، 1413هـ \_ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد \_ قم.
4. إرشاد الأذهان إلى أحكام القرآن، الحسن بن يوسف المطهر الحلي / الطبعة الأولى، 1410هـ \_ نشر جامعة المدرسين \_ قم.
5. إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى، 1412هـ \_ دار الشريف الرضي للنشر.
6. الأصفى في تفسير القرآن، محمد محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الأولى، 1418هـ \_ منشورات المكتب الإعلام الإسلامي \_ قم.
7. أصل الشيعة وأصولها، محمد الحسين آل كاشف الغطاء / الطبعة الأولى، 1415 هـ \_ مؤسسة الإمام علي عليه السلام .

8. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى، 1408هـ. نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام  
\_\_\_\_\_ قم.
9. أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري / الطبعة الأولى، 1421هـ. مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي \_\_\_\_\_ قم.
10. أعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية \_\_\_\_\_ قم.
11. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي / الطبعة الأولى، 1414هـ. دار الثقافة للنشر \_\_\_\_\_ قم.
12. الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) / الطبعة الثانية، 1413هـ. نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد \_\_\_\_\_ قم.
13. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي / الطبعة الأولى، 1421هـ. نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه  
السلام \_\_\_\_\_ قم.
14. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي / 1404هـ. نشر مكتبة الأندلس \_\_\_\_\_ بغداد.
15. أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) / الطبعة الأولى، 1413هـ. المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد \_\_\_\_\_  
قم.
16. إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، علي رباني كلبيكاني / الطبعة الثانية، 1422هـ. نشر دار الهادي \_\_\_\_\_ بيروت.
17. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقى المجلسي / الطبعة الرابعة، 1404هـ. مؤسسة الوفاء \_\_\_\_\_ بيروت.
18. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، احمد بن محمد ابن عجيبة / 1419هـ. نشر د. حسن عباس زكى \_\_\_\_\_ القاهرة.

19. بداية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي / الطبعة 21، 1424هـ. مؤسسة النشر الإسلامي قم.
20. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي / الطبعة الأولى، 1376هـ. دار إحياء الكتب العربية القاهرة.
21. بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، احمد بن موسى ابن طاووس / الطبعة الأولى، 1411هـ. نشر مؤسسة أهل البيت عليهم السلام قم.
22. تأويل الآيات الظاهرة، شرف الدين الأسترابادي / مؤسسة النشر الإسلامي قم.
23. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي / نشر مكتبة الحياة بيروت.
24. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون / الطبعة الرابعة، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.
25. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي / الطبعة الأولى، 1409هـ. نشر مكتب الإعلام الإسلامي.
26. التحرير والتنوير، محمد بن طاهر بن عاشور.
27. تحف العقول، حسن بن شعبة الحراني / الطبعة الثانية، 1404هـ. مؤسسة النشر الإسلامي قم.
28. تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني / الطبعة الأولى، 1419هـ. نشر مؤسسة الإمام الصادق قم.
29. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني / دار الشؤون الثقافية العامة بغداد.
30. التعليقة على الفوائد الرضوية، القاضي سعيد القمي.



31. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل ابن كثير الدمشقي / 1412هـ. نشر دار المعرفة — بيروت.
32. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / الطبعة الأولى، 1418هـ. — نشر دار إحياء التراث العربي — بيروت.
33. تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الأولى، 1418هـ. — مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين — قم.
34. تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي / نشر دار الفكر — بيروت.
35. تفسير الصافي، المولى محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الثانية، 1416هـ. — مكتبة الصدر — طهران.
36. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي / 1380هـ. — نشر المطبعة العلمية — طهران.
37. تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني / الطبعة الأولى، 1410هـ. — مكتبة الرشد — الرياض.
38. تفسير القرآن الكريم (صدرا)، محمد بن إبراهيم (صدر المتألهين) / الطبعة الثانية، 1408هـ. — منشورات بيدار — قم.
39. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن احمد الأنصاري القرطبي / 1405هـ. — مؤسسة التاريخ العربي — بيروت.
40. تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي / الطبعة الثالثة، 1404هـ. — مؤسسة دار الكتاب — قم.
41. تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية / الطبعة الأولى، 1424هـ. — دار الكتب الإسلامية — طهران.

42. تفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي / الطبعة الأولى، 1421هـ. نشر دار الكتب العلمية — بيروت.
43. تفسير غريب القرآن الكريم، فخر الدين الطريحي / انتشارات الزاهدي — قم.
44. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي / الطبعة الأولى، 1410هـ. مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي.
45. تفسير القرطبي (الجامع لإحكام القرآن)، محمد بن أحمد القرطبي / 1405هـ. نشر مؤسسة التاريخ العربي — بيروت.
46. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي القمي / الطبعة الأولى، 1407هـ. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين — قم.
47. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي / نشر دار إحياء التراث العربي — بيروت.
48. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي / الطبعة الثانية، 1418هـ. نشر دار الفكر المعاصر — بيروت.
49. تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي / الطبعة الرابعة، 1412هـ. نشر مؤسسة اسماعيليان — قم.
50. تكملة حاشية رد المختار، محمد علاء الدين بن عابدين / 1415هـ. نشر دار الفكر — بيروت.
51. التوحيد، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / الطبعة الثانية، 1398هـ. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين — قم.
52. جامع الأخبار، تاج الدين محمد بن محمد الشعيري / الطبعة الثانية، 1405هـ. دار الرضى للنشر — قم.

53. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري / 1415هـ. دار الفكر — بيروت.
54. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي / الطبعة السابعة، 1422هـ. مؤسسة الاعلمي للمطبوعات — بيروت.
55. الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد بن حبيب الله السبزواري / الطبعة الأولى، 1406هـ. دار التعارف للمطبوعات — بيروت.
56. الخرائج والجرائح، سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي / الطبعة الأولى، 1409هـ. نشر مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف — قم.
57. النخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) / الطبعة الثانية، 1403هـ. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين — قم.
58. دائرة المعارف الشيعية العامة، محمد حسين الاعلمي / الطبعة الثانية، 1413هـ. نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات — بيروت.
59. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي / الطبعة الأولى، 1365هـ. نشر دار المعرفة.
60. دروس في علم الدراية، أكرم بركات العاملي / الطبعة الأولى، 1418هـ. منشورات سعيد بن جبير — قم.
61. الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة، محمد باقر عبد الكريم البهبهاني / الطبعة الأولى، 1408هـ. مؤسسة الاعلمي للمطبوعات — بيروت.
62. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني / الطبعة الثانية، 1406هـ. نشر دار الأضواء — بيروت.
63. رجال ابن داود، تقى الدين الحسن بن علي بن داود الحلبي / 1383هـ. مؤسسة النشر في جامعة طهران.

64. رجال الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي الطوسي / الطبعة الأولى، 1415هـ. مؤسسة النشر الإسلامي قم.
65. رجال العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي / 1411هـ. نشر دار الذخائر قم.
66. رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي / 1348هـ. مؤسسة النشر في جامعة مشهد.
67. رجال النجاشي، احمد بن علي النجاشي / 1407هـ. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم.
68. الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة، محمد جواد البلاغي / الطبعة الثانية، 1414هـ. نشر دار الزهراء بيروت.
69. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى / 1405هـ. نشر دار القرآن الكريم قم.
70. الرعاية لحال البداية في علم الدراية، زين الدين العاملي (الشهيد الثاني) / الطبعة الأولى، 1423هـ. مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي قم.
71. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محمود آلوسي / الطبعة الأولى، 1415هـ. نشر دار الكتب العلمية بيروت.
72. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي / الطبعة الأولى، 1407هـ. نشر دار الفكر بيروت.
73. زبدة التفاسير، المولى فتح الله الكاشاني / الطبعة الأولى، 1423هـ. نشر مؤسسة المعارف الإسلامية قم.
74. سعد السعود، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / دار الذخائر قم.
75. سيرة العلامة الطباطبائي، كبار العلماء والأعلام / الطبعة الأولى، 1420هـ. نشر دار الهدى بيروت.
76. شرح الأسماء الحسنى، هادي السبزواري / مكتبة بصيرتي.

77. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني.
78. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد / مكتبة آية الله المرعشي النجفي — قم.
79. الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني الطهراني / الطبعة الأولى، 1417هـ. — نشر دار المحجة البيضاء — بيروت.
80. شواهد التنزيل، عبيد الله بن احمد بن محمد الحسكاني / الطبعة الأولى، 1411هـ. — نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية — طهران.
81. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري / الطبعة الرابعة، 1407هـ. — دار العلم للملايين — بيروت.
82. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / 1400هـ. — مطبعة الخيام — قم.
83. علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / نشر مكتبة الداوري — قم.
84. العلماء في عالم الرؤيا، فارس فقيه / الطبعة الأولى، 1425هـ. — طليعة نور.
85. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه) / الطبعة الأولى، 1425هـ.، نشر مكتبة آية الله المرعشي — قم.
86. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني / عالم الكتب.
87. فتح المعين، حسن بن علي السقاف / الطبعة الأولى، 1410هـ. — نشر مكتبة الإمام النووي — عمان.
88. فرج الهموم في معرفة نهج الحلال من علم النجوم، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / نشر دار الذخائر — قم.
89. الفهرست، محمد بن الحسن بن علي الطوسي / المكتبة الرضوية — النجف الأشرف.

90. فى ظلال التوحيد، جعفر السبحانى / 1412هـ. \_\_\_\_ معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية فى الحج.
91. القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، عبدالله عيسى الغديرى / الطبعة الأولى، 1423هـ. \_\_\_\_ دار المحجة البيضاء \_\_\_\_ بيروت.
92. القاموس المحيط، الفيروز آبادى.
93. قصص الأنبياء (عليهم السلام)، نعمة الله الجزائرى / 1404هـ. \_\_\_\_ مكتبة آية الله المرعى النجفى \_\_\_\_ قم.
94. الكافى، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى / الطبعة الرابعة، 1365هـ. \_\_\_\_ دار الكتب الإسلامية \_\_\_\_ طهران.
95. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمى / 1398هـ. \_\_\_\_ دار المرتضوية للنشر \_\_\_\_ النجف الأشرف.
96. كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدى / الطبعة الثانية، 1409هـ. \_\_\_\_ مؤسسة دار الهجرة.
97. كربلاء منذ العهد البابلى حتى استشهاد الإمام الحسين، على عبود حسين أبو لحمه / الطبعة الأولى، 1423هـ.
98. كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء / نشر مهدوى \_\_\_\_ أصفهان.
99. كشف الغمة فى أحوال الأئمة عليهم السلام، على بن عيسى الأربلى / 1381هـ. \_\_\_\_ نشر مكتبة بنى هاشم \_\_\_\_ تبريز.
100. الكشكول المبوب، حسين الشاكرى / الطبعة الخامسة، 1418هـ. \_\_\_\_ الناشر المؤلف.
101. الكنى والألقاب، عباس القمى / الطبعة الثالثة، 1389هـ. \_\_\_\_ المطبعة الحيدرية \_\_\_\_ النجف الأشرف.

102. لسان العرب، العلامة جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور / الطبعة الأولى، 1405هـ. نشر أدب الحوزة.
103. المبدأ والمعاد، محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر المتألهين) / الطبعة الأولى، 1420هـ. نشر دار الهادي — بيروت.
104. مشابه القرآن، محمد بن شهر آشوب المازندراني / 1369هـ. نشر دار بيدار.
105. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي / الطبعة الأولى، 1426هـ. فقاهت — قم.
106. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي / الطبعة الثانية، 1408هـ. مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
107. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الأولى، 1415هـ. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات — بيروت.
108. مجموعة ورام، ورام ابن أبي فراس / نشر مكتبة الفقيه — قم.
109. محاسبة النفس، السيد علي بن طاووس الحلبي / الطبعة الثالثة — نشر دار المرتضوي للنشر.
110. المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي / الطبعة الثانية، 1371هـ. نشر دار الكتب الإسلامية — قم.
111. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / الطبعة الأولى، 1415هـ. نشر دار الكتب العلمية — بيروت.
112. مزارات الأولياء في ارض كربلاء، عامر الكر بلاني / الطبعة الثانية، 1427هـ. مطبعة الزوراء — كربلاء.
113. المسائل السروية، الشيخ المفيد / الطبعة الأولى، 1413هـ. المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد — قم.

114. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، حسین المحدث النوری / الطبعة الأولى، 1408هـ. نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث  
— قم.
115. معانى الأخبار، محمد بن علی بن الحسین بن بابويه القمي (الصدوق) / 1403هـ. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة  
المدرسين — قم.
116. معانى القرآن، أبی جعفر النحاس / الطبعة الأولى، 1409هـ. نشر جامعة أم القرى — المملكة العربية السعودية.
117. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله / الطبعة الأولى، 1415هـ.
118. معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي / نشر دار إحياء التراث العربي — بيروت.
119. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الموسوي الخوئي / الطبعة الخامسة، 1413هـ. مركز نشر الثقافة الإسلامية.
120. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري / الطبعة الأولى، 1412هـ. مؤسسة النشر الإسلامي — قم.
121. المعجم الفلسفي، جميل صليبا / الطبعة الأولى، 1385ش — ذوى القربى — قم.
122. معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله / نشر مكتبة المشنى — بيروت.
123. معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال / الطبعة الأولى، 1424هـ. دار الجيل للنشر والطباعة — بيروت.
124. معجم مصطلحات المنطق، جعفر الحسيني / الطبعة الأولى — نشر دار الاعتصام.
125. المفردات فى غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني / الطبعة الأولى، 1404هـ. دفتر نشر الكتاب.
126. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف / الطبعة الأولى، 1419هـ. نشر دار المحجة البيضاء — بيروت.



127. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني / دار المعرفة \_\_\_ بيروت.
128. المناقب، محمد بن شهر آشوب المازندراني / 1379هـ \_\_\_ مؤسسة العلامة للنشر \_\_\_ قم.
129. منامات العلماء الصالحين، فارس فقيه / الطبعة الأولى، 1425هـ \_\_\_ طليعة نور.
130. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي / الطبعة الأولى، 1419هـ \_\_\_ نشر مؤسسة المواهب \_\_\_ بيروت.
131. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / الطبعة الثالثة، 1413هـ \_\_\_ مؤسسة النشر الإسلامي \_\_\_ قم.
132. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمد تقي مصباح اليزدي / 1418هـ \_\_\_ دار التعارف للمطبوعات \_\_\_ بيروت.
133. موسوعة أنساب العشائر العراقية (السادة العلويون)، ثامر عبد الحسن العامري / الطبعة الأولى، 2004هـ \_\_\_ منشورات دار الهدى.
134. موسوعة العتبات المقدسة (قسم كربلاء)، جعفر الخليلي / الطبعة الثانية، 1407هـ \_\_\_ مؤسسة الأعلمی للمطبوعات \_\_\_ بيروت.
135. الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ياسين صلاواتي / الطبعة الأولى، 1422هـ \_\_\_ نشر مؤسسة التاريخ العربي \_\_\_ بيروت.
136. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي / مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين \_\_\_ قم المشرفة.
137. نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، نظلة الجبوري / 1999م \_\_\_ مطبعة اليرموك \_\_\_ بغداد.
138. نقد الرجال، مصطفى بن الحسين التفرشي / الطبعة الأولى، 1418هـ \_\_\_ نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث \_\_\_ قم.

139. نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، على أمين جابر آل صفا / الطبعة الأولى، 1422هـ. نشر دار الهادي — بيروت.

140. النهاية في غريب الحديث، أبي السعادات بن محمد ابن الأثير / الطبعة الرابعة، 1364ش — مؤسسة إسماعيليان — قم.

141. نهج البلاغة، محمد بن الحسين (الشريف الرضي) / دار الهجرة للنشر — قم.



## المحتويات

مقدمة القسم

كلمة لا بد منها

المقدمة

العمل في هذا الكتاب

ترجمة المؤلف

اسمه وشهرته

أسرته ونسبه

ولادته

نبذة من سيرته

تربيته ونشأته

أخلاقه

تواضعه

زهده

قلة الكلام

أب عطوف وزوج مثالي

الاهتمام بالوقت

السيرة الروحية

أسراره الروحية

عبادته

قارئ القرآن

عاشق أهل البيت عليهم السلام

منزلته العلمية

قالوا فيه

أولاده

إجازاته بالاجتهاد والرواية

مشايخه

تلامذته

تصانيفه ومؤلفاته

وفاته

مقدمة المترجم

الفصل الأول: الموت والأجل

الموت والأجل

الموت انتقال من عالم إلى آخر

الروح تنتقل مع الموت.

من الذى يتوفى الأنفس؟

الموت يكشف الحقيقة للإنسان

التبشير بالسعادة أو الشقاء بعد الموت

الفصل الثانى: البرزخ

البرزخ

تجسم الأعمال

المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب

تجسم الأرواح فى البرزخ

لقاء الأموات بذويهم

حديث الشيطان مع أتباعه فى القبر

الفصل الثالث: النفخ فى الصور

النفخ فى الصور

الذين يستثنون من حكم النفخ فى الصور

الآخرة بعد الدنيا

الآيات الدالة على أحوال القيامة

الفصل الرابع: صفات يوم القيامة

صفات يوم القيامة

بطلان الأسباب فى يوم القيامة

يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا

«القيامة» محيطة بالدنيا والبرزخ

ظهور البارى عز وجل فى ذلك اليوم

تبدد الظلمة يوم القيامة

الفصل الخامس: بعث الإنسان للمساءلة

بعث الإنسان للمساءلة

سير الأرواح إلى خالقها

الفصل السادس: الصراط

الصراط

الفصل السابع: الميزان

الميزان

الفصل الثامن: صحيفة الأعمال

صحيفة الأعمال

الفصل التاسع: الشهداء في يوم البعث

الشهداء في يوم البعث

مراتب الشهداء

المصادر

المحتويات



## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

